وصايا النساء

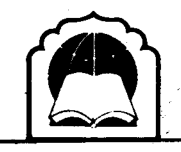
"استوصوا بالنساء خيرًا"

عبد العزيز الشناوى



الطبعـــة الأولى
ربيع الآخر ١٤١٠
نوفــمبر ١٩٩٠

مكتبة التراث الإسلامي



٨ شارع الجمهورية عابدين القاهرة ت : ٣٩١١٣٩٧ فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

قال رسول الله ﷺ : «استوصوا بالنساءِ خيرًا فإن المرأةَ خُلِقَتْ منْ ضِلعٍ وإنَّ أعوجَ ما فِي الضلع أعلَاهُ: فإنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وإن تركتَهُ لمْ يزلْ أعوجَ فاسْتَوْصُوا بالنِّساءِ».

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، إنه من يهدِى الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أنْ لَا إِلَه إِلَّا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ...

وبعد .

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد بن عبد الله ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

هذا الكتاب .. وصايا النساء .. يتناول وصايَا وأوامرَ ومناهيَ ، وتوجيهات وإرشادات من القرآن الكريم ، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾[1] . ومن السنة النبوية الشريفة ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فانتَهُوا﴾[2] فوصايا الرسول ﷺ كلها نور وهداية ، فقد بعثه الله — عزَّ وجل — معلما فهو ولى من لا مولى له ، فإذا كانت لأم صانعة أجيال فكيف تقوم وهذا هو حالها اليوم ؟ الأم مدرسة إذا أعددتها .. فكان لزاما علينا إعدادها ، لنعد شعبا طيب الأعراق ، ولن يتحقق هذا إلا إذا وضحنا لها ما أوصى به طبيب القلوب ﷺ ، فالأم المسلمة أساس الأسرة المسلمة ، فهى تربى أبناءها تربية إسلامية سليمة ، تعتز بدينها ، وتتمسك بكتاب ربها ، وسنة نبيها ﷺ .. فطوبى لمن سمع فالتزم ، وبادر فاغتنم .

والله — سبحانه — هو ملهم الخير والموفق للصواب، وهو وحده أسأله أن يوفقنى بمنه وكرمه إلى الاقتداء بسنة وسيرة خاتم رسله ﷺ .

إنه حسبى ونعم الوكيل .

عبد العزيز الشناوى

---

(١) سورة النساء : من الآية ١٢٢ .

(٢) سورة الحشر : الآية ٧ .

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

أختى المؤمنة ..

ورد لفظ المعروف فى القرآن الكريم ثمانٍ وثلاثين مرة .

وورد لفظ المنكر فيه ست عشرة مرة .

والمعروف : هو كل فعل يعرف الشرع والعقل حسنه . أو هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه ، والإحسان إلى الناس ، أو هو اسم جامع لكل ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح .

أما المنكر . فهو كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه ، أو تتوقف فى استقباحه واستحسانه العقول فتحكم بقبحه الشريعة .

إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين ، وهو المهم الذى ابتعث الله — عز وجل — له النبيين ، أجمعين ، ولو طوى بساطه ، وأهمل علمه وعمله ، لتعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة ، وعمت الفترة ، وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة ، واستشرى الفساد .

يقول تبارك وتعالى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ ويَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾[1] لقد اختص الله — عز وجل — الفلاح بالقائمين بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وقال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ الله آناءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فى الخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[2] فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر حتى

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .

(٢) سورة آل عمران : الآيتان : ١١٣ — ١١٤ .

أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وقال العزيز الحكيم : ﴿وَالمؤْمِنُونَ والمؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾(١) لقد نعت الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فالذى هجر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين فى هذه الآية .

وقال تعالى : ﴿لُعِنَ الَّذِين كَفَرُوا مِنْ بَنِى إسْرَائِيلَ عَلَى لِسَان دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدونُ * كَانُوا لَا يَتَناهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَاكَانُوا يَفْعَلُونَ﴾(٢) وهذا غاية التشديد إذ علل استحقاقهم للعنة بتركهم النهى عن المنكر .

وقال تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ﴾(٣) وهذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، إذ بيَّن أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للنَاس .

وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ إن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالمَعْروفِ وَنَهَوْا عَنِ المْنكَرِ﴾(٤) فقرن ذلك بالصلاة والزكاة فى نعت الصالحين والمؤمنين .

وقال تعالى : ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاة الله فَسَوْفَ نُؤْتِيه أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٥) وقال : ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسْطِ شُهَدَاءَ لله وِلَوْ عَلَى أنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾(٦) وذلك الأمر بالمعروف للوالدين والأقربين .

---

(٣) سورة التوبة : الآية ٧١ .

(٢) سورة المائدة : ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) سورة آل عمران : ١١٠ .

(٤) سورة الحج : الآية ٤١ .

(٥) سورة النساء : الآية ١١٤ .

(٦) سورة النساء : الآية ١٣٥ .

وقال تعالى : ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[1] فالإصلاح نهى عن البغى ، وإعادة إلى الطاعة ، فإن لم يفعل فقد أمر الله ـ عز وجل ـ بقتاله فقال : ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾[2] وذلك هو النهى عن المنكر .

وسأل أبو ثعلبة الخشنى رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى : ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[3] فقال رسول الله ﷺ :

« يَا أبا ثعلبةَ مرْ بالمعروفِ وانْهَ عن المنكرِ فإذا رَأيتَ شحًّا مطاعًا وهَوًى مُتَّبعاً ودنْيا مؤْثَرةً وإعجابَ كلِّ ذى رأيٍ برأيِهِ فعليكَ بنفْسِكَ ودعْ عنكَ العوامَّ وإنَّ من ورائِكم فِتنًا كقطعِ اللَّيلِ المظْلمِ للمتمسِّكِ فيها بمثلِ الذى أنتمْ عليه أجرُ خمسينَ منكم ».

قيل : بل منهم يارسول الله .

قال النبى ﷺ : « لا بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون عليه أعوانا » .

وسئل عبد الله بن مسعود عن تفسير هذه الآية فقال :

ـ إن هذا ليس زمانها إنها اليوم مقبولة ، ولكن قد أوشك أن يأتى زمانها ، تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا ، وتقولون فلا يقبل منكم ، فحينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم .

قال رسول الله ﷺ : « من رَأى منكم منكرًا فليغيرْهُ بيده ـ كتكسيرِ أواني الخمرِ وآلاتِ اللهوِ وقبائح يرَاهَا فيزيلُ أثرها ـ فإن لم يستَطِع فَبلسانِه ، فإن لم يستطِعْ ـ خَشِيَ لِحَاقَ ضرر ببدِنه أو أخذِ مالٍ وُجوبًا من الكتاب والسنة فرضَ عين من نحو صياحٍ واستغاثةٍ وتوبيخٍ ، وتذكيرٍ بالله مع لين أو إغلاظ ـ فبقلبِهِ ـ ينكرُه ويكرَه ذلكَ ويعزِمُ على تغييره إذا قدر يمنع الزانى أو شارب الخمر ـ وذلك أضعف الإيمان » .

---

(١) سورة الحجرات : الآية ٩ .

(٢) سورة الحجرات : الآية ٩ .

(٣) سورة المائدة : الآية ١٠٥ .

وقال النبى ﷺ : ما من نبى بعثَه اللهُ فى أُمةٍ قبلى إلَّا كانَ له منْ أمتِه حواريُّونَ — خلصاء الأنبياء وأصفياؤهم المفضلون نُقُّوا من العيوب — وأصحابٌ يأخذون بسنتِهِ ويقتدون — يتأسونَ — بأمره ثم إنها تخلفُ — تحدُثُ — من بعدِهمُ خُلوف — جَمع الخَالف بِشَرٍّ — يقولُون مالَا يفعلُون — يتشبَّعون بما لم يُعْطُوا منْ طاعةٍ — ويفعلُونَ ما لَا يؤمَرونَ — يفعلون خلاف المأمور به من المنكرات — فمنْ جاهدَهمْ بيدِه — الاستعانة على إزالته بالله — سبحانه وتعالى — فهو مؤمنٌ ومن جاهدَهُم بقلبه — كراهةَ المنكرِ بالقلبِ — فهو مؤمنٌ ومن جاهدهُم بلسانِه فهو مؤْمنٌ وليسَ وراءَ ذلكَ من الإيمان حبةُ خردلَ .

ويقول رسول الله ﷺ : «ستكونُ بعدِى فتنٌ لا يستطيعُ المؤمنُ فيهَا أن يغيرَ بيدِه ولا بلسانه» .

فقال على بن أبى طالب : يارسول الله ! وكيف ذلك ؟

قال النبى ﷺ : « ينكرونه بقلوبهم » .

قال على بن أبى طالب : يارسول الله ! وهل ينقص ذلك من إيمانهم شيئاً ؟

قال رسول الله ﷺ : «لا إلا كما ينقصُ القطرُ من الصَّفا» — جبلِ الصفا — .

أختى المسلمة ...

هذه الأحاديث تدل على وجوب إنكار المنكر ، ولكن بحسب القدرة عليه ، وأما إنكاره بالقلب فلابد منه ، فإن لم ينكر القلب كان ذلك دليلا على ذهاب الإيمان منه .

قال على بن أبى طالب : إن أول ما تغلبون عليه من الجهاد جهادٌ بأيديكم ، ثم الجهاد بألسنتكم ، ثم الجهاد بقلوبكم ، فمن لم يعرف قلبه المعروف ، وينكر قلبه المنكر ، نكس فجعل أعلاه أسفله .

وسمع عبد الله بن مسعود رجلا يقول : هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر .

فقال عبد الله بن مسعود : هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر .

يشير إلى أن معرفة المعروف والمنكر بالقلب فرض لا يسقط عن أحد ، فمن لم يعرفه هلك ، وأما الإنكار باليد واللسان فإنما بحسب الطاقة .

قال رسول الله ﷺ : «إذا عُملتِ الخطيئة فى الأرضِ كان مَن شَهِدهَا فكرِهَهَا كمن غَاب عنها ، ومنْ غابَ عنها فَرَضِيهَا كانَ كمنْ شَهِدها» .

فمن شهد الخطيئة فكرهها بقلبه كان كمن لم يشهدها إذا عجز عن إنكارها بيده ولسانه ، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها وقدر على إنكارها ولم ينكرها . لأن الرضا بالخطايا من أقبح المحرمات وهو مناقض للإنكار بالقلب ، وأما الإنكار باليد واللسان فيكون بحسب القدرة .

يقول رسول الله ﷺ : «ما من قوم يُعمَلُ فيهم بالمَعَاصِى ثم يقدِرونَ على أن يغيرُوا فلَا يُغَيِّرُوا إلَّا يوشكُ أن يعمَّهمُ الله بعقَابِهِ» .

وقال ﷺ : مَثَلُ ـــ إقامتها والذَّبِّ عن المحارم ـــ القائم فى حدود الله والواقع ـــ مرتكبها ـــ فيها كمثل قوم استهموا ـــ فى سَفينةٍ ـــ اقترعُوا ـــ فصارَ بعضُهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين فى أسفلها إذا استَقَوْا من الماء مرُّوا على من فوقهم فقالوا : لَو أنَّا خرقْنا فى نَصيبنَا خرْقا ـــ فُرجة لنصل إلى الماء بدل تأذى المرور ـــ ولم نؤذِ مَنْ فوقنا فإن تركوهم ـــ ترك أهل العلو أهل السفل من غير منع فعله ـــ وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإنْ أخذوا ـــ منعوهم من خرق السفينة نجا الآخذون والمأخوذون من الغرق ـــ على أيديهم ، نجوا ونجوا جميعاً .

ودخل رسول الله ﷺ يوما على زوجته زينب بنت جحش فزعاً ـــ خائفا ـــ يقول :

« لا إله إلا الله ويل ـــ كلمة عذاب ـــ للعرب من شرٌ قد اقترب ، فتح من ردم يأجوج ومأجوج ـــ سدهما ـــ مثل هذه ـــ وحلق ﷺ بأصبعيه الإبهام والتى تليها ـــ فقالت أم المؤمنين زينب بنت جحش :

ـــ يارسول الله ! أنهلك وفينا الصالحون ـــ بهم يدفع البلاء ويزال العناء ـــ ؟

قال النبى ﷺ : « نعم إذا كثر الخبث » ـــ الفسوق والفجور فيه شؤم المعصية ـــ

وجلس النبى ﷺ مع أصحابه فحذرهم فقال : « إياكم ـــ أحذركم ـــ والجلوسَ فى الطرقات » .

فقالوا : يارسول الله ! مالنا من مجالسنا بد ـــ فرقة ـــ نتحدث فيها .

فقال رسول الله ﷺ : « إذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقّه » .

فتساءل أصحاب رسول الله : وما حق الطريق يارسول الله ؟

قال النبى ﷺ : « غضُّ البصرِ » ـــ كفه عن النظرِ ـــ « وكف الأذى » ـــ الامتناعُ عن أذَى المارة ـــ « وردُّ السلامِ ، والأمر بالمعروف والنهىُ عن المنكرِ» .

ورأى رسول الله ﷺ خاتما من ذهب فى يد رجلٍ فنزعَه فطرحَه ـــ أزالَ المنكرَ ـــ وقال ﷺ : « يعمَدُ أحدكم إلى جمرةٍ من نارٍ فَيَجْعَلُهَا فى يدِه » ـــ فى أصبعه ـــ

فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك انتفع به ـــ ببيع أو هبة أو تستعمله امرأة ـــ

فقال الرجل : لا والله لا آخذه أبدًا وقد طرحه رسول الله ﷺ .

وقال رسول الله ﷺ : « على كل ميسم ـــ عضو ـــ من الإنسان صلاةٌ كلَّ يومٍ » .

فقال رجل من القوم : هذا من أشدِّ ما أنبأتنا به .

فقال النبى ﷺ : « أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صلاة ، وحملك عن الضعيف صلاة ، وإنحاؤك القذى عن الطريق صلاة ، وكلُّ خطوةٍ تخطُوها إلى الصلاة صلاةٌ » .

وقال ﷺ : « تبسمك فى وجه أخيك صدقةٌ ، وأمركَ بالمعروفِ ونهيُكَ عن المنكر صدقةٌ » .

وقال أناس لرسولِ الله ﷺ : يارسول الله ، ذهب أهل الدثور ـــ أصحاب الثياب يعنى الأغنياء ـــ بالأجور ، يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم .

قال رسول الله ﷺ : أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ بِهِ ، بكلِّ تَسْبِيحَةٍ صدقةٌ ، وكل تكبيرةٍ صدقةٌ ، وكلِّ تحميدةٍ صدقةٌ ، وكل تهليلةٍ صدقةٌ ، وأمرٌ بالمعروف صدقةٌ ونهى عن منكرٍ صدقةٌ » ؟

وسألت بنت أبى لهب رسول الله ﷺ : يانبى الله مَنْ خير الناسِ ؟

قال النبى ﷺ : « أتقاهم للربِّ — عز وجل — وأوصلهم للرحم، وآمَرَهُمْ بالمعروف وأنهاهم عن المنكر » .

وقال رسول الله ﷺ : « ليس منَّا منْ لم يرحمْ صغيرنا ويوقرْ كبيرَنا ويأمرْ بالمعروف وَيَنْهَ عن المنكر » .

وسأل رجل النبى ﷺ عن الإسلام فقال : « الإسلام أن تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، والحج ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتسليمك على أهلك ، فمن انتقص شيئاً منهن فهو سهم من الإسلام يدعه ومن تركهن فقد ولى الإسلام ظهره » .

ويقول ﷺ : « الإسلام ثمانية أسهم ، الإسلام سهم ، والصلاة سهم ، والزكاة سهم ، والصوم سهم ، وحج البيت سهم ، والأمر بالمعروف سهم ، والنهى عن المنكر سهم،والجهاد فى سبيل الله سهم ، وقد خاب من لا سهم له » .

ودخل رسول الله ﷺ بيت عائشة فعرفت فى وجهه الشريف أن قد حضر شىء ، فتوضأ وما كلم أحدًا فلصِقت بنت أبى بكر بالحجرة لتسمع ما يقول ﷺ فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : « يا أيها الناس إن الله يقول لكم : مُروا بالمعروف وانْهُوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم وتسألونى فلا أعطيكم ، وتستنصرونى فلا أنصركم » .

تقول أم المؤمنين عائشة : فما زاد عليهن حتى نزل .

وسألت عائشة : يارسول الله ، إن الله إذا أنزل سطوته بأهل الأرض وفيهم الصالحون فيهلكون بهلاكهم ؟

فقال النبى ﷺ : « ياعائشة إن الله إذا أنزل سطوته بأهل نقمته وفيهم الصالحون فيصيرون معهم ثم يبعثون على نياتهم » .

وقال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » .

وسأل أبو ذر رسول الله ﷺ : يارسول الله ، دلنى على عمل إذا عمل العبد به دخل الجنة ؟ .

قال رسول الله ﷺ : « يؤمن بالله واليوم الآخر » .

قال أبو ذر الغفارى : يارسول الله ، إن مع الإيمان عملاً ؟ .

قال النبى ﷺ : « يرضخ مما رزقه الله » .

قال أبو ذر الغفارى : « يارسول الله أرأيت إن كان فقيراً لا يجد ما يرضخ به » ؟

قال رسول الله ﷺ : « يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر » .

قال أبو ذر الغفارى : يارسول الله ، أرأيت أن كان عَيِيًّا لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ؟

قال رسول الله ﷺ : « يصنع لا خرق » .

قال أبو ذر الغفارى : يانبى الله ، أرأيت إن كان أخرق لا يستطيع أن يصنع شيئا ؟

قال رسول الله ﷺ : « يعين مغلوباً » .

تساءل أبو ذر الغفارى : أرأيت إن كان ضعيفاً لا يستطيع أن يعين مغلوباً ؟

قال رسول الله ﷺ : « ما تريد أن يكون بصاحبك من خير ؟ يمسك عن أذى الناس » .

قال أبو ذر الغفارى : إذا فعل ذلك دخل الجنة ؟

قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يفعل خصلةً من هؤلاء إلا أخذتْ بيده حتى تدخلَه الجنة » .

وقال رسول الله ﷺ : « تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا ، فَأَىُّ قَلْبٍ أشْرِبَهَا نَكَتَتْ فِيهِ نُكْتَةً سَوْداء ، وأَىُّ قَلب أَنْكَرَهَا نَكَتَتْ فِيهِ نُكْتَةً بَيْضَاءَ حَتَّى يَصِيرَ عَلَى قلبَيْنِ : عَلَى أَبْيَضَ مِثْلُ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَادَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ،

والآخر أسودُ مرباداً كالكوز مجخيا — مائلا منكوبا — لا يعرفُ معروفاً ولا يُنْكِرُ مُنكراً إلّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ » .

وقال النبى ﷺ : « رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِىَ بِي رِجَالاً تُقْرَضُ شِفَاهُهُم بِمَقَارِيضَ مِنَ النَّار فقلت : مَنْ هَؤُلَاءِ يَاجِبْرِيلُ ؟ قَالَ : الْخُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بالبرِّ وَيَنسَوْنَ أَنفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ أَفَلا يَعْقِلُونَ — هَؤُلَاءِ خُطَبَاءٌ مِنَ أُمتكَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ » .

ولما أراد أبو بكر — وهو فى مرض الموت — أن يستخلف عمر بعث إليه فدعاه فأتاه الفاروق فقال : إنى أدعوك لأمر متعب لمن وليه ، فاتق الله ياعمر بطاعته ، وأطعه بتقواه ، فإن التقى آمن محفوظ ثم إن الأمر معروض لا يستوجبه إلا من عمل به ، فمن أمر بالحق وعمل بالباطل وأمر بالمعروف وعمل بالمنكر يوشك أن تنقطع أمنيته ، وأن يحبط عمله ، فإن أنت وُلِّيتَ عليهم أمرهم فإن استطعت أن تجف يدُك من دمائهم وأن تضمر بطنك من أموالهم وأن تكف لسانك عن أعراضهم فافعل ولا قوة إلا بالله .

وقال أمير المؤمنين عمر : يا أيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم ، وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم ، إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يدفع رزقا ، ولا يقرب أجلا ، وإن الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم — داود وعيسى — ثم عموا بالبلاء .

وسأل أصحاب رسول الله ﷺ النبى قائلين : يارسول الله ، أتهلك القرية وفيها الصالحون ؟

قال النبى ﷺ : « نعم » .

قال الصحابة : بم يارسول الله ؟

قال رسول الله ﷺ : « بتهاونهم وسكوتهم على معاصى الله — تعالى — » .

وقال النبى ﷺ : « أوحى الله — تبارك وتعالى — إلى ملك من الملائكة ان اقلب مدينة كذا ، على أهلها . فقال : يارب إن فيهم عبدك فلاناً لم يعصك طرفة عين . قال :

أقلبها عليه وعليهم فإن وجهه لم يَتَمَعَّرْ فِيَّ ساعة ــ لم يستنكر منكرا فى ساعة » .

وقال رسول الله ﷺ : « عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء » .

قال الصحابة : يارسول الله ، كيف ؟

قال النبى ﷺ : « لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر » .

وقال النبى ﷺ : « قال موسى ــ عليه السلام ــ : ياربٌ أى عبادك أحبُّ إليك ؟ قال : الذى يتسرَّع إلى هواى كما يتسرَّع النسرُ إلى هواهُ ، والذى يُكَلَّفُ بِعَبادِي الصَّالحينَ كما يُكَلَّفُ الصَّبِيُّ بالثَّدْيِ ، والذى يغضب إذا أُتِيَتْ مَحَارِمِي كما يغضَبَ النمرُ لنفسِهِ ، فإن النمرَ إذا غَضب لنفسِه لم يبال قَلَّ الناسُ أم كَثُروا » ــ وهذا يدل على فضيلة الحِسْبَةِ مع شِدَّةِ الخوفِ .

وسأل أبو بكر الصديق رسول الله ﷺ : يارسول الله ، هل من جهاد غير جهاد ــ قتال ــ المشركين ؟

قال رسول الله ﷺ : « نعم ياأبا بكر إن لله ــ تعالى ــ مجاهدين فى الأرض أفضل من الشهداء أحياءٌ مرزوقون يمشُونَ على الأرض يُبَاهى اللهُ بهم ملائكةَ السَّماءِ وَتُزَيَّنُ لهم الجنةُ كما تَزَيَّنَتْ أُمُّ سَلَمَةَ لِرَسُولِ الله ﷺ » .

فتساءل أبو بكر الصديق : يارسول الله ، ومن هم ؟

قال النبى ﷺ : « الآمِرُونَ بِالمِعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ المنكَرِ والمُحِبُّونَ فِي اللهِ وَالمبغِضُونَ فِي اللهِ .

والذى نفسى بيده إن العبدَ منهم لَيكونُ فى الْغُرْفَةِ فَوْقَ الْغُرُفَاتِ فَوْق غُرَفِ الشُّهَدَاء للغرفة منها ثلثمائة ألف بَابٍ منها الياقوتُ والزمردُ الأخضرُ على كل بابٍ نورٌ ، وإن الرجلَ منهم ليزوَّجُ بثلثمائة ألف حَوْراءِ قاصراتِ الطرفِ عين ، كلما التفت إلى واحدةٍ منهن فنظر إليها تقول له : أتَذْكُرُ يوم كذا وكذا ، أَمَرْتَ بالمعروفِ وَنَهَيْتَ عن المنكَرِ ، كلما نظر إلى واحدة مِنْهُنَّ ذكرتْ له مقاماً أَمَرَ فيه بِمَعْرُوفٍ وَنَهَى فِيهِ عن مُنْكَرٍ » .

وسأل أبو عبيدة بن الجراح رسول الله ﷺ : يارسول الله ، أى الشهداء أكرم على الله ــ عز وجل ــ ؟

قال النبى ﷺ : « رجل قام إلى والٍ جائرٍ فأمرهُ بالمعروفِ ونهاهُ عن المنكر فَقَتَلَهُ ، فإن لم يَقْتُلْهُ فإن القلم لا يجرى عليه بعد ذلك وإن عاش ما عاش » .

وقال رسول الله ﷺ : « أفضل شهداء أُمَّتِى رجلٌ قام إلى إمامٍ جائرٍ فَأَمَرَهُ بالمعروفِ وَنَهَاهُ عن المنكرِ فَقَتَلَهُ على ذلك ، فذلك الشهيدُ منزلتُهُ فى الجنة بين حمزة ــ حمزة بن عبد المطلب ، عمِّ رسول الله ﷺ ــ وجعفر ــ جعفر بن أبى طالب ابن عم رسول الله ﷺ » .

يقول عمر بن الخطاب : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بِئْسَ القومُ قومٌ لا يَأْمُرُونَ بالْقِسْطِ ، وَبِئْسَ الْقَوْمُ قومٌ لا يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنِ المنكرِ » .

أختي المسلمة ...

إن أفضل الجهاد كلمة حقٍّ عند سلطان جائر .

سأل رجل النبى ﷺ وقد وضع رجله فى الغرْز ــ ركابِ كورِ الجملِ إذا كان من جِلْدٍ أو خَشَبٍ :

يانبى الله أىُّ الجهاد أفضل ؟

قال رسول الله ﷺ : « كلمة حق عند سلطان جائر » .

وقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فيقولُ : ياهذا اتَّقِ الله ــ اتْرُكْ المعاصِى وَخَفِ الله ــ وَدَعْ ما تصنعُ فإنه لَا يَحِلُّ لَكَ ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ وهُو على حَالِهِ فَلا يَمْنَعُهُ ذلك أن يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ ــ مواكله ومشاربه ومجالسه ومصاحبه ومباسطه وهو مأمور بمهاجرته وترك ولائه إلا إن خاف محذوراً فيداريه ــ فلما فَعَلُوا ذلك ضَرَبَ الله قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ » .

وقال رسول الله ﷺ : « إِذَا رَأَيْتَ أُمَّتِى تَهَابُ أن تَقُولَ لِلظَّالِمِ : يَاظَالِمُ فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ » . .

وقال رسول الله ﷺ : « يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يومَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى في النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كما يَدُورُ الحمارُ فى الرَّحَى ، فَيَجْتَمِعُ إليه أهلُ النَّارِ فيقولونَ : يافلانُ مَالَكَ أَلَمْ تَكُنْ تأمُرُ بالمعروفِ وَتَنْهَى عن المنكرِ ؟ فيقولُ : بَلَى كُنْتُ آمرُ بالمَعْرُوفِ ولا آتيهِ وَأَنْهَى عَنِ المنكَرِ وَآتِيهِ » .

وقال النبى ﷺ : مثلُ الذى يُعَلِّمُ الناسَ الخيرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ كَمَثَلِ السِّرَاجِ يُضِيءُ للنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ » .

وقال النبى ﷺ : « أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدِ سُلْطَانٍ أَوْ أَمِيرٍ جَائِرٍ» .

أختى المسلمة ...

هذه وصية رسول الله ﷺ فعلى كل مسلمة أن تأمر بالمعروف وأن تنهى عن المنكر فى الأشياء التى يستوى فيها العالم والجاهل كالزنا وشرب الخمر والربا والغيبة والنميمة والكذب والحلف بغير الله وصفاته ، والاعتماد على غير الرزاق ــ سبحانه وتعالى ــ ، وأذى الناس وإعانة الظالم ، وترك الصلاة والزكاة والصيام والحج ﴿وَذَكِّر فَإِنَّ الذكْرى تنفَعُ المؤْمِنِينَ﴾ [1] .

ودوافع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

رجاء ثواب الله .

الخوفُ من العقوبة على تركه .

الغضبُ لله أن تنتهكَ محارِمُهُ .

النصيحة للمؤمنين والرحمة بهم ورجاء إنقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لعقوبة الله وغضبه فى الدنيا والآخرة .

إجلال الله وتعظيمه ومحبته وأنه أهل لأن يطاع ولا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر .

---

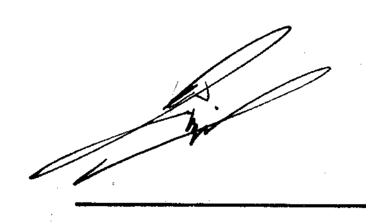
(١) سورة ق : الآية ٥٥ .

وأعلمى أن الداعية إلى الله يجب أن يكون قوله ليناً وأسلوبه هيناً حتى يكون أكثر تأثيرا فى الناس .

يقول سفيان الثورى :

ـــ لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث خصال : رفيق بما يأمر ، رفيق بما ينهى ، عدل بما يأمر ، عدل بما ينهى ، عالم بما يأمر عالم بما ينهى .

جعلنا الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .



طاعة الزوج

على الزوجة طاعة زوجها مطلقا فى كل ما طلب منها فى نفسها مما لا معصية فيه . وقد ورد فى تعظيم حق الزوج على زوجته أخبار كثيرة . يقول أبو القاسم ﷺ :

ـ « أيُّمَا امرأةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا راض دَخلَتِ الجَنَّةَ » .

وقال الله تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ الله بعضَـهُمْ عَلَى بَعْضٍ وبما أنْفقُوا مِنْ أمْوالِهِمْ﴾[1] يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية بكمال العقل ـ النساء ناقصات عقل ودين ـ وحسن التدبير ، ومزيد القوة فى الأعمال والطاعات ، ولذلك خُصوا بالفتوى والإمامة والولاية وإقامة الشعائر والشهادة وزيادة السهم فى الميراث ـ .

سألت أم المؤمنين عائشةُ رسول الله ﷺ : يانبيَّ الله ، أىُّ الناس أعظم حقًّا على المرأةِ ؟

قال رسول الله ﷺ : « زوجُها ».

فقال عائشة : فأىُّ الناسِ أعظمُ حقاً على الرجلِ ؟

قال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « أُمُّه » .

لقد خلق الله تعالى المرأة لكى تكونَ سكنا للرجل بعد أن يتم الارتباط الزوجى بينه وبينها ، يقول الحق جل وعلا : ﴿وَمنْ آياتِهِ أنْ خَلَق لَكُم مِّنْ أنفسِكُمْ أزْواجًا لتسْكُنوا إلَيْهَا وجعَلَ بَيْنَكُم مودَّةً وَرَحْمةً إنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِقوم يَتفكَّرُونَ﴾[2] ولن يكون هناك سكن بين الزوج والزوجة إلا إذا كانت هناك معاشرة زوجية يتوجها الود والرحمة .

وأتت فتاة بيت عائشة بنت أبى بكر فسألت رسول الله ﷺ : يارسول الله ، إنى فتاةٌ أخْطَبُ فأكرهُ التزويج فما حقُّ الزوجِ على المرأة ؟

---

(١) سورة النساء : الآية ٣٤ .

(٢) سورة الروم : الآية ٢١ .

قال رسول الله ﷺ : « لو كان من فرقه ــ الزوج ــ إلى قدمه صديدٌ فلحسَتْهُ ما أدَّتْ شكرَه » .

فقالت الفتاة : أفلا أتزوجُ ؟

قال النبى ﷺ : « بلى تزوجى فإنه خير » .

وبينما كان رسول الله ﷺ فى مسجده أتت امرأة من خثعم فقالت : إنى أمرأة أيم ــ فقدت زوجها ــ وأريد أن أتزوج فما حقُّ الزوج ؟

قال رسول الله ﷺ : « إن من حقِّ الزوجِ على الزوجةِ إذا أرادَهَا فراودَهَا عن نفسِهَا وهى على ظهر بعير لا تمنعُهُ . ومن حقِّهِ أن لَا تُعْطِى شيئاً من بَيْتِهِ إلا بِإذْنِهِ ، فإن فَعَلَتْ ذَلكَ كَانَ الْوِزْرُ عَلَيْهَا والأجْرُ له . ومن حقِّهِ ألا تصومَ تطوعاً إلا بإذنه فَإن فَعَلَتْ جَاعَتْ وَعَطَشَتْ ولم يُتَقَبَّلْ مِنْهَا ، وإنْ خَرَجَتْ من بَيْتِها بِغَيْرِ إذْنِهِ لَعنتها الملائكةُ حتى ترجعَ إلى بيتِهِ أو تَتُوبَ » .

لقد حدد رسول الله ﷺ فى هذا الحديث حقوق الزوجة لزوجها .

يقول ﷺ : « إذا دعا الرجل امْرَأَتَهُ إلى فراشه ــ كناية عن الجماع ــ فلم تَأْتِهِ فَبَاتَ غضبانَ عَليها لعنتْهَا الملائكةُ حتى تصبحَ » .

وقال النبى ﷺ : « وَإِذَا بَاتَتْ المرأةُ هاجرةً فراشَ زوجِهَا لعنتها الملائكةُ حتى تصبحَ » .

ويقول أبو القاسم ﷺ : « والَّذِى نفسى بِيَدِهِ ما مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إلى فِرَاشِهِ فَتَأْبَى عليه ــ تترك بغير مانع من مرض أو تمنع-يستمر سخطُ الله ــ عز وجل ــ عليها حتى يَرْضَى عنها زوجها ــ إلا كان الذى فى السماءَ سَاخِطاً عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا » .

وقال ﷺ : « إذا دَعا الرجلُ زوجَته لحاجَتِهِ فَلْتَأْتِهِ ــ فوراً ــ وإن كانت على التَّنُّورِ الذى يخبز فيه أى : تجيب طلبه » .

ولقد لعن الله ــ عز وجل ــ المرأة المسوفة .

يقول رسول الله ﷺ : « لعن الله المسوفاتِ التى يدعوها زوجها إلى فراشه فتقول : سوف .. حتى تغلبه عيناه » ـــ أى ينام ـــ

وحذر رسول الله ﷺ من إيذاء المرأة لزوجها فقال : « لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور والعين ـــ نساء الجنة ـــ لاتؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيلٌ ـــ ضيفٌ ـــ يوشكُ أن يفارقك إلينا » .

ولقد عظم نبىُّ الرحمة احترام الزوجة لزوجها فقال : «لو كُنْتُ آمِراً أَحَداً أن يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ المرأةَ أن تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا» .

ومن حق الزوج على زوجته أن لا تعطى شيئاً من بيته إلا بإذنه فإن فعلت ذلك كان عليها الإثم والوزر ولزوجها الأجر والثواب . يقول أبو القاسم ﷺ : «خير فائدة أفادها المرءُ المسلم بَعد إسلامه : امرأة جميلة تَسُرُّهُ إذا نَظَر إلَيْهَا ، وَتُطِيعُهُ إذا أَمَرَهَا ، وَتَحْفَظُهُ فى غَيْبَتِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهَا» .

قال النبى ﷺ : «ما استفاد المؤمنُ من تَقْوىِ الله خيراً له مِنْ زوجةٍ صالحةٍ إن أَمَرهَا أَطَاعَتْهُ وإن نظر إليها سَرَّتْهُ وإن أَقْسَمَ عليها أَبَرَّتْهُ وإن غَابَ عنها نَصَحَتْهُ فى نَفْسِهَا وَمَالِهِ» .

ومن حق الزوج على زوجته ألا تصوم تطوعا إلا بإذنه ..

قال رسول الله ﷺ : «لا يحل للمرأة أن تصومَ وزوجُهَا شاهدٌ ـــ حاضرٌ ـــ إلا بِإِذْنِهِ ، ولا تأذنُ فى بَيْتِهِ إلا بِإِذْنِهِ» ـــ أى لرجلٍ محرم أو غيره ـــ

وقال النبى ﷺ : «كلكم راعٍ ـــ حافظٌ مؤتمنٌ ملتزمٌ إصلاحَ ما ائتمنَ على حفظِهِ فهو مطلوبٌ بالعدل فيه والقيامِ بمصالحه ـــ وكلُّكُم مسئول عن رعيته . والأمير ـــ ذو الأمر يشمل سائر الحكام ـــ راعٍ ـــ ينظر فى شؤونهم ويدير أمورهم ويدفع المضرات عنهم ـــ والرجلُ راعٍ على أهل بيته ـــ يقوم بكفايتهم ويأمُرُهُم بالمعروف ـــ والمرأة ـــ تقوم بحفظِهِ وحضانَةِ ابنه وخدمَتِهِ ـــ راعيةٌ على بيتِ زوجِها وولدِهِ فكُلُّكُم رَاعٍ وكُلُّكُمْ مسئول عن رعيتِهِ» .

لماذا لا تطيع المرأة من يشقى لإسعادها ، ومن يبذل لراحتها ؟ أليس هذا حقا شرعيا

لذلك الكادح المتعب ، والمجاهد الدائب ، الذى يعظم حقه وتجب طاعته فى الخير والمعروف ؟ أليس الزوج أميراً باذلا ؟ إنه راع عامل ومن النَّصفة أن يطاع الأمير فى حدود الطاعة ، فعلى الزوجة طاعته فيما ليس معصيةً ولا مفضياً إلى مضرة ، فإنه لا ضرر ولا ضرار ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . وطاعة الزوجة لزوجها فى هذا الإطار لها أثرٌ كبيرٌ فى صفاء الجو العائلى ، ولهذا عظيم الثواب فالزوجة المطيعة التى رضى عنها زوجها لها ثواب المجاهد فى سبيل الله .. الجنة .

جاءت أسماء بنت يزيد بن السكن مسجد رسول الله ﷺ فوجدت النبى ﷺ بين أصحابه فقالت : بأبى أنت وأمى يارسول الله ، أنا وافدة النساء إليك إن الله ـــ عز وجل ـــ بعثك إلى الرجال والنساء كافة ، فآمنا بك واتبعناك ، وإنا معشر النساء محصوراتٌ مقصوراتٌ قواعد بيوتكم ، ومقضى شهواتكم ، وحاملات أولادكم ، وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع ـــ صلاة الجمعة ـــ والجماعات ، وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحجِّ ، وأفضلُ من ذلك الجهادُ فى سبيل الله ـــ عز وجل ـــ ، وأن الرجل إذا خرج حاجًّا أو مجاهدًا حفظنا لكم أموالكم وغزلنا أثوابكم وربينا لكم أولادكم ، أفنشارككم فى هذا الأجر والخير ؟

فالتفت النبى ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم تساءل : هل سمعتم مقالة امرأةٍ أحسن سؤالاً عن دينها من هذه ؟

قال أصحاب رسول الله ﷺ : يارسول الله ، ما ظننا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا .

فالتفت رسول الله ﷺ إلى أسماء بنت يزيد بن السكن وقال لها : انصرفى ياأسماءُ وأعلمى من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكُنَّ لزوجها ـــ طاعة زوجها ـــ وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته واعترافاً بحقه يعدل كل ما ذكرت للرجل ، وقليلٌ منكن من يفعله .

ومن حق الزوج على زوجته ألا تخرج من بيتها إلا بإذنه ..

كان رجل وزوجته يسكنان فى العلو ، وكان والد الزوجة يسكن فى الأسفل ، وذات يوم قرر الزوج السفر فقال لامرأته : لا تبرحى بيتك حتى أعود .

وسافر الزوج ومرض والد الزوجة ، وأرادت أن تعود أباها ولكنها تذكرت وصية زوجها فأرسلت إلى النبى ﷺ فقال لها : أطيعى زوجك .

وثقل المرض واشتدت وطأته .. وأرادت الزوجة أن ترى أباها قبل أن يموت فبعثت إلى رسول الله ﷺ فأرسل إليها ناصحا : أطيعى زوجك .

ومات الأب فبعثت الزوجة إلى أبى القاسم ﷺ تستأمره .. فقال ﷺ : أطيعى زوجك .

ودفن أبوها .. ثم أرسل رسول الله ﷺ مبشرا : إن الله قد غفر لأبيك بطاعتك لزوجك .

يقول النبى ﷺ : «إذا صَلَّتِ المرأةُ خَمْسَها ــ الصلوات الخمس ــ وَصَامَتْ شَهْرَهَا ــ رمضان ــ وَحَفِظَتْ فرجَهَا ، وأطَاعَتْ زوْجَها ، دَخَلَتْ جَنَّةَ رَبِّها» .

ويقول رسول الله ﷺ : «أقربُ ما تكونُ المرأةُ من وجهِ ربِّها إذا كانَتْ فى قَعْرِ بَيْتِهَا ، وإن صَلاتَها فى صَحْنِ دارِهَا أفضلُ من صلاتِها فى المسجِدِ ، وصلاتُها فى بَيْتِها أفضلُ من صلاتِها فى صحْنِ دارِها ، وصلاتُها فى مَخْدَعِهَا ــ بيتٍ فى بيتٍ ــ أفضلُ من صَلَاتِها فى بَيْتِهَا» .

لقد قال رسول الله ﷺ : «المرأةُ عورةٌ فإذا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَها الشيطانُ» ــ علاها الشيطان ــ

وقال ــ ﷺ ــ : «للمرأة عشرُ عوراتٍ فإذا تزوجت ستر الزوجُ عورةً واحدةً فإذا ماتت سترَ القبرُ العشرَ عوراتٍ» .

لما زوج رسول الله ﷺ ابنته فاطمة الزهراء ابن عمه عليًّا قَضَى على ابنته بِخِدْمَةِ البيتِ وَقَضَى عَلَى عَلِيٍّ بن أبى طالبٍ بما كان خَارِجَ البيتِ» .

يقول ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : «للمرأة سِتْرَانِ» ، فقيل ما هما ؟ قال : «الزوج والقبر» .

أختي المسلمة ...

حقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران : الصيانة والستر ..
ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتَّعَفُّف عن كسبه إذا كان حراماً .

كانت عادة النساء فى السلف إذا خرج الرجل من منزله تقول له امرأة أو ابنته : إياك وكسب الحرام فإنا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار .

وهم رجلٌ بالسفر فكره جيرانُه سفره وقالوا لزوجته : لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة ؟

قالت الزوجة : زوجى منذ عرفته أكّالاً وما عرفته رزَّاقاً ، ولى ربٌّ رزاقٌ يذهب الأكَّالُ ويبقى الرَزَّاقُ .

ومن الواجبات على الزوجة ألا تفرط فى مال زوجها ، بل تحفظه عليه ، قال رسول الله ﷺ : «لا يحل لها أن تُطْعِمَ من بيته إلا بإذنه إلا الرطبَ من الطعامِ الذى يُخَافُ فسادهُ فإن أَطْعَمَتْ عن رِضَاهُ كان لها مثلُ أجْرِه وإن أَطْعَمَتْ بغيرِ إذنِهِ كان له الأجرُ وعليها الوزرُ .

وإذا غاب عنها زوجها لزمت بيتها ولا تكثر صعودها واطلاعها ، وأن تكون قليلة الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم إلا فى حال يوجب الدخول ، وتحفظ بعلها فى غيبته وتطلب مسرته فى جميع أمورها محترزة أن يسمع غريب صوتها أو يعرفها بشخصها .
أختي المسلمة ...

هذه بعض الآداب التى تقوى العلاقة بين المرأة وزوجها ، وتجعل السرور والفرح يظللان بيتها ، وتحظى برضى زوجها ورضى الله ـــ عز وجل ـــ ورضى رسوله ﷺ .

إكـــرام الضيـــف

أوصى رسول الله ﷺ بإكرام الضيف فقال :

من كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخر فليكرمْ ضيفِهُ ــ بطلاقة الوجه وتعجيل قراه والقيام بخدمته بنفسه ــ ومن كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ، ومن كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخر فَلْيَقُلْ خيرًا أو لِيَصْمُتْ » .

وقال ﷺ : « لا خَيرَ فِيمَنْ لا يَضِيفُ » .

ومر النبى ﷺ برجل له إبل وبقرٌ كثيرة فلم يُضَيِّفْهُ ، ومرَّ بامرأة لها شويهاتٌ فذبحت له فقال ﷺ لأصحابه : « انظروا إليهما ــ الرجل صاحبُ الإبل والمرأةُ الفقيرةُ ــ إنما هذه الأخلاقُ بيد الله فمن شاء أن يمنحَهُ خُلُقاً حَسَناً فعل» .

وكان إبراهيم الخليل ــ عليه السلام ــ إذا أراد أن يأكل خرج ميلاً أو ميلين يلتمس من يتغذى معه وكان يكنى أبا الضيفان ، يقول ــ تبارك وتعالى ــ : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ إبراهيمَ المكْرَمِينَ﴾(١) . دخلوا عليه فقالوا : نسلم عليك سلاماً .

فقال نبى الله إبراهيم ــ عليه السلام ــ : سلام

كان لا يعرفهم ، ولكنه ذهب إلى أهله فجاء بعجل مشوى فقربه إلى ضيفه ..

وذات ليلة جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إنى مجهود .

فأرسل النبى ﷺ إلى بعض نسائه فقالت : لا والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء ..

فأرسل رسول الله ﷺ إلى أخرى فقالت : لا والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء .

(١) سورة الذاريات : الآية ٢٤ .

حتى قلن ـــ أمهات المسلمين ـــ كلهن مثل ذلك .. فتساءل النبى ﷺ : من يضيف هذا الليلة رحمه الله ؟

فقام رجل من الأنصار وقال : أنا يارسول الله .

فصحب الأنصارى الرجل إلى داره فقال لزوجته : أكرمى ضيف رسول الله ﷺ .

فوقفت الزوجة ولم تتحرك فسألها زوجها : هل عندك شئ ؟

قالت الزوجة : لا إلا قوت صبيانى .

فقال الأنصارى : فعلليهم بشئ فإذا أرادوا العشاء فنوميهم ، وإذا دخل ضيفنا فأطفئى السراج .

وجلس الضيف ليأكل فقامت الزوجة إلى السراج فأطفأته وجلست هى وزوجها يتظاهران بأنهما يأكلان حتى أكل الضيف وشبع وبات الأنصارى وزوجته طاوين .

ولما أصبح غدا على رسول الله ﷺ فقال : قد عجب الله من صنيعكما ـــ الأنصارى وامرأته ـــ بضيفكما .

ونزل قوله تعالى : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(١) الخصاصة : الفقر .

كان رسول الله ﷺ يوصى أصحابه ويرغبهم فى إكرام الضيف فقال يوما :« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه . من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » .

فقال رجل : وما كرامة الضيف يارسول الله ؟

قال النبى ﷺ : « ثلاثة أيام فما زاد بعد ذلك فهو صدقة » .

ويوم أن قدم وفد النجاشى ملك الحبشة إلى مدينة رسول الله ﷺ قام النبى ﷺ

---

(١) سورة الحشر : الآية ٩ .

يخدمهم بنفسه ، فقال بعض الذين هاجروا من مكة إلى الحبشة : الزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وعامر بن ربيعة و .. :

نحن نكفيك يارسول الله ...

فقال رسول الله ﷺ : «إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين ، وإنى أحبُّ أن أكافئهم» .

لقد أبى رسول الله ﷺ إلا أن يخدمهم بنفسه ، ويقبل عليهم بوجهه الطلق الشريف وابتسامته التى تضىء الصدور وتشرح القلوب .

تقول أم المؤمنين عائشة : قال رسول الله ﷺ : «الملائكةُ تُصَلِّى على أحَدِكُم مادامَتْ مَائِدَتُه مَوْضُوعَةً» .

وسئل رسول الله ﷺ : ما الإيمان ؟

قال النبى ﷺ : «إطعام الطعام ـــ إكرام الضيف ـــ وبذل السلام ـــ إفشاء السلام ـــ»

وسأل رجل أبا القاسم ﷺ قائلا : يانبى الله ما الحج المبرور ؟

قال الصادق الصدوق ﷺ : «إطعامُ الطعامِ وطيبُ الكَلَامِ» ..

أختى المسلمة ...

إذا دعوت فاعمدى بدعوتك إلى أخواتك الأتقياء ، يقول نبى الرحمة ﷺ : «لا تأكُلْ إلا طَعَامَ تَقِىٍّ ولا يأكُلْ طَعَامَكَ إلّا تَقِىٌّ» .

ويقصد النبى ﷺ الفقراء الأتقياء دون الأغنياء ، ويجب ألا تهملى أقاربك فى ضيافتك فإن إهمالهم إيحاشٌ وقطع رحم .

يقول أبو القاسم ﷺ : «شَرُّ الطعامِ طعامُ الوليمَةِ يُدْعَى إليهَا الأغنياءُ دونَ الفُقَرَاءِ» .

وينبغى ألا يقصد بدعوتك المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الأخوات والاتباع لسنة رسول الله ﷺ فى إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المؤمنات .

يقول أنس بن مالك : بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة .

وقال قائل :

لم لا أحب الضيف أو ... أرتاح من طرب إليه
والضيف يأكل رزقه ... عندى ويشكرنى عليه

وقال آخر :

أضاحك ضيفى قبل إنزال رحله ... ويخصب عندى والمحل جديب
وما الخصب للأضياف فى كثرة القرى ... ولكنها وجه الكريم خصيب

أختى المؤمنة ، هذه تبصرة وذكرى لمن له قلب ، فاعتبرى بما تعلمت من وصايا رسول الله ﷺ ففيها الخير والسعادة .

التحذير من أذى الجار

أمر الله ــ عز وجل ــ بالإحسان إلى الجار ، فقال ــ سبحانه وتعالى ــ : ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ ولاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وبِالوَالِدَيْنِ إحْسَانًا وبِذِى القُرْبى وَالْيَتَامَى والمَسَاكِينِ وَالجارِذِى القُرْبَى والجَارِ الْجُنُبِ والصَّاحِبِ بالجَنْبِ وابنِ السَّبِيل وَما ملكتْ أيمانُكم﴾[1] .

والجار كما جاء فى الآية الكريمة ثلاثة :

الأول : القريب منك فى الجوار أو النسب أى : الذى بينك وبينه قرابة المسلم .

الثانى : البعيد عنك فى الجوار أو النسب أى : اليهودى أو النصرانى .

الثالث : الرفيق فى سفر أو صناعة ــ وقيل الزوجة .

قال رسول الله ﷺ : «مَازَالَ جِبريلُ يُوصِينِي بالجار حَتَّى ظَنَنْتُ أنه سَيُوَرِّثُهُ» .

وقال النبى ﷺ : «خَيرُ الأصحَابِ عندَ الله خيرُهم لصاحبِهِ وخيرُ الجيرانِ عندَ الله خيرُهم لجارِهِ» .

ونهى رسول الله ﷺ أن يشبع الرجل دون جاره فقال : «لا يشبعُ الرجلُ دونَ جاره» .

وسألت أم المؤمنين عائشة رسول الله ﷺ يوما قائلة : يارسول الله إن لى جارين فإلى أيهما أهدى ؟

قال النبى ﷺ : إلى أقربهما منك بابا .

قال رسول الله ﷺ : «الجيرانُ ثلاثةٌ:جار له حقّ واحدُ وهو أدنى الجيرانِ حقّا ، وجارُ له حَقّان ، وجارُ لَهُ ثَلاثة حُقوق ، وهو أفضل الجيران حقا . فأما الجارُ الذى له حق واحد فجارُ مشركٌ لارحمَ لهُ ، لهُ حق الجوار ، وأمَّا الجارُ الّذى له حقّانِ فجارٌ

(١) سورة النساء : الآية ٣٦ .

مسلمٌ لهُ الإسْلامِ وحقُ الجوارِ ، وأما الذِى لَهُ ثلاثَةُ حقوقِ فجارٌ ذُو رحِمٍ له حقُّ الجوارِ وحقُّ الإسْلامِ وحقُّ الرحمِ» .

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه يوما : والله لا يؤمن والله لا يؤمنُ . فقالوا : من يارسول الله ؟

قال النبى ﷺ : «من لا يأمن جاره بوائقه» ــ غشه وغوائله وشروره ــ

وقال رسول الله ﷺ : «أولُ خَصْمَيْنِ يوَمَ القيامة جاران» .

وجاء رجل إلى النبى ﷺ يشكو جاره فقال له رسول الله ﷺ : «اصبر» .

ثم قال له الثالثة والرابعة فقال له النبى ﷺ : «اطرح متاعك فى الطريق» .

فطرح الرجل متاعه فى الطريق فجعل الناس يمرون عليه ويقولون له : مالك ؟

فيقول الرجل : آذانى جارى .

فجعلوا يقولون : لعنه الله .

فجاء هذا الجار ، فقال للرجل متوسلا : رد متاعك فوالله لا أعود ــ لا أعود إلى إيذائك ــ

وقال أبو هريرة : يارسول الله فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها ــ تكثر من نوافل الصلاة والصيام والصدقة بعد أداء الفرائض ــ غير أنها تؤْذى جيرانها بلسانها .

قال أبو القاسم ﷺ : «هى فى النار» .

وأتى رسول الله ﷺ رجل فجعل يشكو جاره فأمر النبىُّ ﷺ أن يُنادَى على باب المسجد : ألا أن أربعين دارًا جارٌ .

أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأومأ إلى أربع جهات .

وسئل رسول الله ﷺ عن أعظم الذنوب فقال : «أن تجعل لله نِدًّا وهو خَلقَكَ ، وأن تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أن يُطْعَمَ معك ، وأن تَزْنِىَ بحليلةِ جَارِكَ» .

وجاء رجل إلى أبي القاسم ﷺ فسأله : يارسول الله ، دلني على عمل إذا قمت به دخلت الجنة ؟

فقال النبي ﷺ : « كن محسنا » .

فتساءل الرجل : يانبيَّ الله كيف أعلم أني محسن ؟

قال رسول الله ﷺ : « سل جيرانك فإن قالوا : إنك محسن فأنت محسن ، وإن قالوا : إنك مسيء فأنت مسيء » .

وقال رسول الله ﷺ : « لا يستقيمُ إيمانُ عبدٍ حتى يستقيمَ قلبهُ ، ولا يستقيمَ قلبهُ حتَّى يستقيمَ لسانُه ، ولا يستقيمَ لسانُه ولا يدخلَ الجنةَ حتى يأمنَ جارُهُ بوائِقَهُ » ــ البوائقُ جمع بائقةٍ وهى الشر وغائلته ــ

وحذر رسولُ الله ﷺ من إيذاء الجار فقال : « من آذى جاره فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن حاربَ جاره فقد حاربنى ، ومن حاربنى فقد حاربَ الله ــ عز وجل ــ » .

وقال النبي ﷺ : « إن الله قسمَ بينكمْ أرزاقَكم ، وإن الله ــ عزَّ وجلَّ ــ يُعطِي الدنْيا منْ يحبُّ ومن لا يحبُّ ، ولا يعطِي الدينَ إلَّا من أحبَّ ، فمن أعطاهُ الدينَ فقدْ أحبهُ ، والذِى نَفْسِي بيدِه لا يسْلمُ عبدٌ حتَّى يُسلمَ قلبُه ولسَانُه ولا يُؤمنُ حتَّى يَأمنَ جارُه بوائِقَه » .

فقال عبد الله بن مسعود : يارسول الله وما بوائقه ؟

قال رسول الله ﷺ : غشه وظلمه ، ولا يكتسب مالاً من حرام ، فينفق منه فيبارك فيه ، ولا يتصدق به فيقبل منه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده فى النار إن الله لا يمحو السيىء بالسيىء ولكن يمحو السيىء بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث .

وقال رسول الله ﷺ : « ما آمنَ بِي من باتَ شبعان وجارُه جائعٌ إلى جَنْبه وهو يعلم » .

وقال أبو القاسم : ليس المؤمن الذى يشبع وجاره جائعٌ .

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله اكْسُنِى .

فأعرض النبى ﷺ عنه فقال الرجل : يارسول الله اكْسُنِى .

فتساءل رسول الله ﷺ : أما لك جار له فضل ثوبين ؟

فقال الرجل : بلى يارسول الله غير واحد .

فقال النبى ﷺ : فلا يجمع الله بينك وبينه فى الجنة .

وسأل رسول الله ﷺ أصحابه : من يأخذ عنى هذه الكلمات فيعمل بهن أو يُعَلِّم من يعمل بهن ؟

فقال أبو هريرة — عبد الرحمن بن صخر — : أنا يارسول الله .

فأخذ بيده فعد خمسا فقال : «اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قُسِمَ لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا ، وأحِبّ للناس ما تُحِبُّ لنفسك تكن مُسْلمًا ولا تكثر الضحكَ فإن كثرةَ الضحِكِ تميتُ القلب» .

وكان نبى الله داود يدعو ربه فيقول : اللهم إنى أسألك أربعاً وأعوذ بك من أربع : أسألك لسانًا صادقاً ، وقلبًا خاشعًا ، وبدنًا صابرًا ، وزوجةً تعيننى على أمر دنياى وأمر آخرتى . وأعوذ بك : من مالٍ يكون مشبعَةً لغيرى بعد موتى ، ويكون حسابه فى قبرى ، ومن جار سوءٍ إنْ رأى حسنةً كتمها وإن رأى سيئةً أذاعها وأفشاها .

كان لمالك بن دينار جار يهودى فقام ذات ليلة وحفر قناةً كاللحد وحول مستحمه ونجاسته — مجارى داره — إلى جدار مالك بن دينار ، وعندما خرج مالك بن دينارٍ من داره إلى المسجد ليصلى الفجر رأى ذلك فعرف ما فعله جاره اليهودى .. ولكنه سكت .

وأخذ مالك بن دينارٍ ينظف بيته كل يوم دون أن يحدث اليهودى . وضاق صدر اليهودى . فذهب إلى مالكٍ بن دينار وقال له : يامالك لقد آذيتك وأنت صابر فلم لا تخبرنى ؟

قال مالك بن دينار : لقد أوصانا نبينا ﷺ بالجار فقال : مازالَ جبريلُ يوصِنى بالجارِ حتَّى ظننتُ أنه سيورثُه .

فقال اليهودى : يامالك أنت تعاملنى بهذه المعاملة منذ زمان طويل ، وأنا مقيم على كفرى ، والله إن دينكم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويوصى بحسن الجوار ، فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

أختى المسلـمة ..

ما هى حقوق الجار على الجار ؟ لقد سأل النبى ﷺ أصحابه هذا السؤال قائلا لهم : أتدرون ما حقُّ الجارِ ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال الصادق الصدوق ﷺ : إن استعان بك أعنته ، وإن استنصرك نصرته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن افتقر عدت عليه ، وإن مرض عدته ، وإن مات تبعت جنازته ، وإن أصَابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيته ، ولا تستعمل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، وإن اشتريت فاكهةً فأهد له فإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ، ولا تؤذه بقتار قِدْرِك إلا أن تَغْرِفَ له منها .

ثم أردف ﷺ : أتدرون ما حقُّ الجار ؟ والذى نفسى بيده لا يبلغُ حقَّ الجار إلا منْ رحمهُ الله .

يقول حسن البصرى : حقُّ الجار على الجار تسعةٌ : إن استقرضك أقرضته ، وإن دعاك أجبته ، وإن مرض عدته ، وإن استعان بك اعنته ، وإن أصابته مصيبة عزَّيته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن مات شيَّعته ، وإن مات أحفظْ منزلَه وعياله وواسهِمِ وَلَا تؤذِه .

هل حقُّ الجار كفُّ الأذى فقط ؟

أو احتمال الأذى ؟ فإن الجار قد كفَّ أذاه فليس فى ذلك قضاء حقٍّ ولا يكفى احتمالُ الأذى بلْ لابدَّ من الرفق وإسداء الخير والمعروف .

يقول رسول الله ﷺ : كم من جار متعلق بجاره ــ يوم القيامة ــ يقول يارب سل هذا لم أغلق عنى بابه ومنعنى فضله ؟

شكا بعضهم كثرة الفأر ــ الفيران ــ فى داره فقيل له : لو اقتنيت هِرًّا ؟

فقال : أخشى أن يسمع الفأر صوت الهر فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم ما لا أحبُّ لنفسى .

أختــى المســلمة ...

حق الجارة أن تبدئيها السلام ولا تطيلى معها الكلام ، ولا تكثرى عن حالها السؤال ، وتعوديها فى المرض ، وتعزيها فى المصيبة ، وتقومى معها فى العزاء ، وتهنئيها فى الفرح وتظهرى الشركة فى السرور معها ، وتصفحى عن زلاتها ولا تتطلعى من السطح إلى عوراتها ، ولا تضايقى جيرانك فى وضع السجاجيد على الجدران ولا فى صبِّ الماء فى الشارع ولا طرح التراب فى فنائهن و ..

تقول أم المؤمنين عائشة : خلال المكارم عشرٌ تكون فى الرجل ولا تكون فى أبيه ، وتكون فى العبد ولا تكون فى سيده ، يقسمها الله ــ تعالى ــ لمن أحبَّ : صدق الحديث وصدقُ الناس ، وإعطاءُ السائل ، والمكافأةُ بالصَّنائِعِ ، وصلةُ الرحِمِ ، وحِفْظُ الأمانة ، والتذمم للجارِ ، والتذممِ للصاحبِ ، وقرى الضيف ، ورأسُهنَّ الحَيَاءُ .

وقال أبو هريرة عن رسول الله ﷺ : « يامعشر المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاةٍ » .

يقول ابن عباس : ثلاثُ خصالٍ مستحسنةٌ كانت فى الجاهلية والمسلمون أولى بها :

أولها : لو نزل بهم ضيفٌ اجتهدوا فى بره .

الثانى : لو كانت لأحدهم امرأة كبيرة عنده لا يطلقها ويمسكها مخافة أن تضيع .

الثالث : إذا لحق بجارهم دين أو أصابته شدة اجتهدوا حتى يقضوا عنه دينه ، وأخرجوه من تلك الشدة .

وقال سفيان الثورى : من الجفاء أن يشبع المرءُ وجارهُ جوعانُ لا يطعِمُهُ شيئا .

وقال آخر : تمام حسن الجوار فى أربعة أشياء :

الأول : أن يواسيه بما عنده .

الثانى : أن لا يطمع فيما عند جاره .

الثالث : أن يمنع أذاه عنه .

الرابع : أن يصبر على أذاه .

أختــى المؤمــنة ...

اذكرى كل هذا ولا تنسى قول طبيب القلوب ﷺ : «مَازالَ جبريلُ يوصِينِي بالجارِ حتَّى ظننْتُ أنهُ سيوَرِّثُه» .

الوصية الخامسة

حســـن الخلـــق

لا يكمل إيمان المرء إلا بحسن الخلق .

تقول أم المؤمنين عائشة : سمعت رسول الله ﷺ يقولُ : «إن المؤمنَ ليدرِكُ بحسنِ خلِقِه درجةَ الصائمِ القائمِ» .

وتقول أم الدرداء عن زوجها : قال رسول الله ﷺ : «ما منْ شيءٍ أثقلُ فى الميزانِ من حسنِ الخلقِ» .

ويقول أبو أُمامة : قال النبى ﷺ :«أنا زعيم ببيتٍ فى رُبضِ الجنَّة ـــ فيما حوْلها من خارج عنها ـــ لمن ترك المراء وإن كان محقًّا ؟ وبيتٍ فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا ، وبيتٍ فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه» .

وجاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا : السام ـــ الموت ـــ عليك يا أبا القاسم .

فقال رسول الله ﷺ : وعليكم .

فقالت عائشة : بل عليكم السام والذّام .

فقال النبى ﷺ : ياعائشة لاتكونى فاحشةً .

فقالت عائشة : ما سمعت ما قالوا ؟

قال رسول الله ﷺ : «أو ليس قد رددت عليهم الذى قالوا ؟ قلت : وعليكم . مه ياعائشة فإنَّ الله لا يحبُّ الفحشَ والتفحُّشَ» .

أختـــى المسلمـــة ...

إن هذه الوصية النبوية فيها حضٌّ على حسن الخُلقِ ، ونَهْىٌ عن الفُحشِ وسوءالخلق ، فليست التَّقوى هى القيامُ بحقِّ الله من صلاةٍ وصيام و .. دون حقوق عباده .

ماذا تعنى كلمة «حسن الخلق» ؟

يقول الإمام على بن أبى طالب : حسن الخلق فى ثلاث خصال : اجتنابُ المحارمِ وطلب الحلال ، والتوسعةُ على العيال.

ويقول الحسن البصرى : حسن الخلق : الكرمُ والبذلُ والاحتمال .

ويقول الإمام أحمد بن حنبل : حسنُ الخلق : لا تغضب ولا تحقد .

ويقول ابن المبارك : هو بسطُ الوجه ، وبذلُ المعروف ، وكفُّ الأذى .

وقال بعض أهل العلم : صاحب الخلق الحسن سخىٌّ لا يبخلُ ، شجاعٌ لا يجبُنُ .

وقد حبَّب النبىُّ ﷺ فى حسن الخلق ، وأعلى من مكانته فقال : «أثقلُ شيءٍ فى الميزان الخلقُ الحسنُ» .

وقد اتَّصف رسولنا الكريم بحسن الخلق ، فقد امتدحه رب العالمين فقال : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] واتصف أصحابه بحسن الخلق طمعًا منهم وسعيًا فى الوصول إلى هذا الأجر والثواب والخير .

يقول رسول الله ﷺ : «إن الله بعثنى لأتمم مكارمَ الأخلاقِ» .

كما قال ﷺ : «أدبني ربىِّ فأحسنَ تأديبى » .

ويقول الله ــ تبارك وتعالى ــ : ﴿وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾[2] .

قَدَّمَ الصَّعب بن جثامة إلى النبى ﷺ حمارًا وحشيا فردَّه رسول الله ﷺ إلى الصعب فلمَّا رأى ما فى وجه الصعب من حزن وألم قال :

إنَّا لم نرده عليك إلا لأنا حُرُم ــ كانوا فى منى يؤدُّون مناسك الحجِّ فهم محرمون وقد حُرِّم الصيدُ .

وسأل النواسُ بن سمعان رسول الله ﷺ : يانبى الله ما البرُّ ــ الطاعة ــ ؟

قال رسول الله ﷺ : «البر حسن الخلق» ...

---

(١) سورة القلم : الآية ٤ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٣٤ .

فقال النواس : وما الإثم ــ المعصية ــ ؟

قال النبى ﷺ : «الإثم ماحاك ــ تردد أى تفعله لداعية نفسك أو كراهيتها ــ فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس ــ خشية أن يعيره الناس لأن النفس تحبُّ المدح من الأفعال والأقوال» .

وسئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل النَّاسَ الجنة فقال :«تقوى الله ــ عملٌ يصلحُ ما بين العبد وربِّه ــ وحسن الخلق ــ عملٌ يصلحُ بين العبد وخلقه ــ».

وسُئلَ النبىُّ ﷺ عن أكثر ما يُدخِلُ النَّاسَ النارَ فقال : «الفم ــ يصدر منه الكفرُ بالله ، والغيبةُ ، والنميمةُ وأذى الناس ، ورمى الغير فى المهالك ، وإبطال الحقِّ ، وإبداءُ الباطلِ ــ والفرجُ ــ الزِّنا واللواطُ ــ»

وقال أبو القاسم ﷺ :«أكمل المؤمنين إيمانا أحسنُهم خلقًا ، وخيارُكم خيارُكم لنسائِهم ــ بحسن بشاشته وطلاقة وجهِهِ وكفِّ الأذى وبذلِ الندَى والصبر على إيذاء زوجته ــ

ويصفُ رسولُ الله ﷺ أقرب المؤمنين إليه فى الجنة يوم القيامة فيقول :«إنَّ منْ أحبِّكمْ إلىَّ وأقربكم منىِّ مجلسًا يوم القيامة أحاسِنُكمْ أخلَاقًا،وإنْ أبغَضَكُم إلىَّ وأبعدَكمْ منىّ يومَ القيامةِ الثرثارُ ــ كثيرُ الكلام تكلفًا وخروجاً عن الحقِّ ــ والمتشِّدقون ــ المتطاولُون على الناسِ بكلامهم ويتكلمون بملء فيهم تفاصحًا وتعظيمًا لكلامهم ــ والمتفيهِقُونَ ــ المتفيهقُون ــ المتفيهقُ : أصلُه من الفهقِ وهو الامتلاءُ وهو الذى يملأ فمه بالكلام ويتوسَّع فيه ويُغرِبُ به تكبُرا وارتفاعًا وإظهارًا للفضيلة على غيره ــ»

ولمَّا خرَجَ رسولُ الله ﷺ إلى مكة ــ لأداءِ حجةِ البلاغ أو حجةِ الإسلامِ أو حجَّة الودَاعِ ــ ونزلَ بمحل يقال له العرَجُ ففقدالبعير الذى عليه زاملته ــ الزاملةٌ بعيرٌ يستظهرُ به الرجلُ يحملُ متاعَه وطعامَه عليه ــ صلى الله عليه وسلم ، وزاملة أبى بكر الصديق ــ زادُهُما ــ وكان ذلك البعيرُ مع غلامٍ لأبى بكرٍ فسأل غلامه : أين بعيرك ؟

قال غلام أبى بكر الصديق : فقدته ــ ضللته ــ البارحة .

فقال أبو بكر وقد اعتراه الغضب واعترته حدة : بعيرُ واحد تضله ؟

وأخذ يضرب غلامَه بالسوطِ فقالَ رسول الله ﷺ لأصحابه : انظروا إلى هذا المحرِمِ ما يصنع ؟

ويتبسم ﷺ وقال لأبى بكر وكأنه يعاتبه :«لعانينَ وصدِّيقين كلَّا ورب الكعبة ».

كيف يلعنُ أبو بكر غلامَه وهو الصِّديقُ ؟ فأعتقَ غلامَه وبعضَ رقيقِه ، ثم قالَ لرسول الله ﷺ : لا أعودُ — لا أعودُ لمثل هذا .

لمَّا سئُلتْ أمُّ المؤمنين عائشة عنْ خُلقِ رَسُولِ الله ﷺ قالت : كانَ خلقُه القرآنُ — أى آدابُه وأوامِرُه —

لقد قال رسول الله ﷺ : أوحى الله إلى إبراهيم — عليه السلام — : ياخليلِى حسِّن خلقَكَ ولو مع الكفَّار تدخُل مدخَلَ الأبرارِ ، وإن كَلمَتِى سَبقت لمنْ حَسُنَ خُلُقه أن أظللَّه تحت عرشى وأن أسقيه من حظيرةِ قدسى ، وأن أدنيه — أقرِّبه — من جوارى —

وقال النبى ﷺ :«ما حسن الله خلقَ رجلٍ وخَلقَه فيطعمه النار أبدا » .

تقول عائشة : كان رسول الله ﷺ يقول :«اللَّهمَّ كمَا حَسّنْتَ خَلْقى فأحْسِنْ خُلُقِى»

ولما أراد الصحابى الجليل معاذُ بن جبل السفر إلى اليمن — أمرَّه رسول الله ﷺ على اليمن قال : يانبى الله أوصنى .

قال رسول الله ﷺ : أعبد الله لاتشركْ به شيئًا .

فقال معاذُ بن جبل : يانبى الله زدْنى .

قال النبى ﷺ : إذا أسأتَ فأحِسن .

قال معاذ بن جبل : يانبىَّ الله زدْنى .

قال رسول الله ﷺ : استقمْ وليحسنْ خلقُك .

كانت آخر نصيحةٍ نبوية للصحابى الجليل معاذ بن جبلٍ الذى كان أعلم الناس بالحلال والحرام هى حسنُ الخلق .

يقول أبو ذر الغفارى : قال لى حبيبى — ﷺ — : اتقِ الله حيثُما كنتَ وأتبع

السَّيِّئَة الحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ ـــ عاشِر ـــ الناسَ بخلقٍ حسَنٍ» .

وجاء رجلٌ رسول الله ﷺ فسأله : يارسول الله أىّ الصلاةِ أفضلُ ؟

قال رسول الله ﷺ : طولُ القنوتِ .

فقال الرجل : فأىُّ الصدقَةِ أفضلُ ؟

قال النبى ﷺ : جهد المقل

فتساءل الرجلُ : أىُّ المؤمنين أكملُ إيمانا ؟

قال رسول الله ﷺ :«أحسنُهُم خلقاً» .

وسأل رسول الله ﷺ أصحابه يوماً : ألا أخبركم بأيسر العبادة وأيسرها على البدَنِ ؟

قالوا : بلى يارسول الله .

قال رسول الله ﷺ :«الصمتُ وحسنُ الخلق» .

وأتى رجلٌ النبىَّ ﷺ من قبل وجهه فقال : يارسول الله أى العمل أفضل ؟

قال رسول الله ﷺ : حسنُ الخلِق .

ثَم أتاهُ عن يمينه فقال : أىُّ العمل أفضَلُ ؟ .

قال النبى ﷺ : حسنُ الخلِق .

ثم أتاه عن شماله فقال : يارسول الله أى العمل أفضلُ ؟

قال أبو القاسم ﷺ : حسنُ الخلِق .

ثم أتاه من بعده ـــ من خلِفه ـــ فقال : يارسول الله أىُ العمل أفضلُ ؟

فالتفت إليه النبى ﷺ وقال : مَالَك لاتفْقَهُ ، حسْنُ الخلِق هوَ أَلَّا تغضبَ إن استطعت .

ونصح رسول الله ﷺ أبا ذرٍّ وأوصاه فقال : يا أبا ذر ، ألا أدلك على خصلتين هُما أخفُّ على الظهرِ وأثقلُ فى الميزانِ من غيرِهِمَا ؟

قال أبو ذر الغفارى : بلىَ يارسول الله .

قال النبى ـــ ﷺ ـــ :«عليك بحسن الخلق وطُولِ الصَّمتِ فوالّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ مَا عمِلَ الخَلَائِقُ بمِثلِهِمَا».

وأوصى رسولُ الله ﷺ الصحابِّى الجليَل أَبَا الدَّرْدَاءِ ـــ عويمَر بن قيسٍ ـــ فقَالَ : « يا أبا الدرداء ، ألا أُنَبِّئُكَ بأمرين خفيفٍ مؤنتهُمَا عظيمٍ أجرُهُمَا لم تلقَ الله ـــ عز وجلَّ ـــ بمثلِهِمَا ؟

فقال عويمر بن قيس : بلىَ فداكَ أبِي وأمى .

قال رسول الله ﷺ : « طولُ الصَّمتِ وحسنُ الخلقِ » .

لقد كانَ رسول الله ﷺ يكثر الدعاء فيقول :«اللهم إنى أسألك الصحة والعافية وحسْنَ الخلقِ»

وسأل أعرابىٌّ رسول الله ﷺ : يارسولَ الله ، ما خيرُ ما أعْطِىَ العبْدُ ؟

قال النبىُّ ﷺ : « خُلُقٌ حَسَنٌ » .

وسألت أم حبيبة بنت أبى سفيان زوجة رسول الله ﷺ :

ـــ يانبى الله ، أرأيت المرأة يكون لها زوجان فى الدنيا فتموتُ ويموتَانِ ويدخلُون الجنة لأيهما تَكُونُ ؟

قال ﷺ : « لأحسنهما خلقًا كانَ عندها فى الدنيا ، ياأم حبيبة ذهب حسن الخلق بخيرى الدُّنيا والآخرة » .

وقال أبو القاسم ﷺ : « أول ما يوضعُ فى الميزان حسنُ الخلق والسَّخاءُ . ولما خلق الله الإيمان قال : اللهم قونى فقواه بحسن الخلق والسَّخاءِ . ولما خلق الله الكفر قال : اللّهمَّ قونى فقواه بالبخْل وسوءُ الخلُقِ » .

وقال النبى ﷺ : إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ، ولا يصْلحُ لدينكم إلا السخاء وحسنُ الخلقِ ، ألا فزينوا دينكم بهما».

وخرج رسول الله ذات ضُحىً فوجد أصحابَهُ فى مسجده فقال لهم : «إنكمْ لن تَسعُوا النَّاس بأموالِكم فَسَعوهمْ ببسْطِ الوَجْهِ وَحُسْنِ الخلُقِ» .

وكانَ رسول الله ﷺ يقولُ فى دعائِه ـــ فى افتتاح الصَّلاة : «اللهمَّ اهدنى لأحسن

الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت ، واصْرف سيئها لا يصرف سيئها إلا أنْتَ » .

ويقول أبو القاسم : « ثَلاثٌ مَن لمْ تكن فيه واحدةٌ منهنَّ فلا تعتدُّوا بشئ من عملِه : تقوىَ تحجزُه عن معاصِى الله ، أو حلمٌ يكفُّ به السفيه ، أو خلقٌ يعيشُ به بينَ النَّاسِ » .

وقال ﷺ : « إنى رأيتُ البارحِةَ عجباً ، رأيتُ رجلاً من أمتى جاثِيًا على ركبَتيهِ وبينَهُ وبينَ الله حجابٌ فجاءَ حسْنُ خُلقه فأدخَلَهَ على الله ــ تعالى ــ » .

ثم قال ﷺ : « إن العبَدَ ليبلغُ بحسنِ خلقِهِ عظيمَ درجاتِ الآخرِة ، وشرفَ المنازِل ، وإنه لضعيفٌ فى العَبادةِ » .

وسئل عبد الله بن عباس : ما الكرمُ يا ابن عمِّ رسولِ الله ؟

قال ابن عباس : هو ما بين الله فى كتابه العزيز ﴿إِنَّ أَكَرمكُم عِنْد الله أَتقاكُمْ﴾[1] .

فقيل له : فما الحسبُ ؟

قال عبد الله بن عباس : أحسنكم خلقاً أفضلُكم حسبًا .

ثم أردف : لكلِّ بنيانٌ أساسٌ وأساسُ الإسلامِ حُسْن الخلْق .

أختــى المســلمة ...

إن حسن الخلق هو الإيمان ، وسوء الخلق هو النفاق ، وكل إنسان جاهل بعيوب نفسه ، فإن جاهدها أدنى مجاهدة حتى يترك الفواحشَ والمعاصى ربما ظن أنه هذبها وحسن خلقه ، واستغنى عن المجاهدة ، فما هى علامات حسن الخلق ؟ يقول تبارك وتعالى : ﴿قَدْ أفلحَ المؤْمنُون . الَّذينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ . والَّذينَ هُمْ عنِ اللَّغْوِ معرِضُونَ . والَّذِينَ هُمْ للزَّكَاةِ فَاعِلُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لفرُوجِهِمْ حَافِظُون . إلَّا عَلَى أزْوَاجِهِمْ أوْ ما ملكتْ أيمانُهم فإنهمْ غَيْر مَلُومِين . فمنِ ابْتغَى وَراءَ ذَلِكَ فأولئِكَ هُمُ العَادُونَ . والَّذينَ هُمْ لأماناتِهِمْ وَعَهْدِهمْ رَاعُونَ . والَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلواتِهِمْ يُحَافِظُونَ . أولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ﴾[2] ويقول تعالى : ﴿إنَّمَا المؤْمنُونَ الَّذِينَ إذا ذُكرَ اللهُ

(١) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

(٢) سورة المؤمنون : الآيات ١ ــ ١٠ .

وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وإذَا تُلِيَتْ عَليهِمْ آياتُه زَادَتْهُمْ إيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . الَّذينَ يُقيمُونَ الصَّلَاة وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . أولئِكَ هُمْ المُؤمِنُونَ حَقًّا﴾[1] . وقال تعالى : ﴿وَعِبادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرضِ هَوْنًا وَإذَا خَاطَبهُم الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا . والَّذِينَ يَبِيتُونَ لربِّهِمْ سُجَّدًا وَقيامًا . وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إنَّ عَذابَهَا كَانَ غَرَامًا . إنهَا سَاءَتْ مُستقرًّا وَمُقَامًا . وَالَّذِينَ إذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا . وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ الله إلَـٰهاً آخرَ ولا يَقتلُونَ النَّفسَ التَّي حَرَّمَ اللهُ إلَّا بالحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أثَامًا﴾[2] . إلى آخر سورة الفرقان .

أختـــي المســلمة ...

من عرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق ، وفقد جميعها علامة سوء الخلق ، ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض ، فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده . وقد وصف رسول الله ﷺ المؤمن بصفات كثيرةٍ وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق فقال : المؤمن من يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

وقال أبو القاسم ﷺ : «مَنْ كَانَ يؤمنُ بالله واليومِ الآخِرِ فليكرمْ ضيفَه . ومَنْ كَانَ يؤمنُ بالله واليومِ الآخِرِ فليكرمْ جارَهُ . ومَنْ كَانَ يؤمنُ بالله واليومِ الآخِرِ فليقلْ خيرًا أَوْ ليَصْمُتْ» .

وقال ﷺ : «أكملُ المؤمنينَ إيمانًا أَحْسَنُهمْ أَخْلَاقًا» .

وقال ﷺ : «إذا رأيتم المؤمنَ صموتا وقورًا فادْنوا منه ــ اقتربوا منه وجالِسُوه ــ فإنَّه يلقَّنُ الحكمةَ» .

وقال ﷺ : «من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن» .

وقال ﷺ : «لا يحل لمسلم أن يروع مسلما» .

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٢ .

(٦) سورة الفرقان : الآيات ٦٣ ــ ٧٧ .

وسئل رسول الله ﷺ : يانبى الله ، ما علامة المؤمن والمنافق ؟ فقال ﷺ : «إن المؤمن من همته الصلاة والصيامُ والعبادةُ ، والمنافقُ همتُه فى الطعامِ والشرابِ كالبهيمةِ» .

فعلاماتُ حسن الخلق هى : أن يكون الإنسان كثير الحياء ــ قليل الأذى ــ كثير الصلاح ــ صدوق اللسان ــ قليل الكلام كثير العمل ــ قليل الزلل قليل القــول ــ أن يكون برا وصولا وقورا صبورا شكورا ــ أن يكون رضيا حليما رفيقا عفيفا شفيفا ــ لا يكون لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ــ لا يكون عجولا ولا حقودا ــ لا يكون بخيلا ولا حسودا ــ أن يكون بشاشا هشاشا ــ أن يحب فى الله ويبغض فى الله ــ أن يَرْضَ فى الله ويغضب فى الله .. فهذا حسن الخلق .

كان رسولُ الله ﷺ يُعَلِّمُ أصحابَه أكرمَ الخصالِ ، وينهاهُمْ عن أقبحِ الفعالِ ..

وذات يوم سألهم : ما تقولوُن فى الزِنى ؟

قالوا : حرام حرَّمه الله ورسولُه فهو حرامٌ إلى يوم القيامة .

فقال النبى ﷺ : «لأنْ يزنىَ الرجُلُ بعشَرَةِ نسوةٍ أيسرُ عليهِ مِنْ أنْ يزْنىَ بامرأةِ جارِه» .

وأقبل غلامٌ شابٌ فقالَ : السلام عليكَ يانبىَّ الله .

فرد رسول الله ﷺ ... فقالَ الشَّابُ : يارسول الله أتأذنُ لِى فى الزنَا ؟

قامَ أصحابُ رسول الله ﷺ إلى الشَّاب ليبْطِشُوا بِهِ . فَأشارَ رسول الله ﷺ بيده وقال : دعوه .

ثم قال النبى ﷺ : قربوه .. ادْنُ .

فدنا الشاب حتى جلس بين يديه ، فقال رسول الله ﷺ : أتحبُّه ــ أى الزنا ــ لأمك ؟

فقال الشاب : لا .. جعلنى الله فداك .

قال رسول الله ﷺ : كذلك النَّاس لا يحبونه لأمهاتهم .

ثم تساءل النبى ﷺ : أتحبُّه لابنَتِك ؟

قال الشَّاب : لا .. جَعلنى الله فدَاكَ .

فقال رسول الله ﷺ : فكذلك الناسُ لا يحبُّونَه لبناتِهِمْ .. أتحبُّه لعمَّتِكَ ؟

قال الشاب : لا .. جعلنى الله فداك .

فقال النبى ﷺ : كذلك الناسُ لا يحبُّونه لعماتِهِمْ .. أتحبُّه لخالتِكَ ؟

قال الشاب : لا .. جعلنى الله فداك .

قال طبيب القلوب ﷺ : كذلك الناسُ لا يحبونه لخالاتهم .

ثم وضع نبى الرحمة ﷺ ، يده الشريفة على صدر الشاب وقال : اللهُمَّ طهِّرْ قلبَه واغْفِرْ ذَنْبَه وحَصِّنْ فرجَه .

فلم يكنْ شئٌ إلى هذا الشاب أبغضَ من الزنا بفضل لين جانب وحسن خلق أبى القاسم ﷺ ، ودعائه له .

وإذا كان لنا فى حُسن خلق رسول الله ﷺ أسوةُ حسنةٌ فإنَّ الله ــ تبارك وتعالى ــ يقول : ﴿ ذريَّةً بعضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾(١) فقد دخل رجل من أهل الشام المدينة المنورة فرأى شابًّا حسنَ الهيئة جميلَ المنظر نظيف الثياب راكبا بغلة قوية نشيطة فسأل رجلا من أهل المدينة : من هذا الشابُّ الذى يركب الدابة ؟

قال الرجل : هذا الحسن بن على بن أبى طالب .

فامتلأ صدر الرجل الشامى حسدًا له وحقدًا عليه وتقدَّم إلى ريحانة رسول الله ﷺ وقال له : أأنت ابن على بن أبى طالب ؟

قال حفيد رسول الله ﷺ : أنا ابنه .

قال الرجل الشامى : لقد قلت فيك وفى أبيك كلامًا قبيحا أشتمكما به .

وذكر الرجل الشامى لريحانة رسول الله ﷺ ذلك الكلام القبيح . فقال الحسن بن على : أظنك غريبا ؟

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٣٤ .

قال الرجل الشامى : نعم .

فقال ريحانة رسول الله ﷺ : إذا احتجت إلى منزل أسكنتك أو إلى مال أعطيتك أو إلى حاجة ساعدتك .

فعجب الرجل الشامى من حلم الحسن بن على وحُسن خلقه .. وانصرف وهو يقول : ليس على وجه الأرض شئ أحبَّ إلىَّ من هذا الشاب ، أسأت إليه فأحسن إلى .

أختـــى المؤمـــنة ...

الله نسأل أن يجعلنا من أصحاب الخلق الحسن .

الوصيــــة السادســـة

عدم تشبه المرأة بالرجال

أختـــى المســـلمة ...

لا يَحِل للرجلِ التشبهُ بالمرأة ولا للمرأةِ التشبهُ بالرجلِ فى اللباسِ وغيره ، كالتشبه بالكلامِ والمشْيِ ــ التثنى والتكسر فى المشى ــ

قال رسول الله ﷺ : «لعنَ اللهُ المتشبهاتِ من النساءِ بالرجالِ والمتشبهِين من الرجالِ بالنساءِ» .

وكما لعن الله ــ عز وجلّ ــ تشبه المرأة بالرجل فإن رسول الله ﷺ لعنهنَّ فقال : «لعنَ اللهُ المتشبهاتِ من النساءِ بالرجالِ والمتشبهِين من الرجالِ بالنساءِ» .

وإذا كان الطردُ من رحمة الله ــ لعنةُ الله ــ لمنْ تشبهَ من النساءِ بالرجالِ فى الزِّى فإنَّ مَنْ تشبهَ مِن النساء بالرجالِ بأنْ يؤتىَ فى دُبره أو تتَعاطى السَّحقَ بغيرِهَا من النِّساءِ آثِمٌ وعقوبَتُه أشَدُّ .

قال رسول الله ﷺ : «لعنَ اللهُ الرجلَ يلبس لبسة المرأة،والمرأة تلبسُ لبسةَ الرجُل» .

تقول أم المؤمنين عائشة : لعن رسولُ الله ﷺ الرَّجلَةَ من النِّساءِ .

وقال رسول الله ﷺ : «ثلاثةٌ لا يدخلُون الجنَّةَ : «العاق لوالديه ، والديُّوثُ ــ الَّذى يعلَم الفاحشةَ فى أهلِهِ ويقرُّهُم عَليها» ــ ورَجْلةُ النساء» .

وقال أيضا : «ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدًا : الديُّوث ، والرَّجلَةُ من النِّسَاءِ ، ومدْمِنُ الخَمْرِ» .

وقيل لأم المؤمنين عائشة : إن امرأة تلبسُ النعْلَ .

فقالت بنت أبى بكر : لعن رسول الله ﷺ الرَّجلَة من النساءِ .

وفى عام الفتح وقف رسول الله ﷺ على جبل الصَّفا بعد أن بايع الرجال ليبايع النساءَ فمدتْ امرأةٌ يدها بكتابٍ فقبض النبيُّ ــ عليه الصلاة والسلام ــ يَده فقالتِ الْمَرأةُ: يارسول الله ، مددتُ يدى إليك بكتاب فلمَ تأخُذْه .

فقال رسول الله ﷺ : «ما أدرِى أيدُ امرأةٍ أمْ رجلٍ» ؟

قالت المرأة : بلْ يدُ امرأةٍ .

قال رسول الله ﷺ : «لو كنت امرأةً لغيرت أظافرك بالحنَّاءِ» .

وأبى النبىُّ ﷺ مبايعتها حتى ذهبتْ وغيرتْ يدَها بصفرةٍ ــ بالحناء ــ

وكان رسول الله ﷺ ينهى النساء عن لبس العمائم ــ اللفافة الكبيرة على الرأس ، ويقول ﷺ : «إنما العمائم للرجال» .

ودخل رسول الله ﷺ على زوجته أم سلمة وهى تختمر ــ ترتدى خمارا ــ فقال : ليَّةٌ لا ليَّتين ــ لاتكرر به طاقتين فأكثر حذرا من الإسراف والتشبه بالمتعمِّمين أىْ لاتَعْتَمِّى مثل الرجال .

قال رسول الله ﷺ : «ثلاثةٌ لا ينظر الله إليهم يومَ القيامة : العاقُّ لوالديْه ، ومدمنُ الخمْرِ ، والمنَّانُ عطاءَه» . وثلاثةٌ لا يدْخُلونَ الجنةَ : «العاقُّ لوالدَيْه ، والديُّوثُ ــ هو الذى يقر أهله على الزِّنا مع علمه ــ والرَّجْلةُ ــ المترجِّلَةُ المتَشَبِّهةُ بالرِّجالِ» .

وسئلت أم المؤمنين عائشة يا أم عبد الله ــ كانت تكنى بابن أختها عبد الله بن الزبير ــ ماذا عن خضابُ شعر الرأس . قالت أم المؤمنين عائشة : : لا بأس به ، ولكنى أكرهُهُ ، لأنَّ حبيبى ﷺ كانَ يكرَه ريحَهُ .

وكان من يتشبه بالنساء يخرج من البيوت وينفى من البلد إذا تعين ذلك طريقاً لردْعِهِ ..

قالت أم المؤمنين عائشة لمخنث بالمدينة يقال له أنَّه : ألا تدلنا على امرأةٍ نخطبهُا لعبد الرحمن بن أبى بكر ؟

قال أنَّه : بلى .

فوصف امرأة تقبل بأربع وتدبر بثمان .. فسمعه النبى ﷺ فقال : ياأنه اخرج من

المدينة إلى حمراء الأسدّ ، وليكن بها منزلك .

وأُتى بمخنَّثٍ قد خضب يديه ورجليْه بالحناء ، فقال النبى ﷺ : ما بال هذا ؟

فقيل : يارسول الله يتشبُّه بالنساء .

فأمر النبى ﷺ ، فنفى إلى النقيع — موضع بينه وبين مدينة رسول الله ﷺ عشرون فرسخا .

فقيل : يارسول الله ألا تقتله ؟

قال رسول الله ﷺ : إنى نهيتُ عن قتل المصلين .

ونهى رسول الله ﷺ عن لبس النساء اللباس الخاصّ بالرجالِ كالقلانس والنعَالِ والعمائِمِ .

كما نهى رسول الله ﷺ النساء عن الجلوس فى المجالس ولبس الإزار والرداء بغير درع .

أختـــى المسلمـــة ...

إن ارتداء المرأة البنطلونات الضيقة وزى الرجال من المقالب والفرج والأكمام الضيقة قد شابهت الرجال فى لبسهم فتلحقها لعنة الله ورسوله ولزوجها إذا أمكنها من ذلك — إذا رضى به ولم ينهها — لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله ونهيها عن المعصية ، يقول الله عز وجل-: ﴿قُواأنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارةُ﴾[1] فيطالبنا الله-تبارك وتعالى-أن نؤدبهم ونعلمهم ونأمرهم بطاعة الله ونناهم عن المعصبة ، كما يجب ذلك علينا فى حق أنفسنا ، ولقول رسول الله ﷺ : «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» الرجل راع فى أهله ومسئول عنهم يوم القيامة .

وقال النبى ﷺ : «ألا هلكت الرجالُ حين أطاعوا النساءَ» .

---

(١) سورة التحريم : الآية ٦ .

وقال الحسن : والله ما أصبح اليوم رَجُلٌ يطيعُ أمرأته فيما تَهْوَى إلّا أكبَّه الله — تعالَى — فى النارِ .

ويقول النبى ﷺ : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قومٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات — من نعم الله — عاريات — من شكرها ، وقيل هو أن تلبس المرأة ثوبًا رقيقاً يصف لون بدنها — مائلات — قيل عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه — مميلات — يعلمن غيرهن الفعل المذموم . وقيل : مائلات متبخترات ، مميلات لأكتافهن . وقيل مائلات يمتشطن المشطة الميلاء وهى مشطة البغايا ، ومميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة — رءوسهن كأسنمة البخت — يكبرنها ويعظمنها بلف عصابةٍ أو عمامةٍ أو نحوها — المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا .

وذات يوم رأى عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله ابن الزبير امرأةً متقلدةً قوساً تسوقُ غنما وتمشى مشية الرجل ، فقال عبد الله بن عمر : من هذه ؟

فقال عبد الله بن عمرو وعبد الله بن الزبير : هذه أم سعيد بنت أبى جهل .

فقال عبد الله بن عمر لها : أرجل أنت أم أمرأة ؟

قالت أم سعيد بنت أبى جهل : امرأة .

فالتفت أبو عبد الرحمن إلى ابن عمرو وابن الزبير وقال : إن الله — تعالى — لعن على لسان نبيه ﷺ المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء .

ثم أردف : قال رسول الله ﷺ : ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ولا من تشبه بالنساء من الرجال .

أختى المؤمنه : هذه عظة وتبصرة ، وذكرى من رسول الله ﷺ ، وذكرى لمن كان له قلب ولمن نظر بعينيه . فاعتبرى بما تشاهدين واتعظى لعلك تُرحمين .

الوصيــة الســابعة

التحذيـر من الكـــذب

تعنى كلمة الكذب : الإخبارَ عن الشيء بخلاف الواقع .

وأبشع وأعظم أنواع الكذب الكذب على الله — عز وجل — وعلى رسوله ﷺ ، يقول – تبارك وتعالى – : ﴿وَيَوْمَ القِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾[1] و ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[2] .

فهؤلاء تسود وجوههم يوم القيامة بكذبهم وافترائهم فى دعواهم . أن له شريكا وولدًا ، وقولهم : إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل ، فتبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة .

يقول رسول الله ﷺ : «من كذب عليَّ بُنِىَ له بيتٌ فى جَهَنَّمَ» .

وقال النبى ﷺ : «من كذَبَ عَلَىَّ مُتعمِّدا فَلْيَتَبَوَّأْ مقعدَهُ مِنَ النَّارِ» .

والمقصود بالكذب على رسول الله ﷺ رواية حديث كذب عن رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : «مَنْ رَوَى عَنِّى حدِيثًا وَهُوَ يَرى أَنَّهُ كَذِبٌ فهو أحدُ الكذّابين» .

وقال أبو القاسم ﷺ : «إنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى غَيْرِى» .

ويقول النبى ﷺ : «مَنْ يَقُلْ عَنِّى مَا لَمْ أَقُلْهُ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» .

وقال رسول ا ﷺ ﷺ : «يطبع المؤَهَّل — المؤْمِنٌ — عَلَى كُلِّ شَيْءٍ إلَّا الخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ» .

---

(١) سورة الزمر : الآية ٦٠ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٠٦ .

أختـــى المسلمـــة ...

إن اللسان يترجم عما حوى القلب والعقل ، ويكشف عن خبيئة الإنسان ، فهو رغم صغره عظيم طاعته وجرمه ، فهو رحب الميدان يتناول كل شئ ، ليس له مرد ولا لمجاله منتهى أوحد ، له فى الخيال مجال رحب ، ومن أطلق عذبة اللسان سلك به الشيطان كل ميدان ، وساقه إلى شفا جرف هارٍ فى جهنم ، فهل يَكبُّ الناس على مناخرهم إلا حصادُ ألسنتهم ؟ ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع فلا يطلقه إلا فيما ينفعه فى الدنيا والآخرة ، ويكفه عن كل ما يخشى غائلته .

فخطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره إلا بالصمت .. قال رسول الله ﷺ : « مَنْ صَمَتَ نَجَا » .

وقال النبى ﷺ : « الصَّمْتُ حكمٌ وقليلٌ فاعلهُ » ــ حكمة وحزم .

فقد جاء سفيان الثقفى إلى رسول الله ﷺ وقال له : يارسول الله أخبرنى عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحدًا بعدك .

قال النبى ﷺ : « قُلْ آمَنْتُ بالله ثُمَّ اسْتَقِمْ » .

فتساءل سفيان الثقفى : فما أتقى ؟

فأومأ النبى ﷺ بيده إلى لسانه .

وسأل عقبة بن عامر النبىَّ ﷺ : يانبىَّ الله ، ما النجاةُ ؟

قال أبو القاسم ﷺ : « أمسكْ عليكَ لسانَكَ وليسعْكَ بيتُكَ وابْكِ على خطيئَتِكَ » .

لقد مدح الشرعُ الصمتَ وحثَّ عليه رسول الله ﷺ فقال : « من كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ » .

وقال أبو القاسم لأصحابه : « رحم الله عَبْدًا تكلّم فَغَنِمَ أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ » .

وسأل الحواريون عيسى بن مريم : دُلَّنَا عَلَى عملٍ نَدْخُلُ به الجنة .

قال عيسى ــ عليه السلام ــ : لا تنطقوا أبدًا .

قال الحواريون : لا نستطيعُ ذلك .

قال نبى الله ــ عيسى عليه السلام ــ : فلا تنطقوا إلا بخير .

وقال سليمان بن داود ــ عليهما السلام ــ : إن كان الكلام من فضة فالسكوتُ من ذهب .

وجاء رجلٌ إلى الصادق الصدوق ﷺ فقال : يانبى الله ، دُلَّني على عملٍ يدخلنى الجنةَ .

فقال أبو القاسم ﷺ : «أطْعِمْ الْجَائِعَ وَاسْقِ الظَمْآنَ وأْمُرْ بِالْمعْرُوُفِ وَانْهَ عَنِ المنكرِ فإنْ لم تُطِقْ فَكُفَّ لِسَانَكَ إلّا مِنْ خيرٍ» .

وقال نبى الرحمة ﷺ : «اخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان» .

وقال ﷺ : «إنَّ الله عِنْدَ لِسَانِ كُلِّ قَائِلٍ ، فَلْيَتَّقِ الله امرؤٌ عَلِمَ مَا يَقُولُ» .

وقال عيسى بن مريم : العبادة عشرة أجزاء : تسعة منها فى الصَّمت ، وجزء فى الفرار من الناس .

وَينْصحُنَا نبينا ــ عَليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ــ فيقولُ : «إذا رأيتم المؤْمِنَ صَمُوتًا وَقُورًا فادْنُوا منه ــ اقتربُوا منه ــ فَإِنَّهُ يُلَقِّنُ الْحِكْمَةَ» .

وقال رسول الله ﷺ : «إنَّ لِسَانَ المؤْمِنِ وَرَاء قَلْبِهِ ، فإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ تَدَبَّرَهُ بِقَلْبِهِ ثُمَّ أَمْضَاهُ بِلِسَانِهِ ، وَإِنَّ لِسَانَ المَنَافِقِ أَمَامَ قَلْبِهِ ، فَإِذَا هَمَّ بِشَيْءٍ تَدَبَّرَهُ بِقَلْبِهِ ثُمَّ أَمْضَاهُ بِلِسَانِهِ ، وَلَمْ يَتَدَبَّرْهُ قَلْبُهُ» .

وسأل رجلٌ رسول الله ﷺ : يانَبىَّ الله ، ما أكثر ما يُدْخِلُ النَاسَ الجَنَّة ؟ .

قال رسول الله ﷺ : «تقوى الله وحسن الخلق» .

وسئل عن أكثر ما يدخل النار فقال ﷺ :

الأجوفان : الفم والفرج ــ وقد يراد بالفم آفات اللسان ، لأنه محله ، ويحتمل أن يكون المراد به البطن لأنه منفذه بالأكل الحرام .

وسأل الصحابى الجليل معاذ بن جبلٍ : يانبىَّ الله ، أنؤاخذُ بما نقول ؟ .

قال رسول الله ﷺ : «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا ابنَ جَبَلٍ ، وَهَل يكبُّ الناسَ فى النارِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إلّا حَصَادُ أَلسنتِهِمْ ؟» .

وحذرنا نبينا ﷺ من كثرة الكلام فقال : «مَن كثرَ كلامُه كثرَ سقَطُه ، ومنْ كثرَ سقَطُه كثرتَ ذُنوبُه ، ومنْ كَثرتْ ذُنُوبه ، كانتِ النَّار أوْلى بهِ» .

الأخــــتُ المؤمـــــنةُ ...

كُونى صادقةً فى حديثك حتى تكونى من أهل البر الذى هو من أهم نتائج الصدق ، وحسبك أن تقرئى قول رسول الله ﷺ : «عَلَيْكُم بالصِّدقِ فإنَّ الصِّدْقَ يَهدِى إلى البرِّ وإن البرَّ يهدى إلى الجنة ، وما يزال الرَّجلُ يصْدُقُ ويتحرَّى الصدقَ حتى يُكْتَبَ عند الله صِدِّيقًا ، وإياكم والكذبَ ، فإنَّ الكذبَ يَهْدِى إلى الفُجُورِ وإنَّ الفُجُوَرَ يهدى إلى النَّار وما يزال العبد يكذبُ ويتحرَّى الكذبَ حتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كذّاباً» .

وحتى ترغبى فى الصدق وتحذرى الكذب فاقرئى قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذين آمنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أعْمَالَكُمْ وَيَغْفِر لَكم ذُنُوبَكُمْ﴾(١) وقوله : ﴿إنَّ اللهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾(٢) وقوله ﴿إنَّما يَفْتَرِى الكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنونَ بآياتِ الله﴾(٣) .

قال أبو القاسم ﷺ : «اضمنوا لى ستاً من أنفسكم أضمنْ لكم الجنة : اصْدُقوا إذا حَدَّثتم ، وأوفُوا إذَا وَعدْتُمْ ، وأدُّوا إذا ائْتُمنْتم ، واحْفَظُوا فُروجَكَمْ وغُضُّوا أبصاركُمْ ، وكُفُّوا أيديكم» .

وقال النبى ﷺ : «آية المنافق ثلاثٌ : إذا حدَّث كَذَبَ ، وإذَا وَعد أخْلَف،وإذا عَاهَدَ غَدَر ،وإنْ صَام وزَعمَ أنَّه مُسْلِم» .

وقال ﷺ : «أنا زعيم ببيت فى وسط الجَنَّة لمنْ تَركَ الكذِبَ وإنْ كَانَ مازِحاً» .

وسأل رجل وسول الله ﷺ : يارسول الله ، أيكونُ المؤمنُ جبانًا ؟

---

(١) سورة الأحزاب : الآيتان ٧٠ ، ٧١ .

(٢) سورة غافر : الآية ٢٨ .

(٣) سورة النحل : الآية ١٠٥ .

قال النبى ﷺ : نعم .

فقيل : أفيكون بخيلاً ؟

قال أبو القاسم ﷺ : نعم .

قيل : أفيكون كذّابا ؟

قال النبى ﷺ : لا .

إن الكذبَ رأس الكبائر ، فكيف يكونُ المؤمنُ كذّاباً ؟

قال رسول الله ﷺ : «إيَّاكُمْ وَالكَذِبَ فإنَّه معَ الفجُور وَهُمَا فى النَّار» .

ومر رسول الله ﷺ برجلين يتبايعان شاةً ويتحالفان يقولُ أحدهما : والله لا أنقصك من كذا وكذا

ويقول الآخر : والله لا أزيدك على كذا وكذا بالشَّاة .

وقد اشتراها أحدُهما .. فقال النبى ﷺ : «أوجب أحدهما بالإثم والكفارة» .

وقال رسول الله ﷺ : «الكذبُ يُنْقِصُ الرِّزْقَ» .

وقال أبو القاسم ﷺ : «إن الكذب بابٌ من أبوابِ النفاق» .

أختـــى المسلمـــة ...

إن اللسان أعصى الأعضاء على الإنسان ، فإنه لاتعب فى إطلاقه ، ولامؤنة فى استغواء الإنسان ، ولا نجاة من خطره إلا بالصمت الذى حث عليه النبى ﷺ .

رأى عمرُ بن الخطاب الخليفةَ الأوَّلَ وهو يمدُّ لسانه بيدِهِ فسأله : ما تصنعُ ياخليفة رسول الله ؟

قال أبو بكر الصديق : هذا أوردنى المواردَ . إن رسول الله ﷺ قال : «ليس شئ من الجسد إلّا يشكو إلى الله اللّسانَ على حدَّتِه» .

ووقف عبد الله بن مسعود على جبل الصَّفا يوما وقَال : يالِسانُ ، قل خَيرًا تغنمْ واسْكتْ عن شرٍّ تسلمْ من قبلِ أنْ تَنْدَمَ .

فقيل له : يا أبا عبد الرحمن ، أهذا شئٌ تقوُله أو شئٌ سمعَته ؟

قال ابن أم عبد : لا بلْ سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ : «إن أكثَرَ خطايا ابن آدمَ فى لسانِه» .

وقال عبد الله بن عمر : قال رسول الله ﷺ : «من كفَّ لسانَه سترَ اللهُ عورَته ، ومن ملكَ غضبَه وقاهُ الله عذابَه ، ومن اعتذَر إلى الله قَبِل اللهُ عذْرَه» .

وقال معاذُ بن جبل : يانبىَّ الله أوصِنِى .

فقال رسول الله ﷺ : أعبد الله كأنك تراهُ ، وعدَّ نفسَك فى الموتَى ، وإن شئت أنبأتُك بما هو أملكُ لكَ من هَذا كله .

وأشار ﷺ إلى لسانه .

وقال ﷺ لأصحابه : «ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن» ؟

قالوا : بلى يارسول الله .

قال ﷺ : «الصمتُ وحسنُ الخلق» .

فالكلام أربعة أقسام :

قسمٌ هو ضررٌ محضٌ
وقسمٌ نفعٌ محضٌ
وقسمٌ فيه ضررٌ ومنفعةٌ
وقسمٌ ليس فيه ضررٌ ولا منفعةٌ

فأما الذى هو ضرر محضٌ فلابدَّ من السكوت عنه ، وكذلك ما فيه ضررٌ ومنفعةٌ لا تفى بالضَّررِ . وأمَّا مَا لَا منفعة فيه ولا ضررَ فهو فضولٌ والاشتغالُ به تضيع للوقت وهو عين الخُسْرانِ .

أما القسم الرَّابع ــ ليس فيه ضررٌ ولا منفعةٌ ــ ففيه خطر إذ يمتزج بما فيه إثم من دقائق الرياءِ والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام .

وآفات اللسان :

الكلامُ فيما لا يعنيك :إن الإنسان محاسب على عمل لسانه ــ قوله ــ إلا ذكرْ الله أو أمراً بمعروفٍ ونهيا عن منكرٍ ، أو إصلاح حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه .

وسأل رجل لقمان : ما حكمتك ؟

قال لقمان الحكيم : لا أسأل عما كفيت ولا أتكلف ما لا يعنينى .

فضول الكلام : وهو أيضا مذموم فهو يتناول الخوض فيما لا يعنى يقول تعالى : ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾(١) .

وقال ﷺ :«طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله».

وقدم رهط من بنى عامر إلى مدينة رسول الله ﷺ فقالوا لرسول الله :

ــ أنت والدُنا وأنت سيدُنا وأنت أفضلنا علينا فضْلاً وأنت أطولنا علينا طولاً ، وأنت الجفنة الغَرَّاءَ .. وأنْتَ وأنت ..

فقال رسول الله ﷺ : « قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان » .

هذه نصيحة من طبيب القلوب ــ صلى الله عليه وسلم ــ فإن اللسان إذا أطنب بالثناء ولو بالصدق يخشى أن يستهويه الشيطان إلى الزيادة المستغنى عنها .

يقول عبد الله بن مسعود : أنذركم فضولَ كلامكم ، حَسْبُ امرىء من الكلام ما بلغَ به حاجته .

الخوض فى الباطِل : وهو الكلام فى المعاصى كحكاية أحوال النساء ، ومجالس الخمر ومقامات الفساق ، وتنعم الأغنياء ، وتجبر الملوك ، ومراسمهم المذمومة ، وأحوالهم المكروهة .

يقول رسول الله ﷺ : «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظنُّ أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة» .

---

(١) سورة النساء : الآية ١١٤ .

ويقول ﷺ : «أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرُهُمْ خوضًا فى الباطل» .

يقول تبارك وتعالى : ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الخَائِضِينَ﴾(١) .

ويقول عز وجل : ﴿فَلَا تَقعدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فى حَديثٍ غَيْرِهِ إنكمْ إذًا مّثْلُهم﴾(٢) .

المراءِ والجدال : قال رسول الله ﷺ : «لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعِده موعدًا فتخلفه» .

ونهى رسول الله ﷺ عن المراء فقال : «ذروا المراءَ فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته» .

وقال رسول الله ﷺ ــ موصيا بترك المراء ــ : «من ترك المراءَ وهو محقٌ بنى له بيت فى أعلى الجنة ، ومن ترك المراءَ وهو مبطلٌ بنى له بيتٌ فى ربض الجنة» .

وقال ﷺ : «لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وإن كان محقًا» .

أما المجادلة فهى إفحام الغير وتعجيزه ، وتنقيصه بالقدح فى كلامه ، ونسبته إلى القصور والجهل فيه ..

قال أبو حنيفة لداود الطائى : لم آثرت الانزواء ؟

قال داود الطائى : لأجاهد نفسى بترك الجدال .

فقال أبو حنيفة : احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تتكلم .

قال داود الطائى : فعلت ذلك فما رأيت مجاهدةً أشدَّ علىَّ منها .

يقول ﷺ : «رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه» .

الخصومة : هى لجاج فى الكلام ليستوفى به مالاً أو حقًّا مقصودًا ، وذلك تارةً ابتداءً وتارةً يكون اعتراضًا .

---

(١) سورة المدثر : الآية ٤٥ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٤٠ .

يقول ﷺ : «إن أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخَصِمُ» .

وقال ﷺ : «من جادل فى خصومة بغير علم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع» .

إن الخصومة تمحق الدين وما خاصم ورع قط فى الدين .

مر بشر بن عبد الله بن أبى بكرة بابن قتيبة فقال له : ما يُجلسُك ههنا ؟

فقال ابن قتيبة : خصومة بينى وبين ابن عم لى .

فقال بشرُ بن عبد الله : إن لأبيك عندى يدًا ــ صنع به معروفا ــ وإنى أريدُ أن أجزيك بها ، وإنى والله ما رأيتُ شيئًا أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من الخصومة ؟

فقال ابن قتيبة : إنى ذاهبٌ .

فتساءل ابن عمه : مالك ؟

قال ابن قتيبة : لا أخاصمك .

فقال ابن عمه : إنك عرفت أن الحقَّ لى ؟

فقال ابن قتيبة : لا .. ولكنْ أكرمُ نفسى عن هذا .

فقال ابنُ عمه : فإنى لا أطلب منك شيئا هو لك .

التقعر فى الكلام : وذلك بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة ، والتصنع فيه بالتشبيهات والمقدمات ، والتصنع المذموم والتكلف الممقوت .

يقول رسول الله ﷺ : «أنا وأتقياء أمتى برءاء من التكلف» .

وقال ﷺ : «إن أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلسًا الثرثارُون المتفيهقُونَ المتشدِّقونَ فى الكَلام» .

وقال ﷺ : «شرار أمتى الذين غُذوا بالنعيم يأكلون ألوان الطَّعام ويلبسُون ألوانَ الثِّيابِ ويتشدَّقونَ فى الكَلامِ» .

قال عمر بن الخطاب : شقاشقُ الكلام من شقاشقِ الشيطان .

وجاء عمر بن سعد بن أبى وقاص يسأل أباه حاجةً فتكلم بين يدى سعد بكلام فقال له سعد : ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يأتى على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلَّل البقَرةُ الكلأ بلسانها» .

الفحش والسَّبّ وبذاءَة اللسان : قَالَ رسول الله ﷺ ناهِيًا عن الفُحْشِ والتَّفَحُّشِ : «إياكُمْ والفحشَ فإنّ الله ــ تعالى ــ لا يُحبُّ الفُحشَ ولا التَّفَحُّشَ» .

كما قال ﷺ : «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذىء» .

وحذر النبى ﷺ من الفحش فقال : «الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها» .

قال رسول الله ﷺ لعائشة : «ياعائشة ، لو كان الفحشُ رجلاً لكان رجل سوءٍ» .

وقال أبو القاسم ﷺ : «إن الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح فى الأسواق» .

اللعنُ : إمَّا لحيوانٍ أو جمادٍ أو إنسانٍ وكُلّ ذَلِكَ مَذْمُومٌ ..

قال النبى ﷺ : «المؤمنُ ليسَ بلعَّان ..»

وقال رسول الله ﷺ : «لَا تلَاعنوا بلعنة الله ولا بِغضَبِه ولا بجَهنَّم» .

وكان رجل يسير مع رسول الله ﷺ على بعير فلعن بعيره قال النبى ﷺ : «ياعبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون» .

فاللعن عبارة عن طردٍ وإبعادٍ من الله ــ تعالى ــ والصفات المقتضية للعن ثلاثة : الكفرُ والبدعَةُ ، والفِسْق .

الغناءوالشِّعْرُ : إنَّ الغناءَ الذى يَصُدُّ القلوب عن القرآن وَيجْعَلُها عاكفةً على الفُسُوقِ والعِصْيانِ فهُو حَرامٌ .

يقول تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ الله بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أولئِكَ لَهمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[1] فلهو الحديث هو الرجل يشترى الجارية تغنيه ليلاً ونهارًا .

---

(١) سورة لقمان : الآية ٦ .

يقول رسول الله ﷺ :«من استمع إلى قينة ـــ جارية تغنى ـــ صُبَّ فى أذنيه الآنك ـــ الرصاص المذاب ـــ يوم القيامة» .

ولكن الغناء الذى يثير الهمة فى العمل دون استعمال المعازف فهذا جائز .

أما الشعر فكلام حُسْنُه حَسَنٌ وقبيحُهُ قبيحٌ إلا أنَّ التجردَ له مذمومٌ قال رسول الله ﷺ : «لأن يمتلئ جوفُ أحدكم قيحاً حتى يريه خيرٌ له من أن يمتلئ شعرا» .

يقول تعالى : ﴿وَمَا عَلَّمنَاهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِى لَهُ﴾(١) لم يعلم الله ـــ عز وجل ـــ رسوله الشعر ، وكان النبى ﷺ لا يحسنه ولا يحبه ، ولا يحفظ بيتا على وزن منتظم ، بل إن أنشده زحفه أو لم يتمه .

المزاح : وأصلُه مذموم منهى عنه ، إلا قدرا يسيراً منه قال رسول الله ﷺ : «لا تمار أخاك ولا تمازحه» .

فالمنهى عنه فى المزاح الإفراط أو المداومة عليه .

قال عمر بن الخطاب : من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شئ عرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قل حياؤه .

السخرية والاستهزاء : وهذا محرم مهما كان ، مؤذيا يقول ـــ تبارك وتعالى ـــ : ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوم عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنهُنَّ﴾(٢) فالتحقيرُ والسخريةُ والتنبيهُ على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه قد يكون بالفعل والقول ، وقد يكون بالإشارة والإيماء .

قال رسول الله ﷺ : «إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب الجنة ، فيقال : هلمَّ هلمَّ فيجيءُ بكربه وغمِّه فإذا أتاهُ أُغلق دونهُ ، ثم يُفتح له باب آخر ، فيقال : هَلُمَّ هَلُمَّ فيجيء بكربه وغمِّه فإذا أتاه أُغْلِقَ دُونَه فما يزَالُ كذلك حَتَّى أنَّ الرجل ليفتحُ له البابُ فيقالُ له : هَلمَّ هَلمَّ فلاَ يأتيهِ» .

---

(١) سورة يس : الآية ٦٩ .

(٢) سورة الحجرات : الآية ١١ .

إفشاءُ السر : وهو منهىٌّ عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحقِّ المعارِف والأصدقاء .

قال رسول الله ﷺ : «إذا حدثّ الرجلُ الحديثَ ثم التفت فهى أمانةٌ» .

إن من الخيانة أن تحدثى بسر أخيك أو أختك فإن من كتم سره كان الخيار إليه ومن أفشاه كان الخيار عليه .

الوعد الكاذب : اللسان سباق إلى الوعد ، وربما لا تسمح النفس بالوفاء فيصير الوعد خلفا ، وهذا من أمارات النفاق .. يقول تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[1] وقد أثنى الله ــ تبارك وتعالى ــ على نبيه إسماعيل ــ عليه السلام ــ فى كتابه العزيز فقال : ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ﴾[2] قيل إن إسماعيل بن إبراهيم ــ عليهما السلام ــ وعد إنسانًا فى موضع فلم يرجع إليه ذلك الإنسان بلّ نسى فبقى إسماعيل ــ عليه السلام ــ اثنين وعشرين يومًا فى انتظاره .

وكان رسول الله ﷺ إذا وعد وعدا قال : عسى ..

وكان ابن مسعود إذا وعد أو لا يعد وعدًا إلا يقول : إن شاء الله وهو الأولى .

الكذب فى القول واليمين : وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب .

لا يزالُ العبدُ يكذبُ ويتحرَّى الكذبَ حتى يكتب عند الله كذَّابًا .

وقال النبى ﷺ : «إن التجار هم الفجار» .

فقيل : يارسول الله ، أليس قد أحلَّ الله البيع ؟

قال أبو القاسم ﷺ : «نعم ولكنهم يحلفونَ فيأثَمُونَ ويحدِّثونَ فيكذِبُون» .

أختـــى المسلمـــة ...

إذا كان الكذب حرامًا لأن فيه من الضرر على المتحدث به وعلى المخاطب أو على غيره فإن الصدق ينجى صاحبه .

---

(١) سورة المائدة : الآية ١ .

(٢) سورة مريم : الآية ٥٤ .

دخلت أم محمد بن إدريس ــ الإمام الشافعي ــ فقالت له :

ــ انهض يامحمدُ جهزت لكَ ستين دينَارا لتلحق بالقافلة التى سترحلُ إلى مدينة رسول الله ﷺ ، لتتلقى العلم على أيدى شيوخها الأفاضل وفقهائها الأجلاء .

فوضع محمد بن إدريس كيس نقوده فى جيبه فقالت له أمه : عليك بالصدق .

ولما تهيأ الصبى للخروج من القافلة عانق أمه وقال لها : أوصنى .

فقالت الأم : عليك بالصدق فى كل الأحوال فإنَّ الصدْقَ ينجِى صاحبَه .

وخرج محمد بن إدريس مع القافلة إلى المدينة المنورة ، وفى الطريق خرج قطاع الطرق وهاجموا القافلة وسلبوا كل ما فيها ، ورأوا محمد بن إدريس غلاماً صغيرًا فسألوه : هل معك شيء ؟

تذكر محمد بن إدريس وصية أمه فقال : نعم .. معى ستون دينارا .

فنظر اللصوص إلى الصبى وسخروا منه وحسبوه أنه يهذى ــ يقول كلاما لا معنى له ــ أو أنه يسخر منهم ، فتركوه .

وعاد قطاع الطرق إلى الجبل فدخلوا الكهف ووقفوا أمام زعيمهم فسألهم : هل أخذتم كل مافى القافلة ؟

قال اللصوص : نعم سلبنا أموالهم وأمتعتهم .. إلا غلامًا سألناه عما معه فقال : معى ستون دينارا فتركناه احتقارًا لشأنه ، ونظن أن به خبلاً فى عقله .

فقال زعيم قطاع الطرق : على به .

فلما جاءوا بمحمد بن إدريس بين يدى زعيم اللصوص قال له : ياغلام ماذا معك من النقود ؟

قال محمد بن إدريس : معى ستون دينارا .

فبسط زعيم اللصوص كفه الكبيرة وقال : أين هى ؟

فقدم محمد بن إدريس النقود إليه : فسكب زعيم قطاع الطرق كيس النقود فى كفه وراح يهزها ثم أخذ يعدها وقال فى عجب : أمجنون أنت ياغلام ؟

فتساءل محمد بن إدريس : لماذا ؟

قال زعيم قطاع الطرق : كيف ترشد عن نقودك وتسلمها إلينا طائعا مختارا ؟

قال محمد بن إدريس : لما أردت الخروج مع القافلة طلبت من أمى أن توصينى فقالت لى : عليك بالصدق .. ولقد صدقت .

فقال زعيم قطاع الطرق : لا حول ولا قوة إلا بالله ، تصدق معنا ونحن غير صادقين مع أنفسنا ولا نخشى الله .

وأمر زعيم اللصوص برد ما نهب إلى القافلة . فعادت الأموال والأمتعة إلى أصحابها بفضل صدق صبى .

أختـــى المسلمـــة ...

إن الصدق درجات :

صدق اللسان ، وحق على كل عبد أن يحفظ لسانه فلا يتكلم إلا بالصدق .

الصدق فى النية والإرادة ، ويرجع ذلك إلى الإخلاص وهو ألا يكون له فى الحركات والسكنات إلا الله — تعالى — .

صدق العزم وهو الجزم فيه بقوة تامة ليس فيه ميل ولا ضعف ولا تردد .

الصدق فى الوفاء بالعهد مهما كان هذا صعبا أو مهما كلفه هذا من مشقة .

الصدق فى الأعمال وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر فى باطنه لا يتصف هو به ، والمراد استواء السريرة والعلانية ، بمعنى أن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيرا من ظاهره .

متى يرخص للإنسان الكذب ؟

قد يكون الكذب مباحا فى حالة عصمة دم المسلم ، أرأيت لو أن رجلا سعى خلف إنسان بمسدس ليقتله فدخل دارا فانتهى إليه فقال : أرأيت فلانا ؟

ما كنت قائلة ؟ ألست تقولين : لم أره .

وما تصدقين به .. وهذا الكذب واجب .

يقول رسول الله ﷺ :

« لا يرخص شيء من الكذب إلا فى ثلاث : « الرجل يقول القول يريد به الإصلاح ، والرجل يقول القول فى الحرب ، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها » .

ويقول النبى ﷺ : « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين ، فقال خيرا أو نمى خيرا » .

لقد رخص رسول الله ﷺ فى شيء من الكذب لإصلاح ذات البيت وإصلاح بين المسلمين .

قال رسول الله ﷺ : « كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما » .

وقع بين اثنين من أصحاب رسول الله ﷺ كلام حتى تصارما — تقاطعا — فألفى أبو كاهل (أحدهما) فقال له : مالك ولفلانٍ ، فقد سمعته يحسن عليك الثناء ؟

ثم لقى الآخر فقال له : مالك ولفلانٍ فقد سمعته يحسن عليك الثناء . فتصالحا .. ثم قال أبو كاهل لنفسه : أهلكت نفسك وأصلحت بين هذين .

فأخبر رسول الله ﷺ .. فقال : « يا أبا كاهل أصلح بين الناس » — أى ولو بالكذب — .

وسأل رجل رسول الله ﷺ : أكذب على أهلى — زوجتى — ؟

قال النبى ﷺ : « لا خير فى الكذب » .

قال الرجل : أعدها وأقول لها — زوجته — ؟

قال رسول الله ﷺ : « لا جناح عليك » .

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « مالى أراكم تتهافتون فى الكذب تهافت الفراش فى النار ؟ كلُّ الكذب يُكْتَبُ عَلَى ابْنِ آدَم لَا مَحالَةَ إِلَّا أَنْ يَكْذِبَ الرجُل فى الحرِب فإنَّ الحرْبَ خُدْعَةٌ ، أَوْ يكون بيَن الرَّجُلَيْنِ شَحْناءُ فَيصْلِحُ بَيْنهُمَا ، أو يُحدِّثُ امَرأَتَهُ يُرضِيهَا » .

أختــى المؤمــنة ...

الكذبُ كله إثم إلا ما نفع به مسلما أو دفع عنه ضررا .. اللّهم اكتبنا عندك من الصادقين .. آمين .. آمين

الوصيـــة الثامـــنة

خير الزاد التقوى .. والرفق زينة الأمور

إن التقوى فى القرآن الكريم تعنى الخشية والهيبة يقول تعالى : ﴿وَإِيَّاىَ فَاتَّقُون﴾(١) وقال : ﴿واتَّقُوا يَوْمًا تُرجَعُونَ فِيه إلى الله﴾(٢) .

وتطلق على الطاعة والعبادة ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّها الذينَ آمنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ﴾(٣) أى : أطيعوا الله حق طاعته . بأن يطاعَ فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر .

وتعنى كلمة التقوى تنزيه القلب عن الذنوب ، فهذه حقيقة التقوى ، يقول ــ عز وجل ــ : ﴿وَمَنْ يُطعِ الله وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ الله وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ﴾(٤) فمن يطع الله ورسوله فيما أمراه به وترك ما نهياه عنه ويخشى الله فيما مضى من ذنوبه ، ويتقه فيما يستقبل ، فأولئك الذين فازوا بكل خير ، وآمنوا من كل شر فى الدنيا والآخرة ، يقول تعالى : ﴿تِلْكَ الجَنَّةُ التَّي نُورِثُ مِنْ عِبادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾(٥) ويقول : ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خيْر الزَّادِ التَّقوَىَ وَاتَّقونِ يَاأولِي الألْبَابِ﴾(٦) فمن يتزود فى الدنيا ينفعه فى الآخرة ..

أختـــى المسلمـــة ...

تأملى قول القائل :

تزود من التقوى فإنك لاتدرى ... إذا جنَّ ليل هل تعيش إلى الفجر

فكم من صحيح مات من غير علة ... وكم من عليل عاشَ حينًا من الدهر

وكم من صغار يُرتجى طول عمرهم ... وقد دخلت أجسادُهم ظلمة القبر

(١) سورة البقرة : الآية ٤١ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٨١ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٠٢ .

(٤) سورة النور : الآية ٥٢ .

(٥) سورة مريم : الآية ٦٣ .

(٦) سورة البقرة : الآية ١٦٧ .

لقى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رجلاً عظيما من عظماء بنى الأصفر ـــ الروم ـــ فقال له : يا أمير المؤمنين لقد وجدت فى كتابكم ـــ يعنى القرآنَ ـــ آيةً جمعت كل ما فى الكتب السماوية ، فتساءل الفاروق : ماهى ؟

قال الرومى : ﴿وَمَن يطعِ الله ورَسُولَهُ ويَخْشَ الله ويتَّقهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [1].

ثم أردف : إليك تفسيرها يا أمير المؤمنين كما فهمتها : ومن يطع الله فى الفرائض ، ورسوله فى السنن ، ويَخْشَ الله فيما مضى ويتقه فيما هو آت ، فقد فاز فوزا عظيما ، والفائز من زحزح عن النار وأدخل الجنة .

فقال أبو حفص : صدق رسول الله ﷺ لقد قال : «أوتيتُ جوامعَ الكلم . فكانَ من أجل كل هذا تقيا نقيا» .

وكانت هذه الآية الكريمة سببا فى إسلام هذا الرجل الرومى .

أختـــى المسلمـــة ...

كونى من أهل التقى الذين قال عنهم أصدق القائلين : ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[2] فهم أولياء الله ـــ عز وجل ـــ وأحباؤه الذين تولاهم برعايته وتوفيقه .

ناجى نبى الله داود ـــ عليه السلام ـــ ربه فقال : أى العباد أحب إليك ؟

فقال سبحانه وتعالى : ياداود .. أحبُّ عبادى إلى تقى القلب ، نقى الكفين لا يأتى لأحد بسوء ، ولا يمشى بين الناس بالنميمة ، تزول الجبال ولا يزول ، أَحَبَّنِى وأحبَّ من يحُبنى وحببنى إلى عبادى .

قال داود ـــ عليه السلام ـــ : يارب وكيف يحببك إلى عبادك ؟

قال عز وجل : يذكرهم بنعمى وآلائى ياداود .. ما من عبد يعين مظلومًا أو يمشى فى مظلمته إلا ثَبَّتُّ قدمه على الصراط يوم تزول الأقدام .

---

(١) سورة النور : الآية ٥٢ .

(٢) سورة يونس : الآيتان ٦٢ ، ٦٣ .

أختـــى المؤمـــنة ...

يقول أصدق القائلين : ﴿فأمَّا مَنْ أعْطَى وَاتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالحُسْنى ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى﴾(١) فمن أعطى ما أمر بإخراجه ، واتقى الله فى أموره ، وصدق بالجنة فجزاؤه الجنة .

والتقوى الكاملة فعل الواجبات ، وترك المحرمات والشبهات ، يقول تعالى : ﴿الٓمٓ ۝ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلمتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَالذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَما أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبالْآخرةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾(٢) .

فالمتقون يوم القيامة فى كنف الرحمن لا يحتجب منهم ، ولا يستتر ، إنهم قوم اتقوا لشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله فى العبادة .

ويقول تعالى : ﴿وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلمُتَّقِينَ﴾(٣) وقال : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن بِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰواتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ لَلمُتقِينَ﴾(٤) .

قال رسول الله ﷺ :

قال الله تعالى : (أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر لى قلب على بشر) .

وذات ليلة قال النبى ﷺ لأم المؤمنين عائشة :

ياعائشة عليك بتقوى الله ــ عز وجلّ ــ والرفق فإن الرفق لم يكن فى شئٍ قَطُّ إلَّا نَهُ ، ولَم يُنْزَعْ من شئٍ قطُّ إلا شَانَهُ» ــ قبحه ــ

إن رسول الله ﷺ يوصى زوجته لتعلَم ويتعلَّم منها كل مسلمة ، فأصل التقوى أن

---

(١) سورة الليل : الآية ٥ ــ ٧ .
(٢) سورة البقرة : الآيات ١ ــ ٤ .
(٣) سورة ق : الآية ٣١ .
(٤) سورة آل عمران : الآية ١٣٣ .

تجعلى بينك وبين ما تخشينه وبين ما تخافين منه وتحذرينه وقاية منه ، فتقوى المرأة المسلمه لربها أن تجعل بينها وبين ما تخشاه من ربها ، من غضبه وسخطه وعقابه ، وقاية تقيها من ذلك ، فتعمل على طاعته واجتناب معاصيه .

طلب الصحابى الجليل أبو ذر الغفارى من رسول الله ﷺ أن يوصيه فماذا قال النبى ﷺ :

لقد قال : «أوصيك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله» .

فالتقوى بالنسبة للعبادة كالرأس بالنسبة للجسد .

ويصف الإمام علىٌّ التقوى فيقول : الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والاستعداد ليوم الرحيل ، والرضا بالقليل .

لقد أوصى الأنبياءُ أقوامهم بكلمة التقوى :

﴿إذ قَالَ لهم أخوهُم نوحٌ أَلَا تتقُونَ﴾[1] ؟

﴿إذ قالَ لهُمْ أخوهُم هودٌ أَلَا تتقُون﴾[2] ؟

﴿إذْ قالَ لهُمْ أخوُهُم صَالحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[3] ؟

﴿إذْ قَالَ لهُمُ أخوُهُم لُوطٌ أَلَا تتَّقُونَ﴾[4] ؟

﴿إذْ قَالَ لَهمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتقُّونَ﴾[5] ؟

﴿وإنَّ إلياسَ لمِنَ المُرْسَلِينَ . إذْ قَالَ لِقومهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[6] ؟

فالتقوى خير زاد للناس عامة ، وللمسافر خاصة حتى يكون فى حفظ الله ورعايته ﴿إنَّ الله مَعَ الَّذينَ اتَّقَوْا والَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[7] .

---

(١) سورة الشعراء : الآية ١٠٦ .
(٢) سورة الشعراء : الآية ١٣٤ .
(٣) سورة الشعراء : الآية ١٤٢ .
(٤) سورة الشعراء : الآية ١٦١ .
(٥) سورة الشعراء : الآية ١٧٧ .
(٦) سورة الصفات : الآيتان ١٢٣ .
(٧) سورة النحل : الآية ١٢٨ .

قال ثاران بن لقمان الحكيم لأبيه يوما : أى الخصال خير ؟

قال لقمان : الدين .

قال ثاران : فإن كانت اثنتين ؟

قال لقمان : الدين والمال .

قال ثاران : فإن كانت ثلاثًا ؟

قال لقمان : الدين والمال والحياء .

فتساءل ثاران : فإن كانت أربعا ؟

قال لقمانُ الحكيم : الدينُ والمالُ والحياءُ وحسْنُ الخلقِ .

قال ثاران : فإنْ كانتْ خمسًا ؟

قال لقمان الحكيم : فالأربعة ــ الدينُ والمالُ والحياءُ وحسنُ الخلقِ ــ والسخاءُ .

فتساءل ثاران : فإنْ كانتْ سِتا ؟

قال لقمان الحكيم : يابنى .. إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو تقى نقى ، والله ولىٌّ ، ومن الشيطان برى .

وسأل يزيد بن سلمة النبى ﷺ فقال : يارسول الله ، إنى سمعت منك حديثاً كثيراً فأخافُ أن ينسينى أولُه آخره فحدثنى بكلمة تكون جماعاً ــ تكون كافية شافية ــ

ماذا قال طيب القلوب ﷺ ؟

لقد قال : «اتق الله فيما تعلم» .

ويوصى النبى ﷺ أحبَّ الناس إليه ابنته فاطمة الزهراء فيقول :

ــ «اتقى الله يافاطمة وأدِّى فريضة ربك ، واعملى عملَ أهلك ، وإذا أخذت مضجعك فسبحى ثلاثًا وثلاثين ، واحمدى ثلاثًا وثلاثين ، وكبِّرى أربعًا وثلاثين ، فتلك مائة» .

ــ كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ قد ذهبت إلى أبيها تشكو كثرة العمل فى بيت علىّ وأن يديها قد مجلت من إدارة الرَّحى ، وطلبت خادما ــ فهو خير لك من خادم .

قالت فاطمة الزهراء : رضيت عن الله ورسوله .

لقد رفض رسول الله ﷺ أن يعطى أم أبيها وفلذة كبده فاطمة الزهراء خادماً ، وأوصاها بأعظم الوصايا التى هى خيرٌ من ألف خادم ، بل خير من الدنيا وما فيها لأنها أساسُ كلِّ خير وفلاح ونجاح .

أوصاها بالتقوى رأس الأمر كله ﴿الَّذِينَ آمنُوا وكَانُوا يتَّقون ۔ لهُمُ البُشْرَى فى الحَياةِ الدُّنيا وَ فِي الآخِرَةِ﴾(١) .

كان نبى الله سليمان بن داود ــ عليهما السلام ــ يومًا يركب بساطه الذى كان يحملُه الريحُ ، وكان حوله فى الجو عدد كبير من جنده من الجن والإنس والطير على اختلاف ألوانها وأشكالها ، فمر بموكبه هذا على فلاح يزرع فى حقله فلما نظر الفلاح إلى أعلى ورأى هذا الموكب قال فى عجب : سبحان من أعطاكم ملكا ياآل داود ..

فنقل الريح هذه الكلمة إلى أذنى سليمان ــ عليه السلام ــ فأمر الريح بأن تتوقف ــ كان الله ــ عز وجل ــ قد سخر له الريح والجن ، وعلمه منطق الطير ، وأعطاه ملكا لم يعطه لأحد من العالمين ــ وينزل بالبساط إلى حقل هذا الفلاح . فلما فعل الريح هذا . ورأى الفلاح الموكب فى حقله ارتعدت فرائصه فقال له سليمان ــ عليه السلام ــ مهدئا من روعه :

ــ لا تخف يارجل .. وقل مرة أخرى ما قلته وأنا أمر فوق حقلك ..

فقال الفلاح : سبحان من أعطاكم ملكا ياآل داود .

فقال نبى الله سليمان ــ عليه السلام ــ : أما علمت ياهذا أن تسبيحة واحدة منك خيرٌ من ملك آل داود ؟

فإذا كانت تسبيحة واحدة خيرًا من ملك آل داود فما بالنا بثلاث وثلاثين تسبيحة ، والتحميد ثلاثا وثلاثين والتكبير أربعا وثلاثين ؟ أليست خيرًا من الدنيا وما فيها ؟؟؟

---

(١) سورة يونس : الآيتان ٦٣ ، ٦٤ .

وإذا كان رسول الله ﷺ يوصى زوجته عائشة وابنته فاطمة ونساء المسلمين بتقوى الله .. فإن أبا بكر الصديق كان يقول : أما بعد .. فإني أوصيكم بتقوى الله ، وأن تثنوا عليه بما هو أهله ، وأن تَخلِطُوا الرغبة بالرهبة ، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة فإن الله ــ عز وجل ــ أثنى على زكريا وأهل بيته ــ آل عمران ــ فقال : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيدْعونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[1] .

ولما حضرت الخليفة الأول الوفاة وعهد الأمر ــ الخلافة ــ إلى عمر بن الخطاب دعاه فوصاه بوصية فكانت أول كلمة قال الصديق لعمر :

ــ اتق الله ياعمر ..

ولما ولى الفاروق أمر المسلمين كتب أمير المؤمنين عمر إلى ابنه عبد الله :

أما بعد . فإني أوصيك بتقوى الله ــ عز وجل ــ فإنه من اتقاه وقاه ، ومن أقرضه جزاه ، ومن شكره زاده ، واجعل التقوى نصيب عينيك وجلاء قلبك .

واستعمل أمير المؤمنين على بن أبي طالب رجلاً على سرية فلما تهيأ للخروج قال له : أوصيك بتقوى الله ــ عز وجل ــ الذى لابد لك من لقاه ، ولامنتهى دونه ، وهو يملك الدنيا والآخرة .

وكتب الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز إلى رجل : أوصيك بتقوى الله ــ عز وجل ــ التى لا يقبل غيرها ، ولا يرحم إلا أهلها ، ولا يثيب إلا عليها فإن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل ، جعلنا الله وإياك من المتقين .

وكان رسول الله ﷺ يقول فى دعائه : «اللهُم إنى أسألكَ الهدَى والتُّقَى والعِفَّة والغنى» .

من هم أهلُ التقوى ؟ لقد بدت صفاتهم فى قوله تعالى : ﴿ليسَ البرَّ أنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكمْ قِبَلَ المشْرِقِ والمغربِ ولكنَّ البِرَّمَنْ آمنَ بالله واليوْمِ الآخِرِ وَالملَائِكَةِ والكتَابِ

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٩٠ .

والنَّبِيِّينَ وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى القُرْبَى واليَتَامى والمَسَاكِينَ وابْنَ السَّبِيلِ والسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وأقامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ والمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا والصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ وَحِينَ البَأْسِ أولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ﴾(١) فهم :

الذين يؤمنون بالله ــ تبارك وتعالى ــ .

الذين يؤمنون باليوم الآخر .

الذين يؤمنون بالملائكة ــ عليهم السلام ــ .

الذين يؤمنون بالكتب السماوية المنزلة من عند العلى الحكيم .

الذين يؤمنون برسل الله ــ عليهم صلوات الله وسلامه ــ .

الذين يقيمون الصلاة .

الذين يؤتون الزكاة .

الذين يؤتون المال على حبه لذوى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل والسائلين .. إلخ .

الذين يوفون بعهد الله .

الصابرون فى البأساء والضراء وحين اليأس .

الصادقون مع الله ــ عز وجل ــ .

الذين يعظمون شعائر الله كما قال : ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فإنَّهَا مِن تَقْوَى القُلُوبِ﴾(٢) .

الذين ينفقون فى السراء والضراء ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ من رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمواتُ والأَرْضُ أعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ والكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ واللهُ يُحِبُّ المحْسنِينَ﴾(٣) .

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٧٧ .

(٢) سورة الحج : الآية ٣٢ .

(٣) سورة آل عمران : الآيتان ١٣٣ ــ ١٣٤ .

الذين يكظمون الغيظ ..

الذين يعفون عن الناس ..

الذين يؤمنون بما ورد عن الله ورسوله من أمور الغيب ﴿ آلَمٓ ۔ ذَٰلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلمُتَّقِينَ ۔ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ ﴾(١) .

أختـى المسلمـة ...

الله أسأل أن يجعلنا من عباده المتقين ﴿ إِنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَر ۔ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾(٢) .

وإذا كان خير الزاد التقوى فإن الرفق زينة الأمور ..

فالرفق معناه لين الجانب ، وبشاشة الوجه ، والحلم وسعة الصدر ، ولقد فضل على كثير من الأخلاق ..

إن الله — عز وجل — يعطى صاحب الرفق من الثناء الحسن فى الدنيا ، ويمنحه الأجر الجزيل فى الآخرة ، أكثر مما يعطيه على غيره ، فالتحلى بالرفق يزين المرء ويجمله فى أعين الناس ، ويصيره وجيها عند الله — عز وجل —، وإذا تخلّى المرء المسلم أو المرأة المسلمة عن الرفق لحقه أو لحقها العيب عند الناس وعند الله لأن الله رفيق يحب الرفق .

لقد كان لنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، ولقد سار أصحابه المهديون على دربه ..

ذات يوم كان رسول الله ﷺ يفقّه أصحابه فى أمور دينهم ودنياهم ، فدخل رجل أعرابى المسجد فجاء إلى ركن من أركانه وبال فيه ، فقام أصحاب النبى ﷺ إليه ليبطشوا به ، ويقعوا فيه فقال الذى بعثه الله رحمة للعالمين فى رفق شديد :

— « دعوه وأريقوا على بوله سَجْلا من ماء — صُبُّوا على بوله دَلْوا من ماء —

---

(١) سورة البقرة : الآيات ١ — ٣ .

(٢) سورة القمر : ٥٤ ، ٥٥ .

هل هناك سماحة أكثر من هذه السماحة ؟ أى رفق هذا ؟ حقا لقد سماه الله ـــ عز وجل ـــ رءوف رحيم .

صلى رسول الله ﷺ يوما بالناس فسمع طفلا يبكى ، فخفف من صلاته ، لقد علم أن وراءه الشيخ والمريض والمرأة التى ترضع ابنها .. ولما فرغ من صلاته قال موصيا بالرفق :

إنى لأقوم فى الصلاة أريد أن أطوِّل فيها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه .

ولم يكن النبى ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ رفيقاً فقط بالإنسان الذى كرمه الله ـــ عز وجل ـــ بل كان أيضا رفيقا شفيقا بالحيوان .. رأى يوما رجلاً من أصحابه يريد أن يذبح شاة فراح يُحدَّ شفرته أمام عينيها فقال له ﷺ وهو يشير أن يبتعد ويُحد شفرته حتى لا تراه الشاة .

ـــ «إن الله كتب الإحسان على كل شئ ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرحْ ذبيحته» .

وسار أصحابه على نهجه فقد مر أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر يوما بفتيانٍ من قريش قد نصبوا طيرا ـــ دجاجةً ـــ وهم يرمونه ، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئةٍ من نبلهم ، فلما رأوا عبد الله بن عمر خافوا وتفرقوا فقال أبو عبد الرحمن : من فعل هذا ؟ لَعَنَ الله من فعل هذا ، إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضا .

ورأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رجلاً يسحب شاةً برجلها ليذبحها فسأله : هل ستذبحها ؟

قال الرجل : نعم .

قال الفاروق : ويلك قدْها إلى الموت قودا جميلاً .

وكانَ عدِىُّ بنُ حاتِمٍ الطائىِّ يجمعُ ما تبقَّى منه من فتاتِ الخبز ثم يضعه فى طريق النمل الذى يسير على جدار داره فرآه أحدُ جيرانه فسأله : ما هذا يا أبا طريف ؟

فيقول الرجل الذى ورث الكرم والجود عن أبيه ـــ كان يضرب بحاتم الطائى المثل فى الجود والكرم ـــ أكرم من حاتم ـــ : إنهم جيرانى ولهم على حق .

ودخل أحد أحفاد خادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك دار الحكم بن أيوب فإذا القوم قد نصبوا دجاجةً يرمونها بالنبل فقال : ـــ سمعت جدى ـــ أنس بن مالك ـــ يقول : نهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم ـــ تعنى تحبس وتقيد ثم ترمى حتى تموت .

لقد علم النبى ﷺ أصحابه كيف يكونون رحماء ، وعلم أصحابه ﷺ التابعين صور الرفق ..

أختى المؤمنة : تأملى واجعلى الرفق زينة لك تتحلين بها فى تربية أولادك ، وفى معاملة زوجك وجيرانك ، لو جعلت الرفق هو سبيلك فى الحياة تصلى إلى ما تهفو إليه نفسك .

الوصيـــة التاســـعة

احـــذرى الحســـد

الحاسدة أو الحاسد : هو الذى يتمنى زوال النعمة عن غيره ولا يرضى بما قسم الله — تعالى — له ..

يقول العزيز الحكيم : ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[1] .

والحسد من نتائج الحِقْدِ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن الحسد وأسبابه وثمراته فقال : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » ..

ويقول النبى ﷺ : «لا تحاسَدُوا ولا تقاطَعُوا ولا تباغَضُوا ولا تدابَرُوا وكُونوا عِبادَ الله إِخْوَانا» .

وقال أبو القاسم ﷺ : «ثلاثٌ لا ينجُو منهنَّ واحدٌ : الظنُّ ، والطِّيرةُ ، والحسدُ وسأحدثُكم بالمخرج من ذلكَ : إذا ظننتَ فلا تحقّقْ ، وإذا تطيرتَ فامضِ ، وإذا حسدتَ فلا تبغِ» .

وقال : « ثلاثة لا ينجو منهُنَّ أحدٌ وقلَّ منْ ينجُو منهُنَّ : الظَّنُّ ، والطِّيرةُ ، والحَسدُ ».

وحذر رسول الله ﷺ أصحابه من الحسد فقال : « دبَّ إليكم داءُ الأمم قبلكم : الحسدُ والبغضاءُ والبغضةُ هى الحَالقةُ لا أقولُ حَالقةُ الشَّعر ولكنْ حالِقة الدِّين . والَّذى نفسُ محمدٍ بيدِه لا تدْخلوا الجنةَ حتَّى تؤمِنُوا وَلنْ تُؤمِنُوا حَتَّى تَحابُّوا ، ألا أنبئُكُمْ بِما يُثبِّت ذلكَ لكَمْ افشُوا السلامَ بينكمْ » .

ثم قال الصادق الصدوق ﷺ : « إنه سيصيب أمتى داءُ الأمم » ..

فتساءل أصحابه ﷺ : وما داءُ الأمم ؟

---

(١) سورة الفلق : الآية ٥ .

قال ﷺ : « الأشرُ ـــ البطرُ ـــ والبطرُ والتكاثرُ والتنافسُ فى الدنْيا ، والتباعدُ والتحاسدُ حتى يكونَ البغْىُ ثم الهَرْجُ » .

ولما تعجل موسى ـــ عليه السلام ـــ إلى ربه ـــ تعالى ـــ رأى فى ظل العرش رجلاً فغبطهُ بمكانه فقال : إن هذا لكريم على ربه .

وسأل نبى الله موسى ـــ عليه السلام ـــ ربَّه ـــ تعالى ـــ أن يخبره بأسمه فلم يخبره وقال : أُحدثُك من عمله بثلاثٍ : كان لا يحسِدُ الناسَ على ما آتاهم الله من فضله ، وكان لا يعُقُّ والديْه ولا يَمْشِى بالنميمةِ .

وقال زكريا ـــ عليه السلام ـــ : قال الله تَعالى : الحاسد عدو لنعمتِي متسخطٌ لقضائِي غيرُ راضٍ بقسْمتِي التى قسمتُ بينَ عِبَادى .

وقال النبى ﷺ : «أخوفُ ما أخافُ على أمتى أنْ يكثرَ فيهم المالُ فيتحاسدوا ويقتتلون» .

وقال ﷺ : «إن لنعم الله أعداءَ» .

فتساءل أصحاب رسول الله ﷺ : ومن هم يارسول الله ؟

قال الصادق الصدوق ﷺ : « الذين يحسدون الناسَ على ما أتاهم الله من فضله » .

وقال ﷺ : «استعينُوا على قضاءِ الحوائجِ بالكتمانِ فإنَّ كل ذى نعمة محسود» .

وقال النبى ﷺ : « ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة » .

قيل : يارسول الله من هم ؟

قال أبو القاسم ﷺ : « الأمراءُ بالجورِ ، والعربُ بالعصبيةِ ، والدهَّاقِينُ بالتكبرِ ، والتجارُ بالخيانةِ ، وأهلُ الرستاقِ ـــ فارس معرب وهو السواد ـــ بالجهالةِ ، والعلماءُ بالحسدِ » .

وذات يوم كان رسول الله ﷺ جالسًا فى مسجده وحوله أصحابهُ فقال : « يطلعُ الآن من هذا الفج ـــ الباب ـــ رجل من أهل الجنة » . فطلع رجل من الأنصار ينفض لحيته من وضوئه . قد علق نعليه فى يده الشمال فسلم . فلما كان الغدُ قال رسول الله

ﷺ لأصحابه : « يطلع عليكم من هذا الفج رجل من أهل الجنة » . فطلع رجل من الأنصار ينفض لحيته من وضوئه ، قد علق نعليه فى يده الشمال فسلم .

وقاله ﷺ فى اليوم الثالث . فطلع ذلك الرجل . فلما قام النبى عليه ـــ الصلاة والسلام ـــ تبع عبدُ الله بنُ عمرو بن العاص الرجلَ الأنصاريَّ وقال له : إنى لَاحيت ـــ نازعت ـــ أبِى فأقسمت ألّا أدخل عليه ثلاثا ، فإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تمضى الثلاث فعلت .

فقال الأنصارى : نعم .

فبات عبد الله بن عمرو بن العاص عنده ثلاث ليال فلم يره يقومُ من الليل شيئا ـــ لا يتهجد ـــ غير أنه إذا تقلب على فراشه ذكر الله ـــ تعالى ـــ ، ولم يقم لصلاة الفجر .

يقول عبد الله بن عمرو بن العاص : غير أنى ما سمعته يقول إلا خيرا .

فلما مضت الثلاثُ وكادَ عبد الله بنُ عمرو بن العاص أن يحتقرَ عملَ هذا الرجلِ الأنصاريِّ الذى بشره رسول الله ﷺ وشهد له أنه من أهل الجنة . قال عبد الله بن عمرو : ياعبد الله لم يكن بينى وبين والدى غضب ولا هجرة ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول : يطلع عليكم من هذا الفج رجل من أهل الجنة . فأردت أن أعرف عملك ، فلم أرك تعمل عملا كثيرا ، فما الذى بلغ بك ذلك ؟

فقال الرجل الأنصارى : ما هو إلا ما رأيت ..

فلما هم عبد الله بن عمر بالانصراف .. ناداه الرجل الأنصارى وقال : ما هو إلا ما رأيت غيرَ أنى لا أجد على أحدٍ من المسلمين فى نفسى غشًّا ولا حسداً على خيرٍ أعطاه الله إياه .

قال عبد الله بن عمرو بن العاص : هى التى بلغت بك ـــ جعلته رجلاً من أهل الجنة ـــ وهى التى لا نُطيق .

أختـــى المسلمـــة ..

أول خطيئة هى الحسد ، حسد إبليس آدم ـــ عليه السلام ـــ على منزلته عند ربه

ورتبته فأبى أن يسجدَ له فحمله الحسد على المعصية .

كان رجل يغش بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول : أحسنْ إلى المحسنِ بإحسانِه فإن المسىء سيكفيكه إساءته .

فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به إلى الملك فقال له : إن هذا الرجل الذى يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم أن الملك أبخر — نتن الفم — فتساءل الملك فى غضب : وكيف يصح ذلك عندى ؟

قال الحاسد : تدعوه إليك فإنه إذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلاَّ يشم ريح البخر .

فقال الملك : انصرف حتى أنظر .

فخرج الحاسد من عند الملك فدعَا ذلك الرجل إلى منزله وأطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك على عادته فقال :

— أحسنْ إلى المحسن بإحسانِه فإن المسيىء سيكفيكه إساءته .

فقال الملك له : ادن منى .

فدنا الرجل منه ووضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك رائحة الثوم .

فقال الملك فى نفسه : ما أرى فلانا — الحاسد — إلا قد صدق ؟

وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صلة فكتب لذلك الرجل كتابًا بخطه إلى عامله : إذا أتاك حامل كتابى هذا فاذبحْه واسلُخه واحشُ جلده تبنًا وابعثْ به إلىَّ .

فأخذ الرجلُ كتاب الملك وخرج يفكرِ فى الجائزة التى سيمنحها له هذا العامل ، وفى الطريق لقيه الرجل — الحاسد — فسأله : ما هذا الكتاب ؟

قال : كتاب كتب لى الملك بخطه .

فلما سمع الرجل الحاسد كلمة .. بخطه .. أُدرك على الفور أن جائزة كبيرةً سوف ينالُها الرجلُ فقال متوسلا : هبه لى

فقال : هوَ لك .

فأخذ الرجل ــ الحاسد ــ كتاب الملك وانطلق إلى العامل فسأله :

ــ هذا كتابك ؟

قال الرجل : نعم .

قال العامل : فى كتابك أن أذبحَك وأسلخَك .

فقال الرجل فى فزع : إن الكتاب ليس لى فالله الله فى أمرى حتى تراجع الملك .

فقال العامل : ألم تخبرنى منذ قليلٍ أنه كتابك ؟ ليس لكتاب الملك مراجعة .

وذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به .

وغشى الرجل مجلس الملك كعادته وقال : أحسنْ إلى المحسنِ بإحسانه فإن المسيىء سيكفيكه إساءته ..

فعجب الملك وتساءل : ما فعل الكتاب ؟

قال الرجل : لقينى فلان فاستوهبه منى فوهبته له ..

فقال الملك : إنه ذكر لى أنك تزعم أنى أبخر .

قال الرجل : ما قلت ذلك .

فعاد الملك يتساءل : فلم وضعت يدك على فيك ؟

قال الرجل : لأنه أطعمنى طعامًا فيه ثوم فكرهت أن تشمه .

قال الملك وهو يشير إلى مكانه : صدقت ، ارجع إلى مكانك فقد كفى المسيء إساءته .

قال أبو الدرداء : ما أكثر عبدٌ ذكرَ الموت إلا قل فرحه وقل حسده .

وقال معاوية : كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها .

لذلك قيل :

كل العداوات قد تُرجى إماتتها ... إلا عداوة من عاداكَ من حسد

ويقول ابن سيرين :

ما حسدت أحدًا على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهى حقيرة فى الجنة ؟ وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار .

وقال رجل للحسن : هل يحسد المؤمن ؟

قال الحسن : ما أنساك بنى يعقوب ـــ إخوة يوسف عليه السلام ـــ ؟ نعمْ ، ولكن غمه فى صدرك فإنه لا يضرك مالم تعد به يداً ولا لسانًا .

وقال الحسن : يا ابن آدم لم تحسدُ أخاك ؟ فإن كان الذى أعطاه لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله ؟ وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار ؟

قال بعض الحكماء : الحسدُ جرحُ لا يبرأ وحسبُ الحسودِ ما يلقى .

وقال أعرابىٌ : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسدٍ إنه يرى النعمة عليك نقمة عليه .

وقال بعضهم : الحاسد لا ينالُ من المجالس إلا مذمة وذلًا ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا ، ولا ينال من الخلقِ إلا جزعا وغما ، ولا ينال عند النزع إلا شدة وهوْلا ـــ عند الموت ـــ ولا ينالُ عند الموقف إلا فضيحةً ونكالا .

أختـــى المسلمـــة ..

اعلمى أنه لا حسد إلا على نعمة فإذا أنعم الله على أخيك أو أختك بنعمة فلك فيها حالتان :

إحداهما : أن تكرهى تلك النعمة وتحبى زوالها ، وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحبُّ زوالها عن المنعم عليه .

الحالة الثانية : أن لا تحبى زوالها ولا تكرهى وجودها ودوامها ، ولكن تشتهين لنفسك مثلها ، وهذه تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة .

وقد تسمى المنافسة حسدًا والحسد منافسة ـــ توضع كل كلمة مكان الأخرى ـــ ولا حجر على الأسامى بعد فهم المعانى .. قال رسول الله ﷺ : «إن المؤمن من يغبط

والمنافق يحسد» .

فالحالة الأولى حرام بكل حال إلا نعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وإفساد ذات البين ، وإيذاء الخلق فلا يضرك كراهتك ومحبتك لزوالها فإنك لا تحبين زوالها من حيث هى نعمة ، بل من حيث هى آداة وآلة فساد ، ولو أمنت فساده لم يغمك بنعمته ، فالحسد حرام لتسخط الحاسد لقضاء الله فى تفضيل بعض عباده على بعض ، يقول تعالى : ﴿إن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تسؤْهُمْ وإن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾(١) و ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَاآتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِه﴾(٢) .

أما المنافسة فليست بحرام ، بل هى إما واجبة وإما مندوبة وإما مباحة ـــ وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة،والمنافسة بدل الحسد :

ـــ لما أراد قثم بن العباس وأخوه الفضل أن يأتيا النبى ﷺ فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة قال على بن أبى طالب : لا تذهبا إليه ـــ إلى رسول الله ﷺ ـــ فإنه لايؤمركما عليها ـــ الصدقة ـــ

فقال قثم بن العباس وأخوه الفضل : ما هذا منك إلا نفاسة والله لقد زوجك ابنته ـــ فاطمة الزهراء ـــ فما نفسنا عليك ـــ أى:هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه إيَّاكَ فَاطمة .

والمنافسة فى اللغة : مشتقة من النفاسة ، ويدل على إباحتها قول العلى القدير ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتنافَسِ المُتَنافِسونَ﴾(٣) .

يقول رسول الله ﷺ : «لا حسد إلا فى اثنين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس» .

وللحسد أسباب كثيرة منها :

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٢٠ .

(٢) سورة النساء : الآية ٥٤ .

(٣) سورة المطففين الآية ٢٦ .

العدواة والبغضاء ، وهذا أشد أسباب الحسد ، فإن من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالقه فى غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضبه عليه ورسخ فى نفسه الحقد ، والحقد يقتضى التشفى والانتقام .

التعزز وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره ،

الكبرُ وهو يكونُ فى طبعه أن يتكبر عليه ويستصغره ..

التعجب ، وقد أخبرنا الله ــ عز وجل ــ عن الأمم السابقة : ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنا﴾[1] و ﴿أَنُؤْمِنُ لبشرينِ مِثلَنا﴾[2] و ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بشَرًا﴾[3] .

أختـــى المسلمـــة ...

لم يخلق الله داءً إلا خلق له الدواء ، ولكى يشفى مرضى الحسد عن القلب لا يتأتى ذلك إلا بالعلم والعمل ، العلم النافع ، فالحسد ضرر على الحاسد فى الدنيا والدين ، وإنه لاضرر فيه على المحسود فى الدنيا والدين ، بل ينتفع به فيهما . فهو مظلوم من جهته ، ولا سيما إذا أخرجه الحسد إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه ، فهذه تهدى إلى حسنات المحسود ، ويلقى الحاسد نفسه يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما حرم فى الدنيا عن النعمة .

أختـــى المؤمـــنة ...

تذكرى قول رسول الله ﷺ : «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» .

فاحفظى جوارحك عن طاعة الحسد ، والله نسأل أن ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا ما جهلنا .. آمين .

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ١٠ .

(٢) سورة المؤمنون : الآية ٤٧ .

(٣) سورة الإسراء : من الآية ٩٤ .

الوصيـــة العاشـــرة :

بـــر الوالديـــن

جعل الله ـــ عز وجل ـــ بر الوالدين بعد عبادته وحذر ـــ تبارك وتعالى ـــ من عقوقهما قال العليم الخبير : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبالوَالِدَيْنِ إِحسَانًا إِمَّا يبلُغَنَّ عندَكَ الكبرُ أَحَدُهُما أو كِلَا هُمَا فَلَا تَقُل لَّهما أُفٍّ ولا تَنْهرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كريمًا . واخْفِضْ لهمَا جناحَ الذُّلِّ منَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيانِى صَغيرًا﴾[1] لقد أمر الله ـــ عز وجل ـــ بعبادته وحده لا شريك له ، ثم قرن بعبادته بر الوالدين ، وأمر بهما إحسانا ولا يسمعهما قولاً سيئا ، حتى ولا التأفيف الذى هو أدنى مراتب القول السيىء ، ولا يصدر منه إليهما فعل قبيح . وكما نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح أمره بالقول الحسن والفعل الحسن ، وأن يكون لينا حسنا بتأدب وتوقير وتعظيم ، فإذا كبرا فلا يتبرم منهما ويتولى خدمتهما إذا أسنَّا .

ويقول ـــ سبحانه وتعالى ـــ : ﴿واعْبُدُوا الله ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وبِالوَالِدين إِحْسَانًا وَبِذِى القُرْبَى واليَتَامَى والمسَاكِينِ والجَارِذِى القُرْبى والجارِ الجُنبِ والصَّاحِبِ بالجَنْبِ وَابْنِ السَّبيلِ وَما مَلَكتْ أيمانُكُمْ﴾[2] ويقول : ﴿ووَصَّيْنا الإنسَانَ بِوَالِدَيْه حُسْنًا﴾[3] وقال ﴿واتَّقُوا الله الَّذى تساءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ﴾[4] ويقول : ﴿وَوَصَّينا الإنسَانِ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُه فِى عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكِ إِلَىَّ المَصِيرُ﴾[5] .

---

(١) سورة الإسراء : الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .
(٢) سورة النساء : الآية ٣٦ .
(٣) سورة العنكبوت : الآية ٨ .
(٤) سورة النساء : الآية ١ .
(٥) سورة لقمان : الآية ١٤ .

أختـــى المسلمـــة ..

انظرى رحمك الله ، كيف قرن شكر الوالدين بشكره .

قال عبد الله بن عباس :

ــ ثلاث آيات مقرونة بثلاث لاتقبل منها واحدة بغير قرينتها: إحداهما قوله ــ تعالى ــ : ﴿أَطِيعُوا الله وأَطِيعُوا الرَّسولَ﴾(1) فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه ، والثانية قولُ الله ــ تعالى ــ : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُو الزَّكاةَ﴾(2) فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه ، والثالثة : قوله ــ تعالى ــ : ﴿أَنِ أشْكر لِي وَلِوَالدَيْكَ﴾(3) فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه ، ولذا قال النبى ﷺ : «رِضَى الله فى رِضَى الوالديْنِ وسخطُه فى سخطِ الوالدين» .

صعد رسول الله ﷺ المنبر يوما فقال : آمين آمين آمين .

فقال أصحابه : يارسول الله علام أمنت ؟

قال النبى ﷺ : أتانى جبريل فقالَ : يا محمدُ ، رغم أنفُ رجلٍ ذكرت عنده فلم يصل عليك ، قل : آمين . فقلت : آمين . ثم قال : رغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم خرج فلم يغفرْ لهُ قل : آمين ، فقلت : آمين ، ثم قال : رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة ، قل : آمين ، فقلت : آمين .

وأقبل رجل إلى رسول الله ﷺ وسلم فسأله : يانبى الله ما حقُّ الوالدين على ولدهما ؟

قال النبى ﷺ : هما جنتك ونارك .

وسأل عبد الله بن مسعود النبى ﷺ : أى العمل أحبُّ إلى الله ــ تعالى ــ ؟

قال رسول الله ﷺ : الصلاة على وقتها .

---

(1) سورة النساء : الآية ٥٩ .

(2) سورة البقرة : الآية ٨٣ .

(3) سورة الإسراء : الآية ٢٤ .

فتساءل عبد الله بن مسعود : ثم أى ؟

قال النبى ﷺ : بر الوالدين .

فقال عبد الله بن مسعود : ثم أى ؟

قال رسول الله ﷺ : الجهاد — لإعلاءِ كلمة الله — تعالى — فى سبيل الله .

ولا يخفى أنه إذا تأكد حق القرابة والرحم فأخص الأرحام وأمسها الولادة ، فيتضاعف تأكد الحق فيها . يقول رسول الله ﷺ : لَنْ يجزىَ ولدٌ والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه .

وقال النبى ﷺ : بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد فى سبيل الله .

وقال رسول الله ﷺ : من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة ، ومن أصبح مسخطا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار .

وأقبل رجل إلى النبى ﷺ ، فاستأذنه فى الجهاد ، فسأله رسول الله ﷺ :

أحى والداك ؟

قال الرجل : نعم .

قال النبى ﷺ : فيهما فجاهد .

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يانبى الله أبايعك على الهجرة والجهادِ أبتغى أجر الله ،

فسأله النبى ﷺ : فهل من والديك أحد حى ؟

قال الرجل : نعم بل كِلاهُما حى .

فقال رسول الله ﷺ : فتبتغى الأجر من الله ؟

قال الرجل : نعم .

فقال رسول الله ﷺ : فأرجع إلى والديك فأحسن صحبتهما .

وسأل رجل النبى ﷺ : يارسول الله من أبر ؟

قال رسول الله ﷺ : بر والديك .

قال الرجل : ليس لى والدان .

فقال النبى ﷺ : بر ولدك كما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق .

وسأل رسول الله ﷺ أصحابه يوما : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟

فقالوا : بلى يارسول الله .

قال النبى ﷺ : الإشراك بالله وعقوق الوالدين .

وكان متكئا فجلس وقال : ألا وقول الزور ، وشهادة الزور .

فمازال يكررها قال أبو بكر الصديق وعمر وأصحاب رسول الله : ليته سكت .

قال الله — تعالى — لموسى — عليه السلام — : ياموسى إنه من بر والديه وعقنى كتبته بارًّا ومن برنى وعق والديه كتبتُه عاقًّا .

ولما دخل يعقوب — عليه السلام — على ابنه يوسف لم يقم له فأوحى الله إليه : أتتعاظمُ أن تقومَ لأبيك ؟ وعزَّتى وجلَالى لاأخرجتُ من صلبِك نبيا .

وجاء رجل من الأنصار إلى النبى — عليه الصلاة والسلام — فقال : يارسول الله هل بقى علىَّ من بر والدىَّ شىء بعد موتهما أبرهما به ؟

قال رسول الله ﷺ : « نعم خصال أربعٌ : الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التى لا رحم لك إلا من قبلهما ، فهو الذى بقى عليك من برهما بعد موتهما » .

قال الرجل : ما أكثر هذا وأطيبه .

قال رسول الله ﷺ : فاعمل به .

قال ﷺ : لو علم الله شيئاً أدنى — أقل — من الأف — ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾[1]

(١) سورة الإسراء : من الآية ٢٣ .

لنهى عنه ، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخلَ الجنة ، وليعمل البَارُّ ما شاء أن يعمل فلن يدخلَ النار .

ويقول النبى ﷺ : الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوقُ الوالدينِ ، وقتلُ النفسِ ، وَالْيَمِينُ الغموسُ .

قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة لا ينظر إليهم يوم القيامة العاقُّ لوالديه ومدمنُ الخمر والمنانُ عطاءَه . وثلاثة لا يدخلونَ الجنَة العاقُّ لوالديْه والديوثُ ـــ الذى يقر أهله على الزنا مع علمه ـــ والرَّجلة ـــ المترجلة المتشبهة بالرجال» .

وقال النبى ﷺ : «من الكبائر شتم الرجل والديه» .

فتساءل بعض الصحابة : وهل يشتم الرجل والديه يانبىَّ الله ؟

قال رسول الله ﷺ :«نعم يسبُ أبا الرجل فيسب أباه،ويسب أمه فيسب أمه».

وبينما كان أصحاب رسول الله ﷺ جلوسًا فى مسجده يومًا خرج عليهمْ وهم مجتمعون فقال : يامعشر المسلمين اتقُوا الله وصلوا أرحامكم ، فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم ، وإياكم والبغى فإنه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة البغى ، وإياكم وعقوق الوالدين فإن ريح الجنة توجدُ من مسيرة ألف عام والله لا يجدها عاقٌّ ، ولا قاطعُ رحمٍ ، ولا شيخٌ ، ولا جارٌ إزاره خيلاء ، إنما الكبرياءُ لله رب العالمين . والكذب كله إثم إلا ما نفعت به مؤمنا ودفعت به عن دين ، وإنَّ فى الجنة لسوقًا ما يباع فيها ولا يشترى ، ليس فيها إلا الصورَ فمن أحب صورةً من رجل أو امرأةٍ دخل فيها .

وقدمت أم أسماء بنت أبى بكر مدينة رسول الله ﷺ ـــ عقب صلح الحديبية ـــ وهى مشركةٌ فرفضت ذات النطاقين مقابلة أمها وذهبتْ إلى رسول الله ﷺ فقالت له : قدمت أمى على وهى راغبة أفأصل أمى ؟

قال النبى ﷺ : نعم صلى أمك .

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى ؟

فقال رسول الله ﷺ : أمك — لضعفها وحاجتها — .

ثم تساءل الرجل : ثم من ؟

قال النبى ﷺ : أمك

فقال الرجل : ثم من ؟

قال رسول الله ﷺ : أمك .

فتساءل الرجل : ثم من ؟

قال رسول الله ﷺ : ثم أبوك .

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه يوما : — رغم أنف — لصق أنفه بالرغام وهو التراب — ثم رغمَ أنفه ثم رغم أنفه .

فقالوا : من يارسول الله ؟

قال النبى ﷺ :((من أدرك والديه عند الكبرِ أو أحدُهما ثم لم يدخل الجنةَ)).

وكان رسول الله ﷺ يروى لأصحابه قصصًا ممن قبلهم — بنى إسرائيل — فيها العبرة والعظة .. خرج ثلاثة نفرٍ ممن كان قبلكم يرتادُون لأهليهم فأصابتهم السماءُ — نزل المطرُ أو هبَّت الرياحُ عاصفةً — فلجأوا إلى جبلٍ فوجدوا غارًا فدخلُوه فانحدرت صخرةٌ من الجبل فسدَّت عليهم الغار فقالُوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدْعُوا الله بصالح أعمالكم .

فقال أحدهم : اللهمَّ كان لى أبوانِ شيخانِ كبيرانِ ، وكنت لا أغبِقُ — أشربُ بالعشِيِّ — قبلهُما أهلاً ولا مالاً فنأَى بى — بعدُ بِى — طلبُ شجرٍ يومًا فلم أرِحْ عليهما حتَّى نامَا فلبثْتُ والقدَحُ — بِهِ اللبنُ الَّذِى حَلَبَه — عَلى يدىَّ أنتظِرُ استيقاظَهما حتى برق الفجر ، فاستيقظا فشربا غُبوقهما ، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ففرِّجْ عنا ما نحنُ فيه من هذه الصخرة .

فانفرجت الصخرةُ شيئًا لا يستطيعون الخروج .

وقال الآخر : اللهمَّ كانتْ لى ابنةُ عمٍّ وكانت أحبُّ الناسِ إلىَّ فطلبتها فأبتْ على ،

فجعلتُ لها جُعلا فلما قربت نفسَها تركتها ، فإن كنت تعلم أنى إنما فعلتُ ذلك رجاءَ رحمتك وخشية عذابك فافرج عنا .

انفرجت الصخرة حتى رأوا السماءَ ولكن لا يستطيعون الخروج . فقال الثالث : اللهُمَّ إن كنت تعلمُ أنى استأجرتُ أجيرًا يومًا فعمل لى نصف النهار فأعطيتُه أجرًا فتسخطه — لم يرض به — ولم يأخذه فوفرتُها عليه حتى صار من كلِّ المالِ ثم جاءَ يطلبُ أجره فقلتُ : هَذَا كلُّه ، ولو شئتُ لم أعطَهَ إلا أجره الأول فإن كنت تعلمُ أنىِّ فعلتُ ذلك رجاءَ رحمتِكَ وخشية عذابِكَ فافرجْ عنَّا .

فزالت الصخرة .. وخرجوا يتماشون .

قال رسول الله ﷺ : كل الذنوب يؤخر الله منها ما يشاءُ إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنه يعجل لصاحبه — يعنى العقوبة فى الدنيا قبل يوم القيامة — .

وقال رسول الله ﷺ : أربعةٌ نفر حقٌّ على الله ألا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمنُ الخمرِ ، وآكل الربا ، وآكلُ مالِ اليتيمِ ظلمًا ، والعاقُّ لوالديْه إلا أن يتُوبُوا ..

وقال النبى ﷺ : الجنةُ تحت أقدامِ الأمهات .

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقالَ : يَارسول الله أرأيتَ إذا صليتُ الصلواتِ الخمسَ ، وصمتُ رمضانَ ، وأديتُ الزكاةَ ، وحججتُ البيتَ فماذَا لىَ ؟

فقال رسول الله ﷺ : من فعل ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصَّالحين إلا أن يعق والديه ،

وقال النبى ﷺ : لعن الله عاقَّ والديه .

وليلة أسرى برسول الله ﷺ رأى فى النار أقواما معلَّقين فى جُذوع من نارٍ فقال : ياجبريل من هؤلاء ؟

قال جبريل — عليه السلام — : الذيَن يشتُمون آباءهم وأمهاتِهم فى الدنيا .

وذات ضُحى كان رسول الله ﷺ جالسًا فى مسجدِه وحولَه أصحابه فأقبل رجلٌ وقال : يانبى الله إن علقمة فى النزع .

كان علقمة شابًّا كثير الاجتهاد فى طاعة الله فى الصوم والصلاة والزكاة ، فمرض واشتدَّ مرضُه ..

قال رسول الله ﷺ لنفرٍ من أصحابه : ياصهيبُ ــ الرومىُّ ــ ياعمارُ ــ ابنَ ياسر ــ يابلالُ ــ ابنَ رباح ــ امضُوا إليه ولَقِّنُوه الشَّهادَةَ . فمضَى صهيبٌ وعمار وبلالٌ إلى دار علقمة فلمَّا دَخَلُوا عَليه وَجَدوهُ فى النَّزْعِ فجعلُوا يُلَقِّنُونَه : لا إله إلا الله .

ولكن لسانه لا ينطقُ بها . فأَرْسلُوا إلى رسول الله ﷺ يخبرونه أنَّ علقمة لا ينطقُ لسانه بالشهادِةِ فأقبل النبى ﷺ وتساءل : هل من أبويْه أحدٌ حَىٌّ ؟

قالوا : يارسول الله أم كبيرة السن .

فأرسل إليها النبى ﷺ ، فأقبلت وهى تتوكأ على عصا فقال لها النبى ﷺ : ياأُم علقمةَ أصْدِقِينى وإن كذبت جاءَ الوحىُ من الله ــ تعالَى ــ كيفَ كانَ حالُ ولدكِ علقمةَ ؟

قالت الأم العجوز : يارسول الله ، كثيرُ الصلاةِ وكثيرُ الصدقةِ .

فتساءل النبى : فما حالكَ ؟

قالت الأم : يارسول الله ، أنا عليْه ساخطةٌ .

فقال رسول الله ﷺ : ولم ؟

قالت الأم : يارسول الله ، كان يؤثر علىَّ زوجتَه ويعصينى .

فقال النبى ﷺ : إن سخط أم علقمة حجب لسانَ علقمة عن الشهادة .

ثم قال لبلال : يابلالُ انطلقْ واجمعْ لى حطبًا كثيرا .

فتساءلت أم علقمة : يا رسول الله ، وما تصنع ؟

قال النبى ﷺ : أحْرِقُه بالنَّارِ بين يديك .

فقالت أم علقمة فى فزع : يارسول الله ولدى لا يحتملُ قَلبى أن تحرقه بالنار بين يدىَّ .

قال رسول الله ﷺ : ياأُم علقمة عذاب الله أشدُّ وأبقَى فإنْ سرَّك أن يغفر الله له

فارض عنه ، فوالذى نفسى بيده لا ينفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته ما دمت عليه ساخطة .

فقالت أم علقمة : يارسول الله إنى أشهد الله تعالى وملائكته ، ومن حضرنى من المسلمين أنى قد رضيتُ عن ولدى علقمة .

فقال رسول الله ﷺ : انطلق إليه يابلال وانظر هل يستطيع أن يقول : لا إله إلا الله أم لا ؟ فلعلَّ أم علقمة تكلمتْ بما ليس فى قلبها حياءً مِنِّى .

فانطلق بلالُ بن رباحٍ فسمع علقمة من داخل الدار يقول : لا إله إلَّا الله .

فدخل بلالُ فقال : ياهؤلاء إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة وإن رضاها أطلق لسانه .

ثم مات علقمةُ من يومه .

وحضر رسول الله ﷺ فأمر بغسله ، وكفنه ثم صلىَّ عليه ، وحضر دفنه وقال وهو ينظرُ نحو علقمة : الحمد لله الذى أنقذك بى من النار . الحمد لله الذى أنقذك بى من النار .

ثم قام على شفير قبره وقال : يامعشر المهاجرين والأنصار من فضَّل زوجته على أمه فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عَدْلاً إلا أن يتوبَ إلى الله — عزَّ وجلَّ — ويحسن إليها ويطلب رضَاها فَرِضَى الله فى رضاهَا وسُخطُ الله فى سخطها .

ورأى عبد الله بن عمر بن الخطاب رَجُلاً قد حمل أمه على رقبته ، وهو يطوفُ بها حول الكعبة فقال : ياابنَ عمرَ أتراني جَازَيتُها ؟

قال عبد الله بن عمر : ولا بطلقة واحدةٍ من طلقاتها — أثناء ولادتك — ولكن قد أحسنت والله يثيبُكَ على القليل كثيرًا .

أختـــى المسلمـــة ...

برُّ والديْك عليك دين فهما مصدرُ وجودك وأقربُ الناس إليك ، ومهما أحسنت إليهما لنْ توفيهما حقَّهما ، وحسبُك ترغيبًا لك فى إكرامهما وطاعتهما وإن أمراكِ أن تخرجى من مالك ولا تنسى بعد وفاتهما أمر الله فى محكم كتابه ﴿وَقل رَّبِّ ارْحمْهُمَا كَمَا رَبَّيانِى صَغِيرًا﴾[1] .

والله نسأل أن يوفقنا لرضاه وأن يجنبنا سخطه ، إنه جواد كريم رءوف رحيم .

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٢٤ .

الوصيـــة الحاديـة عشـــرة

غـــض البصـــر

إن أثمن زينة المرأة هو الحياء ، وأبرز عنوان للحياء هو غض البصر ، يقول ــ تبارك وتعالى ــ : ﴿وَقُل لِّلمؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أبصَارِهِنَّ﴾(١) .

يقول الله ــ عز وجل ــ لرسوله : يامحمد قل لأتباعك المؤمنات : يكففن أبصارهن عن النظر إلى ما لا يحل لهن النظر إليه . أى : عما حرم الله عليهنَّ من النظر إلى غير أزواجهن ، فهل المقصود بغضِّ البصر خفضُه وعدمُ رفعه من الأرض ؟ ليس هذا هو المقصودُ بالأمر الإلهى ، ولكن المقصود اجتناب ما قد عبر عنه رسول الله ﷺ بزنا النظر فالتلذذ برؤية جمال النِّساءِ الأجنبياتِ ، وزينتهن هو مبعث الفتنة للرجال .

قال رسول الله ﷺ عن ربه ــ عز وجل ــ : « النظرةُ سهم مسموم من سهام إبليس مَن تركها من مخافتى أبدلته إيمانا يجد حلاوته فى قلبه » .

هل يسير الإنسان مغمض العينين فى الشارع ؟ هل فى الإمكان ألا يرى الرجلُ امرأة أبدًا ؟ ولا ترى المرأة رجلاً أبدا ؟ إذا وقع بصر الرجل على المرأة فجأة ــ النظرة الأولى ــ فلا إثم فيه ، وإنما المحظور أن يعيد المرء نظره إلى حيث يستأنس الزينة والجمال ويجعله مرمى عينيه .

قال النبى ﷺ لربيبه على بن أبى طالب : « ياعلى ، لاتُتبع النظرة فإن لك الأولى وليس لك الآخرة » .

ويقول ﷺ : « من نظر إلى محاسن امرأة أجنبية عن شهوة صُبَّ فى عينيه الآنك ــ الرصاص المذابُ المصهور ــ يوم القيامة » .

---

(١) سورة النور : الآية ٣١ .

وقال أبو القاسم ﷺ : « ما من مسلمٍ ينظرُ إلى محاسنِ امرأةٍ ثم يغضُّ بصره إلا أحدث له عبادةً يجدُ حلاوتها فى قلبه » .

إذا نظر المرء إلى امرأة أول رمقة ــ من غير قصد ــ فيصرف بصره عنها تورُّعاً .

وذات يومٍ كانت أم سلمة وميمونة بنت الحارث عند رسول الله ﷺ ، فدخل عبد الله ابن أم مكتوم ــ كان أعمى ــ فقال رسول الله ﷺ لزوجتيه : احتجبا منه .

فقالت أم سلمة : يارسول الله ، أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟

فقال النبى ﷺ : أو عمياوان أنتما ؟ أو لستما تبصرانه ؟

يقول رسول الله ﷺ : «الإثم حوازُ القلوبِ وما منْ نظرةٍ إلّا والشيطانُ فيها مطمع» .

وإذا كان الله ــ سبحانه وتعالى ــ يأمرنا فى قرآنه بأن نغضَّ من أبصارنا عن كل ما يغضب الله ــ تبارك وتعالى ــ وكذلك يحذرنا ويرشدنا نبيه ﷺ .. ولكن متى يجوزُ النظر إلى المرأة الأجنبية ؟ قد يستدعى الأمر النظر إلى المرأة الأجنبية كأن ينظر الطبيبُ إلى مريضة أو ينظر القاضى إلى امرأة تحضر بين يديه شاهدة أو تكون طرفا فى قضية .

جلس أحد القضاة ينظر فى قضايا الناس وكان بين المتقاضين امرأة ادَّعت على زوجها أن عليه خمسمائة دينارٍ مهرا لها فأنكر الزوجُ أن لها فى ذمته شيئًا فقال القاضى للزوج : أين شهودك ؟

قال الزوج : قد أحضرتهم .

فاستدعى القاضى أحدهم وقال له : انظر إلى زوجة هذا الرجل لتشير إليها فى شهادتك ..

فاقترب الشاهد من الزوجة وقال لها : قومى .

فتساءل الزوج : ماذا تريدون منها ؟

فقال القاضى : لابد أن ينظر الشاهدُ إلى امرأتك وهى مسفرة ــ كاشفة عن وجهها ــ لتصبح له معرفةٌ بها .

اشتعلت النار فى عروق الزوج وأخذته حمية وغيرة ، كيف تكشف امرأته عن وجهها أمام رجال غرباء ؟ أليست العينُ زانيةً ؟

صاح الزوج : أيها القاضى إنى أشهدك على أن لزوجتى هذه فى ذمتى هذا المهر الذى تدعيه ، وهو خمسمائة دينار .

فلما سمعت الزوجة ذلك أكبرت زوجها أن يضنَّ ــ يبخل ــ بوجهها على رؤية الشهود ، وأنَّه يصونها من أعينِ الناس الغرباء . فقالت : أيها القاضى إنى أشهدك على أنى قد وهبت له ــ لزوجى ــ هذا المهر وأبرأته منه فى الدنيا والآخرة .

فعجب القاضى وقال لمن حوله : اكتبوا هذا فى مكارم الأخلاق .

أو حين تحصر امرأة فى حريق أو تقع فى لجة فتشرفُ على الغرق أو تكونُ عرضة للخطر ففى هذه الحالات يجوزُ النظر إليها أو لمسها بل احتضنها ــ فى حالة الإشراف على الغرق أو إنقاذها من حريق .

وكذلك النظر إلى المرأة الأجنبية ، بل إطالة النظر إليها ــ إسفاف النظر إليها ــ بقصد الزواج بها .

بل هو مما ندب إليه فى السُّنة فقد خطب الصحابى الجليل المغيرةُ بن شعبة الثقفى امرأةً فقال له النبى ﷺ : انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم ــ الأدم : الألفة والاتفاق ويقال أدم الله بينهما أى أصلح وألف ــ بينكما .

وجاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يارسول الله جئتُ لأهَبَ لكَ نفْسى ..

فنظر النبىُّ إليها وصعد النظر إليها .

وأقبل رجل فقال : يانبى الله تزوجت امرأة من الأنصار .

فقال له رسول الله ﷺ : أنظرت إليها ؟

قال الرجل : لا .

فقال النبى ﷺ : فاذهبْ فانظْر إليها فإنَّ فى أعين الأنصار شيئا .

وقال رسول الله ﷺ : «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل» .

فعلى الأخت المسلمة أن تلاحظ ذلك .

الوصيــة الثانيــة عشــرة :

الرقيــة مـن العيــن

الرقى ، وهو ما يقرأ من الدعاء لطلب الشفاء .
هل الرقى جائزة ؟ نعمْ كيف ؟ بالقرآن والأسماء الإلهية والأدعية النبوية لكن بشروط :
أن يكون بكلام الله ــ تعالى ــ أو بأسمائه وصفاته .

وبلسان عربى ، أو بما يعرف معناه من غيرهِ ، لأن ما لا يفهم لا يؤمن من أن يكون فيه شئٌ من الشِّركِ ، أن يعتقد أنَّ الرقية لا تؤثرُ بنفسها بل بفعل الله ــ تعالى ــ .
دخل رسول الله ﷺ بيت أم سلمة فسمع صوت صبىٍّ يبكى فتساءل : مالصبيكم هذا يبكى ؟ فهلا استرقيتمُ له من العين ؟
فحملته أمه وقدمته إلى النبى ﷺ وطلبت منه أن يسترقيه فرقاه قالت أسماء بنت عميس ــ زوجة جعفر بن أبى طالب : يارسول الله ، إنَّ بنى جعفر تصيبُهم العينُ أفأسترقى لهم ؟

قال رسول الله ﷺ : نعم فلو كان شئٌ يسبق القضاء لسبقته العينُ .

وذات يوم اغتسل الصحابى الجليلُ سهل بنُ حنيفٌ بالخراز فنزع جبة كانت عليه وكان سهلُ رجلاً أبيضَ حسن الجلد فنظر إليه عامر بن ربيعة وقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء ــ مخبأة ــ .
فوعك سهل بن حنيف مكانه ــ لبط ــ واشتدَّ وعكه ، فأتى نفر رسول الله ﷺ وقالوا : يارسول الله هل لك فى سهل بن حنيفٍ ، والله ما يرفع رأسه .

فتساءل النبى ﷺ : هل تتهمون له أحدا ؟

قالوا : نتهم عامر بن ربيعة .

فتغيظ عليه ﷺ وقال : علام يقتل أحدكم أخاه ألا برَّكت اغتسل له .

فغسل عامر بن ربيعة وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه ، وأطراف رجليه وداخلة إزاره فى قدح ثم صب عليه .

فشفى سهلُ بنُ حنيفٍ وراح مع الناسِ ليس به بأس .

ورأى رسول الله ﷺ جارية فى وجهها سعفة فى بيت أم سلمة ، فقال أبو القاسم ﷺ : استرقوا لها فإن بها النظرة .

لقد كان العربُ فى الجاهلية يرقونَ ، ولكن رقى مكونة من أقوالٍ لاتعرف ، وكلمات غريبة أشبه بزمزمة الكهان وسجعهم وتفث السحَّار وعقدهم .

فلما جاء الإسلام أقر مبدأ الرقى على أن تخلو من كل شرك ،

قال عوف بن مالك الأشجعى : كنا نرقى فى الجاهلية .

فسأل الصحابة أبا القاسم ﷺ : يانبى الله كيف ترى فى ذلك ؟

قال ﷺ : اعرضوا علىَّ رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك .

إن الإصابة بالعين الحاسدة أمر واقع حقيقى .. يقول رسول الله ﷺ : العين حقٌّ — شىء ثابت موجود —

وقال الصادق الصدوق ﷺ : «أكثرُ من يموتُ من أمتى بعد قضاء الله وقدره بالأنفس» — بالعين — .

وكان رسول الله ﷺ إذا اشتكى رقاه جبريل — عليه السلام — : باسم الله يبريك ، ومن كل داء يشفيك ، ومن شر حاسد إذا حسد وشر كل ذى عين .

وكان جبريل — عليه السلام — يقول : يامحمد اشتكيت ؟

فيقول رسول الله ﷺ : نعم .

فيقول جبريل — عليه السلام — : باسم الله أرقيك ، من كل شىء يؤذيك ، من شر كل نفس أو عين حاسد ، الله يشفيك باسم الله أرقيك .

وكان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه الرقى فيقول : «اللهم ربَّ الناسِ ، مذهبَ الباس ، اشف أنتَ الشافى ، لا شافىَ إلا أنتَ شفاءً لا يغادر سقما» .

تقول أم المؤمنين عائشة : كان إذا اشتكى الإنسان الشىءَ منه أو كانت به قرحة أو جرح ، قال النبى ﷺ بأصبعه هكذا ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها : باسم الله

تربةُ أرضنا بريقة بعضنا يشفَى ـ ليشفى به ـ سقيُمنا بإذن ربنا .

وقد تكون الرقيةُ بالمعوذتين ﴿قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾(١) و ﴿قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾(٢) .

تقول عائشة بنت أبى بكر : كان النبى ﷺ إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين ، وينفثُ ـ شبيةٌ بالنفخ ، وهو أقل من التفل ـ فلما اشتدَّ وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده رجاء بركتها .

وقد تكون الرقية بآية الكرسى ،

شكا الصحابى الجليل عثمانُ بن أبى العاص وجعًا فقال له رسول الله ﷺ : ضعْ يدك على الذى تألمُ من جسدك وقل : باسْم الله ثلاثا ، وقل سبع مرات أعوذُ بالله وقدرته ممَّا أجدُ وأحاذر .

يقول عثمان بن أبى العاص الثقفى : ففعلت فأذهب الله ما كان بى ، فلم أزل آمر به أهلى .. وغيرهم .

رقية إبراهيم ـ عليه السلام ـ : كان رسول الله ﷺ يُعَوِّذ ريحانتيه ـ الحسن والحسين ويقول : إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذُ بكلمات الله التامة ، من كلِّ شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة .

والمقصود بكلمات الله التامة الكاملة النافعة الشافية المباركة . ومن كلِّ شيطان يدخل تحته شياطين الإنس والجن . وقولُه : ومن كل عين لامة أى ذات لمم ، وكل ذى سم يقتل ، فأما ما لا يقتل ويسم كالعقرب والزنبور ـ الدبور ـ أما كلمة هامة فما يدب من الحيوان .

أختــى المسلمــة ...

عرفت بعض الرقى التى علمنا إياها رسول الله ﷺ ، فهى دواءُ من أدوية طبيب الرحمة ﷺ ، طب نبوى ، نفعنا الله بهديه فى الدنيا والآخرة .

---

(١) سورة الفلق : الآية ١ .

(٢) سورة الناس : الآية ١ .

الوصيــة الثالثة عشــرة :

ذم الريـــاء

الرياء حرام ، والمرائى عند الله ــ عز وجل ــ ممقوت .

يقول العزيز العليم : ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ ولا يذْكُرونَ اللهَ إلَّا قَلِيلًا﴾(١)

ويقول ــ تبارك وتعالى ــ : ﴿فَوَيْلٌ للمُصَلّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ. الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * ويمنَعُونَ المَاعُونَ﴾(٢) .

وقال ــ تبارك وتعالى ــ : ﴿والَّذِينَ يَمْكُرونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أولِئكَ هُوَ يَبُورُ﴾(٣) همْ أهل الرياء .

وقال ــ تعالى ــ : ﴿يَاأيها الَّذِينَ آمنُوا لَاتُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمَنِّ والْأَذَى كَالَّذِى يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾(٤) .

وقال ــ تعالى ــ : ﴿فمَنْ كانَ يرْجُو لقَاء ربِّه فليعْمَلْ عَملاً صَالِحًا ولا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ ربِّه أحَدًا﴾(٥) لا يرائى بعمله ، فهو يطلب الأجر والحمد بعباداته وأعماله .

قال رسول الله ﷺ : إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فى سبيل الله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدتُ قال : كذبتَ ولكنكَ فعلتَ ليقال هُو جرىء وقد قيل : ثم أمر به فسحب على وجهه حتَّى ألقى فى النار . ورجلٌ وسع اللهُ عليه وأعطاهُ من أصناف المالِ فأُتى به فعرَّفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قالَ : ما تركتُ من سبيلٍ تحب أن أنفقَ إلا

---

(١) سورة النساء : الآية ١٤٢ .

(٢) سورة الماعون : الآيات ٤ ــ ٧ .

(٣) سورة فاطر : الآية ١٠ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٦٤ .

(٥) سورة الكهف : الآية ١١٠ .

أنفقَت فيها لك ، قال : كذبتَ ولكنكَ فعلتَ ليقالَ هوَ جوادٌ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسُحبَ على وجهِه حتىَّ ألقى فى النارِ ، ورجل تعلّم العلمَ وعلّمه وقرأ القرآنَ فأتى به فعرَّفه نعمة فعرفها ، قال : فما عملتُ فيها ؟ قالَ : تعلمتُ العلم وعلمتُه وقرأتُ فيك القرآن قالَ : كذبتَ ولكنَّكَ تعلمتَ ليقالَ هو عالمٌ وقرأت ليقالَ هو قارئٌ ثمَّ أمر به فسُحبَ على وجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ .

يقول رسول الله ﷺ : إنهم لم يثابوا — المقتول فى سبيل الله ، والمتصدى بماله ، والقارئ — وأن رياءَهم هو الذى أحبط أعمالهم .

فسأله رجل : يارسول الله فيم النجاة ؟

قال الصادق الصدوق : «أن لا يعملَ العبدُ بطاعةِ الله يريدُ بها الناسَ» .

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه : «إن أخوفَ ما أخافُ عليكمُ الشِّركَ الأصغرَ» .

قالوا : وما الشركُ الأصغر يارسول الله ؟

قال النبى ﷺ : الرياءُ يقولُ الله — تعالى — يوم يجازى العبادَ بأعمالهم : اذْهبوا إلى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم فانظروا هل تجدُون عندهم جزاءٍ ؟

ثم قال رسول الله ﷺ : استعيذوا بالله — عز وجل — من جب الحزن .

فقال أصحاب رسول الله ﷺ : وما هو يارسول الله ؟

قال الصادق الصدوق ﷺ : وادٍ فى جهنم أعد للقراء المرائين .

قال النبى ﷺ : يقول الله — عز وجل — : ﴿منْ عمل لِي عملا أشركَ فيه غيرِى فهو له كله وأنا منه برئ ، وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك﴾ .

قال عيسى بن مريم — عليه السلام — : إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ، ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس أنه صائم ، وإذا أعطى بيمينه فليخف عن شماله ، وإذا صلى فليرخ ستر بابه فإن الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق .

وقال نبى الرحمة ﷺ : «لا يقبل الله — عز وجل — عملا فيه مثقال ذرة من رياء» .

ورأى أمير المؤمنين عمرُ بن الخطاب الصحابى الجليل معاذُ بن جبل يبكى عند قبر النبى ﷺ : فقال : ما يبكيك ؟

قال معاذ بن جبل : حديث سمعتُه من صاحب هذا القبر ــ يعنى رسول الله ﷺ ــ يقولُ : إنَّ أدنَى الرياءِ شركٌ .

وبكى رسول الله ﷺ يوما فسأله شداد بن أوس : ما يبكيك يارسول الله ؟

قال النبى ﷺ : إنى تخوفت على أمتى الشرك أما إنهم لا يعبدون صنمًا ولا شمسا ولا قمرًا ولا حجرًا ، ولكنهم يراءون بأعمالهم .

أختــى المسلمــة ...

إذا راءى العبدُ يقول الله ــ عز وجل ــ « انظروا إلى عبدى كيف يستهزىء بى »

ويوم القيامة ينادى بالمرائى بأربعة أسماء : يامرائى ياغادر يافاجر ياخاسر .

رأى أميرُ المؤمنين عمر رجلاً يطأطى رقبته فقال : ياصاحب الرقبة ارفع رقبتك ، ليس الخشوع فى الرقاب إنما الخشوع فى القلوب .

وقال الحسن : المرائى يريدُ أنْ يغلبَ قدر الله فيهِ هُو رجلُ سوء يريدُ أن يقول الناسُ هو صالحٌ فكيفَ يقولُون وقدْ حلَّ من ربِّه محلَّ الارديا ء ؟ فلابدَّ من قلوب المؤمنينَ أن تعرفه .

وأتى أبوُ أمامة الباهلىُّ على رجل فى المسجد وهو ساجدٌ يبكى فى سجوده ويدعُو فقال له : أنتَ أنتَ لو كانَ هذا فى بيتِك ؟

يقول محمد بن المبارك ناصحا : أظهر السمت بالليلِ فإنه أشرفُ من إظهاره بالنهار ، لأن السمت بالنهار للمخلوقين ، والسمت بالليل لرب العالمين .

وقال الإمام على بن أبى طالب : للمرائى ثلاث علامات : يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان فى الناس ، ويزيد فى العمل إذا أثنى عليه ، وينقص إذا ذم به .

وقال الفضيل بن عياض : تركُ العملِ لأجلِ الناسِ رياءٌ ، والعملُ لأجلِ النَّاسِ شرْكٌ ، والإخلاصُ أن يعافيكَ الله منها .

أختــى المسلمــة ..

ليستيقظ العافلُ قبلَ سير القوافلِ ، فمن منا ليس براحلِ ، وماله زاد ولا رواحل ؟

إنمـــا الدنيـــا محـــل ... لقيـــام وقنـــوت
فغـــدًا تنـــزل بيتـــا ... ضيقًـــا بعـــدَ النحـــوت
بيـــنَ أقـــوام سكـــوتٍ ... ناطقـــاتٍ فى الصمـــوت
فـــارَض فى الدنيـــا بثـــو ... بٍ ومـــن العيـــش بقـــوت
واتخـــذْ بيتًـــا ضعيفًـــا ... مثـــلَ بيـــت العنكبـــوتِ

فنسأل الله صلاحَ الحالِ فى الدنيا والآخرة .

إنه على ما يشاء قدير .

الوصيــة الرابعــة عشــرة :

الصَّــــدقة

يوصينا الله عَزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ بالإكثار من الصدقَة فهى بابٌ من أبواب الخير ، يقول ــ سبحانه وتعالى ــ : ﴿وَما أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾(١) وقال تعالى : ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾(٢) وقال : ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾(٣) فمن ينفق فى رضا الله ــ تعالى ــ يعوضه الله ــ تعالى ــ فيجازيه ــ سبحانه ــ بقدره .

قال رسول الله ﷺ : لا حسدَ ــ لا غبطة أى تمنى مثل هذه النعمة : منافسة فى الخير ــ إلا فى اثنتين : رجلٌ آتاه الله ــ أعطاه ــ مالاً فسلطه على هلكته ــ إنفاقه فى القرب ، والطاعات ــ فى الحقِّ ، ورجل آتاه الله حكمة ــ علما ــ فهو يقضى ــ بينَ المتنازعين يزيلُ الخصام ويعلِّم الناس ليعلموا ــ بها ويعلمها .

وقال النبى ﷺ : «اتقوا النار ولو بشق تمرة» ــ نصف تمرة ــ .

يحثنا رسول الله ﷺ على الصدقة لتكون وقايةً لنا من النار ولو بنصف تمرة .

قال النبى ﷺ لمعاذ بن جبل : ألا أدلك على أبواب الخير ؟

قال معاذ بن جبل : بلى يارسول الله .

قال أبو القاسم ﷺ : الصوم جنة ــ وقاية ــ والصدقة تطفىءُ الخطيئة كما يُطفِىءُ الماء النارَ ، وصلاة الرجل فى جوف الليل شعار الصالحين .

---

(١) سورة سبأ : الآية ٣٩ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٧٢ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٢ .

أختـى المسلمـة ...

إذا كانت الصدقة تطفىء الخطيئة فهى تطفىء غضبَ الرب ـــ سبحانه وتعالى ـــ .. يقولُ رسول الله ﷺ : «إن الصدقة تطفىءُ غضب الرب وتدفع ميتة السوء» .

قالت ميمونة بنت سعد : يارسول الله أفتنا عن الصدقة ـــ حدِّثنا عن أجر الصدقة وفضيلتها . فقال الصادق الصدوق ﷺ : إنها حجاب من النار لمن احتسبها ـــ ادخرها عندَ الله ـــ يبتغى بها وجه الله ـــ عز وجل ـــ .

وقال ﷺ : إن الله ليربى لأحدكم الثمرة كما يربى أحدكم فلوه ـــ المهر أو ما يولد ـــ أو فصيله ـــ ولدُ الناقة إلى أن يفصل عن أمه ـــ حتى تكون مثل أحد ـــ مثل جبل أحد ـــ .

وقال رسول الله ﷺ لأم المؤمنين عائشة : ياعائشة استترى من النار ، ولو بشق تمرة ـــ نصفها ـــ فإنها تسد من الجائع مسدَّها من الشبعان ـــ تدفع عنه بعض ما يجد من مس الجوع ـــ

وذبح أهل البيت شاة فسأل النبى ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ عائشة : ما بقى منها ؟

قالت عائشة : ما بقى منها إلا كتفها ـــ يعنى وزعت الشاة كلها صدقة ولم يبق إلا كتفها ـــ

فقال النبى ﷺ : بقى كلها غير كتفها ـــ ثواب كلها ـــ

وكانَ رسول الله ﷺ يرغّب فى الصَّدقة فيقول : ما منْ يوم يُصبحَ العبادُ فيه إلّا ملكان ينزلان فيقولُ أحدُهما : اللهمَّ أعطِ منفقًا خلفًا ، ويقول الآخر : اللّٰهُمَّ أعطِ ممسكًا ـــ البخيل الذى لا ينفقُ فى الواجبِ ـــ تلفًا ـــ فواتُ أعمالِ البر والتشاغُلِ بغيرها ـــ

وقال الهادى البشيرُ ﷺ : قال ـــ تعالى ـــ : أنفق ـــ اصرفِ المال فى وجوه القرب إلى الله ـــ تعالى ـــ إيمانًا واحتسابا ـــ يا ابنَ آدم يُنفَقْ ـــ يوسَّع عليك ، ويخلف عوض ما تنفقُه ـــ عليك .

وقال أبو القاسم ﷺ : ثلاثة أقسم عليهنَّ وأحدثكمْ حديثًا فاحفظُوه : «ما نقصَ مالُ عبدٍ من صدقَةٍ ـــ بالبركة النازلة فيه تزيدُ ثمرتُه بالثوابِ المعدِّ لباذلِهِ ، فقد كان بعضُ السلفِ إذَا رأى السائلَ يقولُ : مرحبًا بمن جاءَ يحوِّل مالَ دنيانَا إلى أخْرانَا ـــ ولا ظلَمَ عبدٌ مظلمة ـــ يعم الظلم فى النفس واللسان والعرض .. ظلمُ القوى الضعيف ـــ صبر عليها ـــ حبس نفسه على ألمها ، ولم ينتقم من ظالمِه بشيءٍ من الانتقام ـــ إلا زادَه الله عزًّا ، ولا فتح عبدٌ باب مسألةٍ إلا فتح الله عليه باب فقرٍ ـــ أو كلمة نحوها ـــ وأحدُّثكم حديثًا فاحفظُوه ـــ لتنفقُوا فى الخير وتتركُوا الحرصَ على جمع المالِ ـــ قال : إنما الدنيا لأربعةِ نفرٍ : عبدٌ رزقَه الله مالاً وعلمًا فهوَ يتقى فيه ربَّه ـــ يخافُه ولا يصرفُه فى معصيةٍ بل يجتنُب ما لَا يرضيه ـــ ويصلُ فيه رحمهُ ويعلَم لله فيه حقًّا ـــ زكاةً كفارةً . نذْرا . سدَّ جوعةٍ . كسوةَ عارٍ . تقربًا إلى الله بالأعمالِ الخيرية ـــ فهذَا بأفضلِ المنازِل ـــ لأنهُ علم وعمِل ، فقرب إلى الجنة واجتنبَ الحرام ـــ وعبدٌ رزقه الله علما ـــ علمُه النافعُ دعاه إلى جمع المال وإنفاقِه لله ـــ تعالى ـــ ولم يرزقْه مالاً فهو صادقُ النية يقول : لو أنَّ لى مالاً لعملتُ بعمِل ـــ فى طلب ثواب الله ـــ عز وجل ـــ فيعزمُ على مشروعات البر ليجمع بين علمه وثمرةِ مالِه فى رضَا خالِقه ـــ جل وعلا ـــ فهو نيتُه فأجُرهما سواءٌ ـــ منْ حيثُ النية والقصدُ ـــ وعبدٌ رزقَه الله مالًا ولم يرزقْه علمًا فهو يخبطُ ـــ يتركُ إتلافه فى المحارِم ويبذلُه فى المآثم ـــ فى ماله بغيرِ علمٍ لا يتَّقِي فيه ربَّه ولا يصلُ فيه رحمه ، ولا يعلمُ فيه حقا فهو بأخبث المنازِلِ ، وعبدٌ لم يرزقْه اللهُ مالا ولا علمًا يقولُ ـــ يقولُ ذلك العبدُ الفاقدُ لهما لجهلِهِ ـــ لو أنَّ لى مالاً لعملتُ فيهِ بعملِ فلانٍ ـــ يصرفه فى الملابس الفاخرة واستماع الملاهى ، وأكل المستلذات المحرمة ـــ فهو نيتُّه ـــ يجدُ إثم نيته قصدَ الفسادِ ـــ فوزرُهما سواءٌ» .

وسأل رجلٌ رسول الله ﷺ : أى الإسلامُ خير ؟

قال النبى ﷺ : تطعمُ الطَّعامَ ـــ عَلَى وجْهِ الصَّدقِة والضِّيافِة والهديَّة ـــ وتقرأُ السَّلامَ عَلَى من عرفْتَ ومنْ لا تَعرِفُ .

ويقول النبى ﷺ : ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدًا ـــ من عرف

بالعفو والصفح سادَ وعظمَ فى القلوب وزادَ عزة وكرامةً ــ بعفوٍ إلا عزًّا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعَهُ الله ــ عز وجل ــ .

وقال رسول الله ﷺ لأسماء بنت أبى بكر : لا توكى ــ لا تدَّخرِى ما عندك وتمنعى ما فى يدك ــ فيوكى الله عليك ــ يقطع مادة الرِّزق ــ

وفى رواية أخرى : أنفقى أو أنفحى أو أنضحى ــ أنفقى ــ ولا تُحصِى ــ لا تمْسكيِ المالَ من غير إنفاق ــ فيحصى الله عليك ــ يمسكُ عنك مادة الرزق والبركة فيه ، ويناقشك الحساب فى الموقف ــ ولا تُوعِى ــ لا تمنَعى ما فضل عنك عمن هو العطاءِ ــ فيوعى عليك ــ يمنع فضله وجوده ــ سبحانه وتعالى ــ

وقال رسول الله ﷺ : «من تصدَّق بعدل تمرة ــ بقيمتها ــ من كسْبٍ طيبٍ ــ حَلالٍ خالٍ من الغشِّ والخديعة ــ ولا يَقبلُ اللهُ إلَّا الطيبَ فإن الله يقبلُها بيمينه ــ يتفضلُ بحسْنِ القبولِ ــ سبحانَهُ وتعالى ــ كَنىًّ عن قبولِ الصَّدقةِ باليَمينِ ، وعن تضعيف أجرها بالتنمية ــ ثم يربِّيها لصاحبها كما يربىِّ أحدُكم فلوَّه حتى تكون مثل الجبل» .

ويقول أبو القاسم ﷺ : بينا رجلٌ يمشى بفلاة ــ أرضٍ لا ماء فيها ــ من الأرضِ فسمع صوتًا فى سحابةٍ : اسقِ حديقةَ فلانٍ فتنحَّى ــ امتثل ما أمر تعظيمًا لله وحده ــ ذلك السحابُ فأفرغَ ــ صبَّ ــ ماءه فى حَرَّة ــ الأرضِ المبلسةِ حجارةً سوداءِ ــ فإذا شرجَة ــ مسيلُ الماء ــ من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماءَ كلَّه فتَتَبَّعَ ــ الرجلُ الَّذى كان يمشى فى هذه الفلاة ــ الماء فإذا رجلٌ فقالَ له : ياعبد الله لم تسألنى عن اسمى ؟ فقال : إنىِّ سمعتُ صوتًا فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنعُ فيها ؟ فقال ــ صاحب الحديقة ــ : أمَّا إذْ قلت هذا فإنى أنظرُ ــ أبينُ لك عملى الذى نتج بفضل الله ــ سبحانه وتعالى ــ إلى ما يخرجُ منْها ــ من الأرض من حبٍّ وتمْرٍ ــ فأتصدَّق بثلثه وآكلُ أنا وعيالى ــ أعولُهم من أهلٍ وولدٍ وزوجةٍ وخادمٍ ــ ثلثًا وأردُّ فيها ــ يزرع ويستعمله كتقاوى ــ ثلثَه .

أختـــى المسلمـــة ...

إن النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ ما سئل شيئًا قط فقال : لا . واليد العليا ــ التى تتصدق ــ خيرٌ من اليد السفلى ــ يدُ السائل ــ وأفضلُ الصدقات صدقة قليل المال ، يقول رسول الله ﷺ : « سبق درهم مائة درهم » .

فقال أبو ذر الغفارى : وكيف ذلك يارسول الله ؟

قال رسول الله ﷺ : رجل له مال كثير أخذ من عُرضه ــ من جانبه ــ مائة درهم تصدَّق بهَا ــ ورجلٌ ليس له إلا درهمان فأخذ أحدهما فتصدَّق به .

ولاشك أنه تصدق وهو أحوج ما يكون إليه فكان أدل على إخلاصه وشدة رغبته فى الصدقة يريد ثواب الله ــ عز وجل ــ ولذلك يقول العلى الحكيم : ﴿وَيُؤْثِرُونَ على أنفسهِمْ ولوْ كانَ بهِمْ خَصَاصةٌ ومَنْ يوقَ شُحَّ نفْسِهِ فأولئِكَ هُمُ المفْلِحون﴾(١) .

وقالت أم بجيد الأنصارية : يارسول الله إن المسكين ليقوم على بابى فلم أجد شيئا أعطيه إياه وأزهد ــ أتزهد ــ له بعض ما عندى .

فقال رسول الله ﷺ : إن لم تجدى ما تعطيه إياه إلا ظلفا محترقا فضعيه فى يده .

وسأل أبو هريرة رسول الله ﷺ : يانبى الله أى الصدقة أفضل ؟

قال النبى ﷺ : جهد المقل ــ قليل المال ــ وابدأ بمن تعول .

كذلك الصدقة على ذى الرحم . يقول النبى ﷺ : الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم ــ ذى القربى المحتاجين ــ ثنتان : صدقة وصلة .

يقول تعالى : ﴿إنْ تُبدُو الصَّدقَاتِ فَنِعِمَّا هِىَ وإن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيرٌ لَّكُم﴾(٢) .

أما صدقة السر فهى تطفىء غضب الرب .. يقول النبى ﷺ : صنائع المعروف تقى مصارع السوء ، وصدقة السر تطفىء غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد فى العمر .

---

(١) سورة الحشر : الآية ٩ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٧١

ويقول رسول الله ﷺ مرغبا على صدقة السر .. ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ما تنفق يمينه .

قال أبو القاسم ﷺ : لما خلق الله الأرض مادت بأهلها فخلق الجبال فصيرها أوتادًا للأرض فقالت الملائكة : ما خلق ربنا خلقا هو أشدُّ من الجبال . فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فأذابت الحديد ، ثم أمر الله الماء بإطفاء النار ، وأمر الريح فكدرت الماء ، فاختلفت الملائكة فقالت : نسأل الله ـــ تعالى ـــ قالوا : ياربُّ أشدُّ ما خلقت من خلقك ؟ قال الله تعالى : لم أخلقْ خلقًا هو أشدُّ عليَّ من قلب ابن آدم حينَ يتصدقُ بصدقةٍ بيمينهٍ فيخيفها عن شماله فهذا أشدُّ خلق خلقته .

قال رسول الله ﷺ : إن فى ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجلًا تصدق بيمينه فكان يخفيها عن شماله .

كان رجل من قوم نبى الله صالح ـــ عليه السلام ـــ قد آذاهم فذهبوا إليه وقالوا : يانبى الله ادع الله عليه ـــ عَلَى هذا الرجل الَّذى آذاهم ـــ

فقال صالح ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ : اذهبوا فقد كفيتموه .

وكان هذا الرجل يخرج كل يوم يحتطب . فخرج فى هذا اليوم ومعه رغيفان فأكل أحدُهما وتصدَّق بالآخر وجمع الحطب وعاد إلى بيته سالما لم يصبه شيء ، فلما رآه قومُه ذهبوا إلى نبى الله صالح وأخبروه فدَعَا الرجل وسأله : أى شيء صنعت اليوم ؟

قال الرجل : خرجتُ ومعى قرصان مِنْ خبزٍ ـــ رغيفان ـــ فأكلتُ أحدهُما وتصدقْت بالآخر .

فقال صالح : حل حطبك .

فحله فإذا به ثعبان أسودُ مثلُ جذع الشجرة عاضٌّ على جذعٍ من الحطب .

فقال صالح ـــ عليه السلام ـــ : بهذا دفع عنك ـــ يعنى بالصدقة ـــ .

ولما انتهى رسول الله ﷺ منْ خطبة العيد وقد وعظ الناس وأمرهم بالصدقة مرَّ على النساء فقال : تصدقن ولو من حليكن .

وكانت زينبُ امرأة عبد الله بن مسعود فى المسجد ــ كانت تنفق على ابن مسعود وأيتامٍ فى حجرها ــ فقالت لابن مسعود : سل رسول الله ﷺ أيجزى عنى أن أنفق عليك وعلى أيتامٍ فى حجرى من الصدقة ؟

فقال عبد الله بن مسعود : سلى أنت رسول الله ﷺ .

فانطلقت زينبُ بنت أبى معاوية الثقفية إلى النبى ﷺ ، فوجدت امرأة من الأنصار على الباب حاجتُها مثلُ حاجتها فمرَّ عليهما بلال بنُ رباح فقالت كل منهما : سل النبى ﷺ أيجزى علىَّ أن أنفق على زوجى وأيتامٍ فى حجرى ؟

وقالت لبلال : لا تخبر ــ كانتا تريدان ألا يقول : السائلة فلانة ــ

فدخل بلال فسأل النبى ﷺ .. فقال : من هما ؟

قال بلال بن رباح : زينب .

فقال رسول الله ﷺ : أى الزيانب ؟

قال بلال : امرأة عبد الله .

فقال النبى ﷺ : نعم ولها أجران : أجرُ القرابة وأجرُ الصدقة .

الوصيـة الخامسـة عشـرة :

الصبـر علـى البـلاء

الإيمان نصفان : نصف صبرٌ ونصف شكر ، وهما اسمان من أسماء الله الحسنى إذ سمى نفسه صبورًا وشكورا .

وقد وصف الله ـ تبارك وتعالى ـ الصابرين بأوصافٍ وذكر الصبرَ فى القرآن فى نيف وسبعين موضعًا .

وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر وجعلها ثمرةً له .

يقول ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿يَاأَيُّها الَّذِينَ آمنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾(١) يطلب الله ـ عز وجل ـ من عباده المؤمنين أن يحبسوا أنفسهم على طاعة الله ، وأن يتحملوا المصائب ، ويتباعدوا عن المعاصى ، ويغالبوا المشركين بالجهاد .

ويقول : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَىْءٍ مِنَ الخَوْفِ والجُوعِ ونَقْصٍ مِنَ الأموالِ والأنفُسِ والثَّمراتِ وبَشِّرِ الصَّابِرين﴾(٢) .

ويقول : ﴿إنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أجرَهُمْ بِغَيرِ حِسَابِ﴾(٣) ليس لهم أجر إلا الجنة .

ويقول : ﴿ولَمَن صَبَر وغَفَرَ إنَّ ذَلِكَ لمِنْ عزْم الْأُمورِ﴾(٤) من تجاوز عن ظالمه وصبر على الأذى وستر السيئة له ثواب جزيل وثناء جميل .

ويقول ـ عز وجل ـ : ﴿استَعِينُوا بالصَّبْرِ والصَّلاةِ إنَّ الله مَعَ الصَّابِرينَ﴾(٥) .

ويقول : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَم المُجَاهِدِينَ مِنكُمْ والصَّابِرِينَ﴾(٦) .

ويقول : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُم أئِمَّةً يهدُونَ بأمِرنا لَمَّا صَبَرُوا﴾(٧) .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٢٠٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٥٥ .

(٣) سورة الزمر : الآية ١٠ .

(٤) سورة الشورى : الآية ٤٣ .

(٥) سورة البقرة : الآية ١٥٣ .

(٦) سورة محمد : الآية ٣١ .

(٧) سورة السجدة : الآية ٢٤ .

ويقول : ﴿وَتَمَّت كَلمةُ ربِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إسْرَائيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾[1] .

ويقول : ﴿وَلَنَجْزيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أجرَهمْ بأحَسَن ماكَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2] .

ويقول : ﴿أُولَئكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهمْ مرَّتَيْنِ بما صَبَرُوا﴾[3] و ﴿أولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وأُولَئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ﴾[4] فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين .

إن الصبر ثلاثة أنواع : صبرٌ على المصيبة،وصبرٌ على الطاعة ، وصبرٌ على المعصية .

والصبرُ فضلهُ عظيم وأجرُه عميم قال تعالى : ﴿وَبشِّرِ الصَّابرِينَ . الَّذِين إذَا أصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إنَّا لله وإنَّا إليهِ رَاجِعُونَ . أولئكَ عليهِمْ صَلَواتٌ من رَّبهِمْ ورَحْمةٌ وأولئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ﴾[5] .

يقول الصادق الصدوق ﷺ : الطهور — النظافة وفعل ما يترتب عليه إباحة — شطر — نصف الإيمان والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمدُ لله تملآن — أو تملأ ثوابُ بالثناء على الله — تعالى — وتنزيهه عن النقائض — جل وعلا — ما بين السماوات والأرض — طبقاتها — والصلاة نور — تضيء للمصلى فى ظلمات الموقف بين يديه ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْن أيدِيهِمْ وبأيْمانِهِمْ بُشْرَاكُمُ اليَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدينَ فِيهَا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾[6] — والصدقة برهانٌ — حجةٌ على إيمان مؤديها ، ودليل حب الله ورسوله — والصبرُ ضياء — ينيرُ الله لك الطريق المستقيم ، ويوضح لك سبيل الفوز حتَّى النجاحَ فى أعمالك — والقرآنُ — إن عملت بآدابه — حجةٌ لك أو عليك — إن لم تمتثل أوامره — كلُّ الناس يغْدو — يبكرْ فى مصالحه — فبائع نفسه فمعتقُها — مبعدُها من العذاب — أو موبقُها — مهلكُها بالطرد والحرمانِ من ساحةِ الرضوان ، والبعد من نعيم الجنة — .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٣٧ .
(٢) سورة النحل : الآية ٩٦ .
(٣) سورة القصص الآية ٥٤ .
(٤) سورة البقرة : الآية ١٥٧ .
(٥) سورة البقرة : الآيات ١٥٥ — ١٥٧ .
(٦) سورة الحديد : الآية ١٢ .

وجاء ناسٌ من الأنصارِ إلى النبى فسألوه فأعطاهمْ ، ثم سألوه فأَعطاهمْ حتى نفد ــ فنى ــ ما عنده فقال حين أنفق كل شئ بيده :

ــ ما يكن من خير فلن أدخره ــ لا أمنعكم إياه ــ عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه ــ يرزقه الله العفة فيصير عفيفا قنوعا ، ويجعله غنى النفس ــ الله ، ومن يتصبر ــ يتجرع مرارة العيش ويتحمل مكاره الدنيا ولا يشكو لغير مولاه ــ ــ سبحانه وتعالى ــ يصبِّره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر .

وقال النبى ﷺ : عجبا لأمر المؤمن ــ العالم بالله الراضى بأحكامه لا يتضجَّر ولا يتسخط ــ إن أمره كلَّه له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء ــ ما يفرحه وما يؤذيه ــ شكَر فكانَ خيرا له ــ وإن أصابته ضراءَ صبر فكان خيرا له .

ويبين رَسول الله ﷺ فضل الصبر فيقول : الصبر نصف الإيمان .

وسأل رجل النبى ﷺ : ما الإيمان ؟

قال رسول الله ﷺ : الصبر والسماحة .

ثم قال : «الصبر كنز من كنوز الجنة» .

وأوحى الله ــ عز وجل ــ إلى نبيه داود ــ عليه السلام ــ : تخلّق بأخلاقى وإن من أخلاقى أنى أنا الصبور .

وذات يوم مشى رسول الله ﷺ إلى مسجد قباء فوجد أصحابه فسألهم : أمؤمنون أنتم ؟

فسكتوا .. فقال عمر بن الخطاب : نعم يارسول الله .

فقال النبى ــ عليه الصلاةُ والسلام ــ : وما علامة إيمانكم ؟

قالوا : نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء .

فقال رسول الله ﷺ : مؤمنون ورب الكعبة .

وقال النبى ﷺ : وفى الصبر على ما تكره خير كثير .

وعادَ رسول الله ﷺ أم العلاء الأنصارية وهى مريضة فقال لها ناصحا مبينا لها أن المؤمن إنما يبتليه الله — عز وجل — لكى يمحصّه من الخطايا والذنوب .

أبشرى ياأم العلاء فإنَّ مرض المسلم يذهِبُ الله به خطاياه كما تذهِبُ النارُ خبثَ الذهب والفضة .

فكل إنسان يتعرض للمرض والبلاء فى نفسه أو زوجه أو ولده أو من عشيرته ، وهنا يظهر مقدار إيمانه فهل سيحمد الله أم يسخط ؟ فإن حمد الله وصبر ورضى بقضاء الله جزاه الجزاء الأوفى .

قال رسول الله ﷺ : الصبرُ نصفُ الإيمان واليقينُ الإيمانُ كله .

قال الله — تعالى — لنبيه عيسى بن مريم : ياعيسى إنى باعث من بعدك أمةً إن أصابهم ما يحبُّون حمدوا الله ، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ، ولا حلم ولا علم .

فقال عيسى — عليه السلام — : يارب كيف يكون هذا ؟

قال — عز وجل — : أعطيهم من حلمى وعلمى .

وجلس رسول الله ﷺ فى ظل مسجده فقال لأصحابه : من أعطى فشكر وابتلى فصبر وظُلم فغفر ...

ثم سكت رسول الله ﷺ فقال أصحابه : يارسول الله ماله ؟

قال النبى ﷺ : ﴿أولئكَ لهُمُ الأمنُ وَهم مُّهتَدُونَ﴾(١) .

ويشير رسول الله ﷺ أنَّ المؤمنَ مبتلى دائما ، وأن الكافر يمد الله له مدًّا فقال ﷺ : مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيؤها الريح ، تصرمها — تقطعها — مرةً وتعدلها أخرى حتى تهيج — حتى يأتيه أجله — ومَثَل الكافر كمثل الأرزة — شجرة كأشجار الزَّان والبلوط — المجذبة على أصلها لا يصيبها شئ حتى يكون انجعافها مرة واحدة .

(١) سورة الأنعام : الآية ٨٢ .

ويقول ﷺ : «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرعِ لا تزال الريح تفيؤه ولا يزالُ المؤمن يصيبه بلاء ، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تحصد» .

وقال رسول الله ﷺ لأم المؤمنين أم سلمة : ما ابتلى الله عبدًا ببلاء وهو على طريقة يكرهها إلا جعل الله ذلك البلاءَ كفارةً وطهورًا ما لم ينزل ما أصابه من البلاء بغير الله أو يدعو غير الله فى كشفه .

وإذا أحب الله عبداً صب عليه البلاء فإذا صبر كانت له منزلة عند الله — عز وجل — .. يقول النبى ﷺ : إذا أحب الله عبدا أو أرادَ أن يصافيه صبَّ عليه البلاء صبا وثجَّه عليه ثجًّا — سيلاً — فإذا دعَا العبدُ قال : يارباه قال الله : لبيك عبدى ، لا تسألنى شيئًا إلا أعطيتك إما أن أعجله لك وإما أدخره لك .

وقال ﷺ : من يرد الله به خير يصيب منه — يوجه إليه مصيبةً ويصيبه ببلاء —

وقال أبو القاسم ﷺ : «إذا أحب الله قوما ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع» .

والصبر على البلاء خير من الشهادة والصدقة .. يقول الصادق الصدوق ﷺ : يؤتى بالشهيد يوم القيامة فيوقفُ للحساب ثم يؤتىُ بالمتصدق فينصبُ للحساب ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصبُ لهم ميزانٌ ولا ينصب لهم ديوانٌ فيصبُّ عليهم الأجرُ صبًّا حتى أن أهل العافية ليتمنون فى الموقف أن أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله .

قال النبى ﷺ : من أصيب بمصيبة بماله أو فى نفسه فكتمها ، ولم يشكها إلى الناس كان حقا على الله أن يغفر له .

ويقول رسول الله ﷺ : ما يزال البلاءُ بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقَى الله — تعالى — وما عليه خطيئة .

وأتى النبى ﷺ ، شجرة فهزها ، حتى تساقط ورقها ما شاء الله أن يتساقط ثم قال لأصحابه : للمُصيباتُ والأوجاعُ أسرع فى ذنوب ابن آدمٍ منى فى هذه الشجرة .

وعاد رسول الله ﷺ رجلاً من الأنصار فأكب عليه فسأله فقال الرجل : يانبى الله ما غمضتُ منذ سبع — لم أنم أسبوعا — ولا أحد يحضرنى .

فقال رسول الله ﷺ : أى أخى اصبرْ أى أخى اصبرْ تخرجْ من ذنوبك كما دخلت فيها .

وقال النبى ﷺ : ساعات الأمراض يذهبن ساعات الخطايا .

وقال أبو القاسم ﷺ : ما من شيء يصيبُ المؤمنَ من نصب ولا حزنٍ ولا وصب حتى الهمَّ يهمه إلا كَفَّرَ الله عنهُ سيآته .

وقال ﷺ : وَصبُ — مرض — المؤمنُ كفارة لخطاياهُ .

ولما نزل قوله تعالى : ﴿ليسَ بأمانِيِّكمْ ولَا أمانيِّ أهلِ الكتَابِ مَنْ يعمَلْ سُوءًا يُجْزَبِهِ﴾[1] . بلغت من المسلمين مبلغا شديدًا فسأل أبو بكر الصديق رسول الله ﷺ : يارسول الله كيف الصلاحُ بعد هذه الآية : ﴿ليسَ بأمانيِّكُمْ ولَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ ..﴾ وكل شيء عملناه جُزينا به ؟

فقال رسول الله ﷺ : غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض ؟ ألست تحزن ؟ ألست يصيبك اللأواء — شدة الضيق — ؟

قال أبو بكر الصديق : بلى يانبى الله .

قال النبى ﷺ : هو تجزون به .

سألت أميمة أم المؤمنين عائشة : ما معنى قوله — تعالى — : ﴿إن تُبْدوا مَافِي أنفُسِكُمْ أَوْ تُخفُوه﴾ و ﴿منْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِه﴾ ؟

فقالت عائشة بنت أبى بكر : ما سألنى أحد منذ سألتُ رسول الله ﷺ فقال لى : ياعائشةُ هذه معاتبةُ الله العبدَ بما يصيبهُ من الحميَّ والنكبةِ والشوكةِ ، حتى البضاعة يضعها فى كمّه فيفقدها فيفزع لها فيجدها فى ضبنه — الضبن : ما بين الإبط والكشح — حتَّى أن المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرجُ الذهبُ الأحمرُ من الكير .

وقال رسول الله ﷺ : إذا مرضَ العبدُ بعثَ الله إليه ملكين فقال : انظروا ما يقولُ لعواده فإن هو إذا جاءوه حمد الله ، وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله ، وهو أعلم فيقولُ :

---

(١) سورة النساء : الآية ١٢٣ .

لعبْدى علىَّ إن توفَّيْته أدخلْه الجنةَ وإن أنا شفيتُه أن أبدله لحمًا خيرا من لحمه ودمًا خيرا من دمه ، وأن أكفر عنه سيآته ــ أغفر له ــ

أختــــى المسلمــة ...

اعلمى أنَّ الله يختبرك بقدر ما لديك من إيمانٍ فإنَّ كان إيمانُكِ عظيم القدر شدَّد وصب الله ــ عز وجل ــ عليك البلاءَ وإن كان فى دينك ضعفٌ خففَ عليك البلاءَ .

قال معاذ بن جبل لأصحابه : أتحبون ألا تمرضوا ؟

قالوا : والله لنحبُّ العافية .

قال الصحابى الجليل معاذ بن جبل : قال رسول الله ﷺ : وما خير أحدكم لا يذكره الله .

وتقول أم المؤمنين عائشة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما ضُربَ على مؤمنٍ عرقٌ قط إلا حطَّ الله به عنه خطيئة وكتب له حسنة ورفع له درجة» .

وقال الصادق المصدوق ﷺ : عجبٌ للمؤمن وجزعه من السقم ، ولو كان يعلمُ ماله من السَّقم أحبَّ أن يكونَ سَقيمًا الدَّهَر .

ثم رفع رسول الله ﷺ رأسه إلى السَّماء فضحك فقيل : يارسول الله ممَّ رفعت رأسك إلى السماء فضحكت ؟

قال النبى ﷺ : عجبت من ملكين كانَا يلتمسان عبدًا فى مصلى كان يصلى فيه فلم يجداه فرجعا فقالا : ياربنا عبدُك فلان كنا نكتبُ له فى يومه وليلته عمله الذى كان يعمل ، فوجدناه حبسته فى حبالك ــ فى بلائك ــ قال الله ــ تبارك وتعالى ــ : «اكتبوا لعبدى عمله الذى كان يعمل فى يومه وليلته ، ولاتنقصوا منه شيئا ، وعلىَّ أجره ما حبسته وله أجرُ ما كان يعمل» .

وقال رسول الله ﷺ : قال الله تبارك وتعالى : « إذا ابتليت عبدى المؤمن فلم يشكنى إلى عواده أطلقته من إسارى ثم بدلته لحما خيرًا من لحمه ودمًا خيرا من دمه ثم يستأنف العمل » .

ويقول رسول الله ﷺ : «لا يمرضُ مؤمنٌ ولا مؤمنةٌ ولا مسلمٌ ولا مسلمة إلا حطَّ الله عنه من خطايَاه كما تُحَطُّ الورقةُ عن الشَّجرة» .

ولما مرض رسول الله ﷺ ــ عقب حجة الوداع ــ سأله سعدُ بن أبى وقاص : يارسولَ الله أىُّ الناس أشدُّ بلاء ؟

قال النبى ﷺ : الأنبياءُ ثم الأمثلُ فالأمثل ، يبتلى الرجلُ على حسب دينه ، فإن كان فى دينه صُلبًا اشتد بلاؤه ، وإن كان فى دينه رقة ابتلى على قدر دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة .

ودخل عبد الله بنُ مسعود على رسول الله ﷺ فى مرضه فقال لهُ وهو يمس جده الشريف : يارسول الله إنك توعَك وعكا شديدا ــ الوعكُ : الحمى ــ

فقال أبو القاسم ﷺ : أجل إنى أوعك كما يوعك رجلان منكم .

فقال عبد الله بن مسعود : يارسول الله ذلك بأن لكم أجرين .

قال النبى ﷺ : أجلْ ما من مسلمٍ يصيبه أذًى من مرض فما سواه إلا حطَّ الله به سيئاته كما تحطُّ الشجرةُ ورَقَها .

ودخل أبو سعيد الخدرىُّ على رسول الله ﷺ وهو يوعك ــ الوعك : الحمى وألمها ــ فوضع يده عليه فوجد حرَّ الحمى بين يده فوق اللحاف فقال : يارسول الله ما أشدَّها عليك ؟

قال النبى ﷺ : إنا كذلك يضعَّف لنا البلاء ويضعَّف لنا الأجر .

فتساءل أبو سعيد الخدرى : يارسول الله أىُّ الناسِ أشدُّ بلاء ؟

قال الصادق المصدوق ﷺ : الأنبياء .

فعاد أبو سعيد الخدرى يتساءل : يارسول الله ثم من ؟

قال أبو القاسم ﷺ : ثم الصالحون إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة يحويها وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء .

يقول أميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب : خير عيش أدركناه بالصبر .

يقول أنس بن مالك : قال رسول الله ﷺ : قال الله — تعالى — : «وعزتى وجلالى لا أخرِجُ أحدا من الدنيا أريد أن أغفرَ له حتى أستوفى كل خطيئة فى عنقه يسقم فى بدنه وافتقار فى رزقه» .

وقال عبد الله بن عباس لعطاء بن أبى رباح : ألا أريك امرأةً من أهل الجنة ؟

قال عطاء بن أبى رباح : بلى .

قال ابن عباس : هذه المرأة السوداء — سعيرة ، ويقال اسمها ريطة — أتت النبى ﷺ فقالت : إنى أصرع ، وانى أتكشف — تظهر عورتى عندما يأتى الصرع — فادعُ الله لى فقال رسول الله ﷺ : إن شئت دعوتُ الله أن يعافيك ويثبت لك حسناتك وسيئاتِك ، وإن شئت فاصْبِرِى ولكِ الجنةُ فقالت : اخترتُ الصبرَ والجنةَ .

أختـــى المسلمـــة ...

أنظرى كيف اختارت سعيرة الأسدية الصبر .. والجنة . فالصبرُ على المرض وحبسُ النفس عن الجزع والتسخط . وحبسُ اللسان عن الشكوى . زادُ المؤمن فى رحلته الدنيوية . فالصبرُ من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسدِ ولا إيمان لمن لاصبرَ له كما أنه لاجسد لمن لارأس له .

ومن أنواع الصبر على البلاء أن تصبر المسلمةُ إذا ابتلاها الله — عزَّ وجل — فى بصرها فعليها أن تصبر فالصبر على البلايا يورث الجنة .

قال رسول الله ﷺ : إن الله — عز وجل — قال : إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه — عينيه — فصبر عوَّضته منهما الجنة .

وقال أبو القاسم ﷺ : إذا أخذت كريمتَىْ عبدى فى الدنيا لم يكنْ له جزاءٌ عندى إلا الجنة ..

وقال ﷺ : من أذهبتُ حبيبتَيه فصبرَ واحتسبَ لم أرضَ له ثوابًا دونَ الجنةِ .

وقال العرياضُ بن ساريةَ : قال رسول الله ﷺ : قال الله — تعالى — : «إذا سلبتُ عبدى كريمتيه وهو بهما ضَنِينٌ لم أرضَ له ثوابًا دونَ الجنة إذا هو حمدنى عليهما» .

وقال عائشة بنت قدامة : قال رسول الله ﷺ : «عزيزٌ على الله أن يأخذ كريمتى مؤمنٍ ثم يدخلُه النار» .

وقال النبى ﷺ : «ما ابتلى عبد بعد ذهاب دينه بأشدَّ من ذهاب بصره ، ومن ابتلى ببصره فصبر حتى يلقى الله —لقَى الله— تبارك وتعالى — ولا حسابَ عليه» .

وقال الصادق الصدوق ﷺ : «من أذهبَ الله بصره فصبر واحتسب كان حقا على الله واجبًا لا ترى عيناه النار» .

يقول أنسُ بن مالكٍ خادمُ رسول الله ﷺ : عن رسول الله ﷺ عن جبريل — عليه السلام — عن ربه — تبارك وتعالى — قال : إن الله قال : «ياجبريلُ ما ثوابُ عبدى إذا أخذَتُ كريمتيه إلا النظر إلى وجهى والجوارِ فى جوارِى» ؟

يقول أنسُ بن مالك : فلقد رأيتُ أصحابَ رسول الله ﷺ يبكُون حولَه يريدُون أن تذهبَ أبصارُهم .

كلمات يقولُهنَّ من آلمه شئٌ من جسده : قال رسول الله ﷺ : «من اشتكى منكم شيئًا أو اشتكى أخٌ له فليقل : ربَّنا الله الذى فى السماء تقدس اسمُك وأمْرُك فى السماءِ والأرضِ كما رحمتُك فى السماء فاجعل رحمتَك فى الأرض اغفرْ لنا حُوبنا وخطايَانا أنت ربُّ الطيبينَ أنزل رحمةً من رحمتكَ وشفاءً من شفائِكَ على هذا الوجع .. فيبرأ» .

أختــى المسلمــة ...

هيا جدِّدى إيمانك بقول لا إله إلا الله وإذا ألمَّ بكِ شئٌ من جسدِك فلا تنسى كلماتِ رسول الله ﷺ واحتسبى بلاءَكِ عند الله فعسى أن يجعلنا من عباده الصابرين .

الوصيـة السادسـة عشـرة :

إيـــاك والنميمـــة

النمامة أو النمام هو من ينقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد بينهم .

قال تعالى : ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾(١) . وقال : ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾(٢) الهمزة النمام الذى يمشى بين الناس وينقل الكلام على جهة الإفساد .

قال رسول الله ﷺ : «لا يدخل الجنة نمام» .

وسأل رسول الله ﷺ أصحابه يوما : ألا أنبئكم ما العضة ؟ ـــ الكذب والبهتان ـــ ؟

قالوا : بلى يارسول الله .

قال ﷺ : «هى النميمة القالة بين الناس» .

وكان رسول الله ﷺ ينهى عن النميمة ونقل الكلام بين الناس فيقول : لا يُبلِّغنى أحدٌ من أصحابى عن أحدٍ ـــ مما أكرههُ له أو يعود إليه بضرر، فيه الحث على الستر وإقالة ذوى العثرات ـــ شيئًا فإنى أحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر .

وبينما كان النبى ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ مع نفر من أصحابه مرَّ بقبرين فقال : إنهما ليعذَّبان وما يعذَّبان فى كبيرٍ ـــ كبير فى زعمهما أو كبيرٍ تركه عليهما ـــ بلَى إنه كبير : أما أحدهُما فكان يمشى بالنميمة ، وأما الآخرُ فكان لا يستتُر ـــ لا يستبرىءُ ـــ من بوله .

وقال أبو القاسم ﷺ : تجدون شرَّ الناس ذا الوجهينِ الذى يأتى هؤلاء بوجهٍ وهؤلاء بوجهٍ ، ومن كان ذَا لسانين ـــ يتكلم مع هؤلاء بكلامٍ وهؤلاء بكلام ـــ فإن الله يجعل له لسانين من نارٍ يوم القيامة .

---

(١) سورة القلم : الآية ١١ .

(٢) سورة الهمزة : الآية ١ .

وقال الصادق الصدوق ﷺ : «لا يدخل الجنة قتات» ــ نمام ــ

وسأل رجل رسول الله ﷺ : يارسول الله من أحب الناس إلى الله ؟

قال النبى ﷺ : « أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقًا الموطئُونَ أكْنَافًا الذينَ يألفون ويؤلفون ، وإن أبغضكم إلى الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأخوانِ المتلمسونَ العثراتِ .

وقال ﷺ : ألا أخبركم بشراركم ؟

قالوا : بلى .

قال الصادق الصدوق ﷺ : «المشاؤونَ بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغونَ للبرءَاء العَيْب» .

وقال النبى ﷺ : «من أشاعَ على مسلم كلمة ليشينه بها بغيرِ حقٍّ شانه الله بهَا فى النار يوم القيامة» .

وقال أبو القاسم ﷺ : « أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برىء ليشينَه بها فى الدنيا كانَ حقًّا على الله أن يذيبَه بها يوم القيامة فى النار » .

وذات ليلة دخل عليٌّ وفاطمةُ على النبى ﷺ ، فوجداه يبكى بكاء شديدا فقال على : فداكَ أبى وأمى يارسول الله ما الذى أبكاك ؟

قال رسول الله ﷺ : « ياعلى ليلة أسرى بى إلى السماء رأيت نساء من أمتى يعذبْن بأنواع العذاب ، فبكيت لما رأيتُ من شدة عذابهنَّ ورأيتُ امرأةً معلّقة بشعرها يغْلي دماغُها ، ورأيتُ امرأةً معلقةً بلسانِهَا والحميمُ يُصَبُّ فى حَلْقِهَا ، ورأيتُ امرأةً قد شُدَّت رجلَاها إلى ثَدْيَيْها ويدَاها إلى نَاصيتِهَا ، ورأيتُ امرأةً معلّقةً بثدْيَيها ، ورأيتُ امرأةً رأسُها رأسُ خنزيرٍ وبدنُها بدنُ حمارٍ عليها ألف ألف لونٍ من العذابِ ورأيتُ امرأةً على صُورة الكلبِ والنارُ تدخلُ من فيها وتخرج من دبرها والملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار .

فقامت الزهراء وجلست بجانب أبيها وقالت : حبيبى وقرة عينى ، ما كان أعمال هؤلاء حتى وضع عليهنَّ العذاب ؟

قال النبى ﷺ : يابنيهُ أما المعلقةُ بشعرها فإنها كانت لا تغطِّى شعرهَا من الرجال ، وأما الذى كانت معلَّقة بلسانها فإنها كانت تؤذى زوجها ، وأما المعلقة بثدييْها فإنها كانت تفسد فراشَ زوجها ، وأما التى تُشَد رجلَاها إلى ثدييْها ويداها إلى ناصيتها ، وقد سُلِّط عليها الحيَّاتُ والعقارِبُ فإنهَا كَانَتْ لا تُنظِّفُ بدنها من الجَنَابة والحيضِ وتستهزىءُ بالصلاةِ ، وأما التى رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار فإنَّها كانت نمامةً كذابةً ، وأما الّتِي عَلَى صُورة الكلبِ والنارُ تدخلُ من فيها وتخرجُ من دبرِها فإنَّها كانت منانةً حسادةً .

وقال ﷺ : «ومن شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهلٍ فليتبوأ مقعده من النارِ» .

ويقول الهادى البشيرُ ﷺ : « إن الله لما خلق الجنة قال لها : تكلمى فقالت : سعد من دخلنى ، فقال الجبارُ جل جلاله : «وعزتى وجلالى لا يسكنُ فيك ثمانيةُ نفرٍ من النَّاس : لا يسكنُكِ مُدْمِنُ الخمرِ ولا مصرٌ على الزنا ولا قتاتٌ وُهو النمام . ولا ديُّوثٌ ولا شُرطى ولا مخنَّثٌ ولا قاطعُ رحمٍ ولا الّذِى يقولُ عليَّ عهدُ الله إن لم يفعل كذا وكذا ثم لم يف به » .

وأصابَ بنى إسرائيل قحطٌ فاستسقَى موسى ﷺ مراتٍ فما سُقوا فأوحَى الله — تعالى — إلى نبيِّه موسى — عليه السلام — : إنى لا أستجيبُ لك ولمن معك وفيك — فيكم — نمامٌ قد أصرَّ على النميمة .

فقال موسى — عليه السلام — : يارب من هو ؟ دلنى عليه حتى أخرجه من بيننا .

قال الله — عز وجل — : ياموسى أنهاكُم عن النميمة وأكونُ نماما ؟

فتابوا جميعا .. فسقوا .

وتبع رجل حكيمًا سبعمائة فرسخ فى سبع كلماتٍ فلما قدم عليه قال : إنى جئتك للذى أتاك الله — تعالى — من العلم ، أخبرنى عن السماءِ وما أثقل منها ؟ وعن الأرض وما أوسع منها ؟ وعن الصخرِ وما أقسى منه ؟ وعن النارِ وما أحر منها ؟ وعن الزمهرير وما أبرد منه ؟ وعن البحر وما أغنى منه ؟ وعن اليتيم وما أذل منه ؟ .

فقال الحكيم : البهتان على البرىء أثقل من السماوات . والحق أوسعُ من الأرض والقلب القانع أغنى من البحر ، والحرص والحسد أحر من النار ، والحاجة إلى القريب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير ، وقلب الكافر أقسى من الحجر ، والنمام إذا بان أمره أذل من اليتيم .

قال رسول الله ﷺ : ليس منى ذو حسد ولا نميمةٍ ولا كهانةٍ ولا أنا منه . ثم تلا قوله ـــ تعالى ـــ : ﴿والّذِينَ يُؤْذُون المؤمِنينَ والمؤْمنَاتِ بغيْر ما اكْتَسبُوا فَقَدِ احْتَملُوا بُهْتَانًا وإثْمًا مُّبينًا﴾(١) .

أختـــى المسلمـــة ...

احذرى النميمة فإن قلق عذاب القبر من النميمة وإن من نمَّ إليك نَمَّ عليك ، فالنمامة ينبغى أن تبغض ولا يوثق بقولها ولا بصداقتها .

رأى رجل غلاما يباع وكان ليس له عيبٌ إلا أنه نمام فقط ، فاستخف الرجل بالعيب واشترى الغلام فمكث عنده أياما ثم قال الغلام لزوجة الرجل : إن سيدى يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى .

فنظرت الزوجة إلى الغلام فى عجب .. فأردف : إنه لا يحبك فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه فإذا نام فخذى الموسَى واحْلقى شعراتٍ من تحت لحيته واتركى الشعرات معك ،

فقالت الزوجة فى نفسها : نعم .

واشتعل قلب المرأة وعزمت على ذلك إذا نام زوجها . وجاء الغلامُ الزوج وقال له : سيدى إن سيدتّى زوجتك قد اتخذت لها صديقا ومحبًّا غيرك ومالت إليه وتريد أن تخلص منك ، وقد عزمت على ذبحك الليلة .

فقال الزوج : إنى لا أصدقك هل لديك برهان ؟

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٥٨ .

قال الغلام : نعم إن لم تصدقنى فتناوم لها الليلة وانظر كيف تجىء إليك وفى يدها شىء تريد أن تذبحك به .

وصدقه سيده . فلما كان الليلُ جاءت الزوجة بالموسَى لتحلقَ الشعرات من تحت لحيته والزوجُ يتناوم لها فقال فى نفسه : والله صدق الغلام بما قال .

فلما وضعت الزوجة الموسَى وأرادت حلق الشعرات قام الزوج وأخذ منها الموسى وذبحها به فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوا زوجها .. ووقع قتالٌ بين الفريقين بشؤم ذلك العبد النمام . لقد سمىَّ الله ــ تعالى ــ النمام فاسقا ﴿يا أُيها الَّذِينَ آمنوا إنْ جاءَكم فاسِقٌ بنبأٍ فتبيَّنُوا أن تُصيبُوا قَوْمًا بجهالَةٍ فتصبِحُوا عَلَى ما فَعَلْتُم نَادِمينَ﴾[1] .

أختى المسلمة فى هذه الآية عظة وتبصرة وذكرى لمن كان له قلب فاعتبروا يأولى الألباب .

---

(١) سورة الحجرات : الآية ٦ .

الوصيـــة السابعـة عشـــرة :

التـوبـــــة

التوبة ندم على ما فات وعزم على ترك المعاودة ، وسعى فى تلافى ما يمكن تلافيه من حقوق الله ــ تعالى ــ المفروضة وحقوق الناس .. فهى تبديلُ الحركات المذمومة بالحركات المحمودة .

وأول التوبة يقظةٌ من الله ــ تعالى ــ تقعُ فى قلب الإنسان فيتذكر العبد تفريطَه وإساءته ، وكثرة جناياته مع دوام نعم الخالق ــ جل وعلا ــ .

يقول ــ تبارك وتعالى ــ : ﴿وتوُبُوا إلى الله جميعًا أَيُّهَا المؤْمنون لعلَّكم تفْلحون﴾[1] فعمم الله ــ عز وجل ــ الخطابَ فإنَّ التوبة رجوعُ عن الطريق المبعد عن الله ، فالتوبة فى اللغة الرجوع يقال : تاب وأناب بمعنى رجع .

احذرى الوقوع فى شباك الشيطانِ حتَّى من حطب جهنم ، فإذا أردت أن تكونى حَذِرةً منه منتصرةً عليه : كونى حريصة على المبَادرة إلى التوبةِ ، وعاملا فى قطع الأسباب الباعثة على الذَّنبِ مع هجرة مَنْ كنت تصحبين على تلك الحالة ، وتدارك ما أفسدته تمحيه بصالح أعمالك .

إن الذنب إذا أتبع بثمانية أشياء كان العفو منه مرجوا : أربعة فى القلب وهى : التوبة والعزم على ألَّا يعود ، وحب الإقلاع عنه ، وخوف العقاب ورجاء المغفرة عليه . وأربعة فى الجوارح وهى : أن يصلِّى أربع ركعات فى المسجد ثم يستغفر الله ــ تعالى ــ سبعين مرة ويقول : سبحان ربى العظيم وبحمده مائة مرة ويتصدقَ بصدقة ثم يصوم يوما .

قال العليم الخبير : ﴿إنَّ الحَسَناتِ يُذهبْنَ السَّيئاتِ ذَلِكَ ذكرىَ للذَّاكرينِ﴾[2] مع

(١) سورة النور : الآية ٣١ .
(٢) سورة هود : الآية ١١٤ .

ضرورة اجتناب الكبائر لأن الغفور الرحيم يقول : ﴿إن تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عنكمْ سَيِّئاتِكمْ ونُدْخِلْكم مُدْخَلاً كَرِيمًا﴾(١) أى إن اجتنبتم الكبائرَ غفر الله لكم الصغائرَ ـــ اللممَ ـــ يقولُ العزيز الحكيم : ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإِثْمِ والفواحشَ إلا اللَّمَمَ﴾(٢) .

ما هى الكبيرة؟ كل ما نهى الله ـــ تبارك وتعالى ـــ عنه فى القرآن فهو كبيرة .

ما هى الصغيرة ؟ ما نهى الرسول ﷺ عنه .

ما عدد الكبائر ؟ اختلف الصحابة والتابعون فى عددها فقال عبد الله بن مسعود : أربع .

وقال عبد الله بن عمر : سبع .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : تسع .

وقيل : إحدى عشرة .

وقد جمعها أبو طالب المكى من مجموع أقوال الصحابة فوجدها : أربعة فى القلب وهى : الشرك بالله ـــ تعالى ـــ ، والإصرار على معصية الله ـــ تعالى ـــ ، والقنوط من رحمة الله ـــ تعالى ـــ ، والأمن من مكر الله ـــ تعالى ـــ . وأربعة فى اللسان وهى : شهادة الزور ، وقذف المحصنات الغافلات ، واليمين الغموس ، والسحر . وثلاثة فى البطن : شرب الخمر، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا وهو يعلم . واثنان فى الفرج وهما : الزنا واللواط . واثنان فى اليدين وهما : القتل والسرقة . وواحدة فى الرجل وهى : الفرار من الزحف .

ويجب أن تكون التوبة مقرونة بالعمل .. يقول ـــ تعالى ـــ فى حديثه القدسى :«ما أقل حياء من يطمع فى جنتى بغير عمل ، كيف أجود برحمتى على من بخل بطاعتى ؟»

يقول أمير المؤمنين على بن أبى طالب : من أراد غنى بلا مال وهيبة بلا سلطان وعزا بلا عشيرة فليتق الله ، فإن الله يأبى أن يذل إلا من عصاه .

(١) سورة النساء : الآية ٣١ .

(٢) سورة النجم : الآية ٣٢ .

ويجب أن تكون التوبة قريبة عهد بالخطيئة ، بأن يندم عليها ويمحو أثرها بحسنة يردفها بها قبل أن يتراكم الرينُ على القلب فلا يقبل المحو .. يقول ﷺ : «وأتبع السيئة الحسنة تمحها» .

قال لقمان لابنه : يابنى لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتى بغتة ، ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين أحدهما : أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصى حتى يصير رينًا وطبْعًا لا يقبلُ المحو ، الثانى : أن يعاجله المرض أو الموتُ فلا يجد مهلةً للاشتغال بالمحو .

فارجعى إلى الله فإنه كما قال عن نفسه ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أحنُّ على عبده من الوالدة على ولدها . فاذكرى الله دائما ﴿أَلَا بِذِكرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلوبُ﴾[1] ؟

لما سار موسى ــ عليه السلام ــ إلى الميقات قال له ربه : ما تبتغى ؟

قال موسى ــ عليه السلام ــ : أبتغى الهدى .

قال : قد وجدته ياموسى .

قال موسى ــ عليه السلام ــ : يارب أى عبادك أحب إليك ؟

قال : الذى يذكرنى ولا ينسانى .

قال موسى ــ عليه السلام ــ : أى : عبادك أقضى ؟

قال : الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى .

قال موسى ــ عليه السلام ــ : أى : عبادك أعلم ؟

قال : الذى يبتغى علم الناس إلى علمه ليسمع الكلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردى .

ورأى موسى ــ عليه السلام ــ رجلاً جالسا فى ظل العرش فقال : يارب من هذا ؟

---

(١) سورة الرعد : الآية ٢٨ .

قال : عبد لا يحسدُ الناس على ما آتاهم الله من فضله ، وبر بوالديه . لا يمشى بالنميمة .

قال موسى — عليه السلام — : يارب أى العمل أحب إليك أن أعمل به ؟

قال : تذكرنى ولا تنسانى .

قال موسى — عليه السلام — : أى عبادك أحب إليك عملا ؟

قال : من لا يكذب لسانه ، ولا يفجر قلبه ، ولا يزنى فرجه ، مؤمن من فى خلق حسن .

قال موسى — عليه السلام — : وأى عبادك شرٌّ عملا ؟

قال : فاجر فى خُلق سيء ، جيفة بالليل بطال بالنهار .

أختـــى المسلمـــة ...

إياك أن تقنطى من رحمة الله لأنه : ﴿لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ الله إِلَّا القَوْمُ الكَافِرُونَ﴾(١) فالروح : الرحمة .

وإياك والقنوط من رحمة الله يقول تعالى : ﴿قُلْ ياعبادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَاتَقْنَطُوا مِن رَّحمةِ الله إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾(٢) وقال — سبحانه وتعالى — : ﴿إِلَّا مَن تَابَ وآمنَ وَعَمِلَ عَملاً صَالِحًا فأُولئِكَ يُبدِّلُ اللهُ سيئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٣) .

قال تعالى : «لا تقنطوا من رحمتى ، هل رأيتم من انقطع إلَىَّ ذل ؟ هل رأيتم من احتمى من أجلى اعتل ؟ هل رأيتم من تنسم رياض قربى اختل ؟ هل رأيتم من رَأى أعلامَ نصرتى انفل ؟.هل رأيتمْ من وجد حلاوة ذِكْرِى انسل ؟ ياعبْدى .. لا تقنطْ من رحمتِي فإنك إن كنتَ بالغدر موصوفٌ فأنا بالجود معروف ، وإن كنت ذا خطايا فأنا ذو.

---

(٦) سورة يوسف : الآية ٨٧ .

(٧) سورة الزمر : الآية ٥٣ .

(٨) سورة الفرقان : الآية ٧٠ .

عطايا ، وإن كنت ذا جفاءٍ فأنا ذو وفاء ، وإن كنت ذَا أساة فأنا ذو إناةٍ ، وإن كنت ذا غفلة وسهوة فأنا ذو عفو ورحمة ، وإن كنت ذَا خَشية وإنابة فأنا ذو قبول وإجابة . لاتقنطْ من رحمة من جاد بالمغفرة على الألوف من السحرة ، وجعلهم من البررة » .

وقال رسول الله ﷺ : « إن الله ـــ عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهارِ ويبسطُ يده بالنهارِ ليتوبَ مسيءُ الليلِ حتى تطلع الشمس من مغربها » .

وقال الصادق الصدوق ﷺ : « للجنةِ ثمانيةُ أبوابٍ : سبعة مغلقةً ـــ لا تفتح لأهل الجنة إلا بشفاعة رسول الله ﷺ ـــ وباب مفتوح للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه ـــ من جهته ـــ » .

وقال النبى ﷺ : « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » .

وقال رسول الله ﷺ : « إن الله لا يقبلُ توبة العبدِ مالمْ يغرغر » ـــ إذا حضره الموت ـــ

وخطب رسول الله ﷺ فقال ـــ بعد أن حمد الله وأثنى عليه ـــ : يا أيها الناسُ .. تُوبوا إلى الله قبل أن تموتوا . وبادِرُوا بالأعمال الصالحةِ قبلَ أن تُشْغلوا . وصِلوا الذى بينكم وبين ربِّكم بكثرة ذكرِكم له ، وكثرة الصدقة فى السر والعلانية ، ترزقوا وتنصروا وتجبروا .

وقال ﷺ : كان فيمن كان قبلكم ـــ يقصد بنى إسرائيل ـــ رَجلٌ قتلَ تسعة وتسعين نفسًا ، فسأل عن أعلم أهل الأرض فَدُلَّ على راهبٍ فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟ فقال : لا .. فقتله فكمل به المائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فَدُلَّ على رجل علم ، فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم من يحولُ بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدُون الله فاعبد الله معهم ولا ترجعْ إلى أرضك فإنها أرض سوء . فانطلقَ حتى نصف الطريق فأتاه ملكُ الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة : إنه لم يعمل خيرًا قط فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم ـــ جعلوه حكما بينهم ـــ فقال : قيسوا ما بين الأرضيين ـــ أرض الشر التى جاء منها وأرض الخير التى انطلق إليها ـــ فإلى أيتهما كان أدنى فهو له . فقاسوا فوجدوه أدنى ـــ أقرب ـــ إلى الأرض التى

أراد ــ أرضِ الخير والقرية الصالحة أقربُ بشبر فجعل من أهلها ــ فقبضته ملائكة الرحمة ــ قيلَ فأوحَى الله إلى هذه الأرض ــ التى قدم منها ــ أن تباعدى وإلى هذه ــ التى انطلق إليها ــ أن تقربى ، وقال قيسوا بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب ــ أرض الخير ــ بشبر فغفر له .

قال رسول الله ﷺ : يَاعائشةُ إنْ كنت ألممت بذنب فاستغفرىِ الله وتوبىِ إليه فإنَّ العبدَ إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه .

أختــى المسلمــة ...

التوبةُ إلى الله ــ عز وجل ــ هى الطريقُ المستقيم إلى ربها ..

أتت امرأة من جهينة رسول الله ﷺ وهى حُبلى من الزنا فقالت : يارسول الله .. أصبتُ حدًّا ــ فعلتُ فعلةً توجب إقامة الحد ، وحدُّ الزانى المحصن (إذا كانَ متزوجا) هو الرجْم ــ فأقمْه على .

فدعا النبى ﷺ وليها ــ منَ يلى أمرها من أبٍ أو أخٍ أو غيرهما ــ وقال : أحسنْ إليها فإذا وضعت فأتنى بها .

ففعل .. فأمر رسول الله ﷺ فشدَّت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت .. ثم صلَّى عليها فقال عمر بن الخطاب : تصلى عليها يارسول الله وقد زنت ؟

قال النبى ﷺ : لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدتَ أفضلَ مِمَّنْ جادتْ بنفسها لله ــ عز وجل ــ ؟

أختــى المسلمــة ...

إن التوبةَ النصوحَ تمحُو السيئاتِ والذنوب .. نسألُ الله الغفورَ الرحيمَ أن يجعلنَا من التائبين فقد وسعتْ رحمتُه كلَّ شيء .

الوصيـــة الثامـــنة عشـــرة :

احــــذرى أكـــل مـــال اليتيم

أختـــى المسلمـــة ...

إن اليتيم هو من مات أبوه من بنى آدم ــ ومن ماتت أمه من الحيوانات ــ وهو دون البلوغ .

وتذكرى أنك فى الطريق إلى نهاية أبيه مهما طالت إقامتك فى هذه الحياة .

فبعطفك على اليتيم تضمنين غيرك بعد وفاتك على ولدك ، وحسبك قول أبى القاسم ﷺ : «أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهذين» .

وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى وفرج بينهما .

وحذر الله عز وجل من أكل مال اليتيم فى كتابه فقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يأْكلونَ أَمَوالَ اليَتامَى ظُلْمًا إنما يأكلُونَ فِي بُطونِهِمْ نَارًا وَسَيصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾(١) إذا أكلوا أموال اليتامى بلا سببٍ فإنما يأكلون نارا تتأججُ فى بطونِهم يوَم القيامة .. فقد قال رسول الله ﷺ : «اجتنبوا السبع الموبقات» .

قيل : يارسول الله وما هن ؟

قال النبى ﷺ : «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» .

وسأل الصحابة رسول الله ﷺ قائلين :«يارسول الله ما رأيت ليلة أسرى بك ؟

قال الصادق الصدوق ﷺ : انطُلِق بى إلى خلق من خلق الله كثير ، رجال كل رجل منهم له مشفر كمشفر البعير وهو موكل بهم رجال يفكون لحاء أحدهم ثم يجاء بصخرة من نار فتقذف فى أحدهم حتى تخرج من أسفله ، لهم جؤار وصراخ قلت :

---

(١) سورة النساء من الآية : ١٠ .

ياجبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا .

وقال نبى الرحمة ﷺ : « يبعث يوم القيامة القوم من قبورهم تأجج أفواههم نارا » .

قال الصحابة : يارسول الله من هم ؟

قال رسول الله ﷺ ﴿إنَّ الَّذِينَ يأكلُونَ أمَوالَ اليتامَى ظُلْمًا﴾[1] ؟

وقال النبى ﷺ : «أخرج مال الضعيفين المرأةَ واليتيم أوصيكم باجتناب مالها» .

وقال تعالى : ﴿وَآتُوا اليَتامَى أموَالهُمْ ولا تَتبدَّلُوا الخَبِيثَ بالطَّيِّبِ ولَا تأكُلوا أمْوالَهُمْ إلَى أمْوالِكُمْ إنهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾[2] . يأمر العلى القدير بدفع أموال اليتامى إليهم إذا بلغوا الحلم كاملة موفرة ، وينهى عن أكلها وضمها إلى أموالكم ولهذا فقال : ﴿وَلَا تَتَبدَّلُوا الخَبِيثَ بالطَّيِّبِ﴾ فلا تتبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم ، أو تعط مهزولا وتأخذ سمينا ، ولا تعط زيفا وتأخذ جيدا ، فقد كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم ويجعل مكانها الشاة المهزولة ويقول : شاة بشاة، ويأخذ الدرهم الجيد ويطرح مكانه الزيف ويقول : درهم بدرهم ، ولا تخلطوها فتأكلوها جميعا إنه كان إثما عظيما .

قال رسول الله ﷺ : « كافل اليتيم لَه أو لغيره أنا وهو كهاتين فى الجنة » ـــ وأشار بالسبابة والوسطى ـــ

وكفالة اليتيم هى القيامُ بأمورِه والسعىُ فى مصالحِهِ من طعامِه وكسوتِه ، وتنمية ماله إن كان له مال ، وإن كان لا مالَ له أنفق عليه وكساه ابتغاه وجه الله تعالى ، وقوله ﷺ : له أو لغيره ـــ أى سواء كان اليتيمُ قرابة أو أجنبيًّا منه فالقرابةُ مثل أن يكفله جده أو أخوه أو أمه أو عمه أو زوج أمه أو خاله أو غيره من أقاربه ، والأجنبى من ليس بينه وبينه قرابة .

---

(١) سورة النساء من الآية : ١٠ .

(٢) سورة السناء الآية : ٢ .

أقبل رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو قسوة قلبه ، فسأله النبى ﷺ : أتحب أن يلين قلبك وتدركَ حاجتك ؟

قال الرجل : نعم يارسول الله .

قال رسول الله ﷺ : «ارحم اليتيمَ وامسحْ رأسه وأطعمْه من طعامِكَ يلنْ قلبُكَ وتدركْ حاجتَك» .

وقال ﷺ :«أنا أولُ من يفتح باب الجنة إلا أنى أرى أمرأة تبادرنى فأقول لها : مالِك ومن أنِت ؟ فتقولُ : أنا امرأة قعدتُ على أيتام لى».

قال النبى ﷺ : «إن أحب البيوت إلى الله بيتٌ فيه يتيم مكرم» .

يقول الهادى البشير ﷺ : «والذى بعثنى بالحث نبيًا لا يعذِّب الله يومَ القيامِة من رحِمَ اليتيم وألانَ لهُ فى الكلامِ ورحِم يتْمَه وضعفَه ، ولم يتطاول على جارِه بفضل ما آتاه الله» .

وحثنا رسول الله ﷺ على رحمة وإكرام اليتيم فقال : «إياكم وبكاء اليتيم فإنه يسرى فى الليل والناس نيام» .

ورغب النبى-عليه الصلاة والسلام-فى إطعام اليتيم والجلوس معه فقال : «ما قعدَ يتيمٌ مع قومٍ على قصعتهْم فيقربَ قصعتُهم شيطانٌ» .

وقال ﷺ : «من عال ثلاثة من الأيتام كان كمن قام ليلهُ وصام نهارهُ وغدَا وراحَ شاهرا سيفه فى سبيل الله ، وكنت أنا وهوْ فى الجنة إخواناً كما أن هاتين أختان ، وألصق أصبعيه السبابة والوسطى» .

وقال الهادى البشيرُ ﷺ : «من قبض يتيما من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتة إلا أن يعمل ذنبًا لا يُغفر» .

أوحى-الله عزَّ وجلَّ-إلى داودَ-عليه السلام-: ياداودُ كن لليتيم كالأب الرحيم ، وكن للأرملة كالزوج الشفيق ، واعلم كما تزرع كذا تحصدُ — إنك كما تفعل كذلك يفعل معك فلابد أن تموتَ ويبقى لكَ ولدٌ يتيمٌ وامرأة أرملةٌ —

وقال داود -عليه السلام- فى مناجاته : إلٓهى ما جزاءُ من أسنَد اليتيمَ والأرملة ابتغاءَ وجهك ؟

قال الله تعالى : « جزاؤه أن أظلْه فى ظلّى يومَ لا ظلّ إلا ظلّى » — ظلّ عرش يوم القيامة —

قال رجل ليعقوب -عليه السلام-: ما الذى أذهبَ بصرَك وحنَى ظهرَك ؟

قال : أمَّا الذى أذهب بصرى فالبكاء على يوسف ، وأما الذى حنى ظهرى فالحزن على أخيه بنيامين .

فأتاه جبريل — عليه السلام — فقال أتشكو الله ؟

قال : إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله .

قال جبريل : الله أعلم بما قلت منك .

ثم انطلق جبريل — عليه السلام — ودخلَ يعقوب — عليه السلام — بيته فقال : أى رب أما ترحم الشيخ الكبير ، أذهبت بصرى وحنيت ظهرى ، فاردد على ريحانتى — يوسف وبنيامين — فأشمه شمة واحدة ثم اصنع بى بعدُ ما شئت .

فأتاه جبريل فقال : يايعقوبُ إن الله — عز وجل — يقرئك السلام ويقول : أبشرْ فإنهما — ولداه — لو كانا ميتين لنشرْتُهما لَكَ لأقرَّبهما عينَك ، ويقول لك : يايعقوبُ أتدرِى لم أذهبتُ بصركَ وأحنيتُ ظهرك ؟ ولم فعل إخوةُ يوسف بيوسفَ ما فعلوه ؟

قال : لا .

قال جبريل : إنه أتاك يتيم مسكين وهو صائم جائع ، وذبحت أنت وأهلك شاة فأكلتموها ولم تطعموه ، ويقول : إنى لم أحب من خلقى شيئا حبِّى اليتامى والمساكين فاصنعْ طعاما وادعُ المساكين .

قال رسول الله ﷺ : فكان يعقوب كلما أمسى نادى مناديه : من كانَ صائما فليحضر طعامَ يعقوب ، وإذا أصبح نادى مناديه : من كان مفطرا فليفطرْ على طعام يعقوب .

أختـــى المسلمـــة ...

كونى لليتيم أمًّا رحيمة فقد دخل المطّلب بن عبد الله المخزوميُّ على أم سلمة زوج رسول الله ﷺ فقالت له : يابُنى ألا أحدثُك بما سمعتُ من رسول الله ﷺ ؟

قال المطلب بن عبد الله : بلى ياأُمَّهُ .

قالت أم سلمة : سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ : «من أنفقَ على بنتَيْن أو أختيَنِ أو ذَواتَى قرابةٍ يحتَسِبُ النفقةَ عليهما حَتَّى يغنيَهَما من فضْلِ الله أو يكفُلهمَا كانتَا لَهُ سترًا منَ النارِ» .

أختـــى المسلمـــة ...

فهلمى وخُذى بهذْى ووصية رسول الله ﷺ فإن أخذت بهاسعدت فى حياتِكِ ، وربحت آخرتكِ وفزتِ بالجنة .. وذلك هو الفوز العظيم .

الوصيـة التاسـعة عشـرة :

التواضـــع

أختـى المسلمـة ...

ذمَّ الله ـ عز وجل ـ الكبر ، ونهى عنه وحذر النبى ﷺ من الكبر والاختيال .

وامتدح رسول الله ﷺ التواضع ـ الاستسلام للحق وترك الاعتراض فى الحكم ـ قال تعالى : ﴿واخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المؤْمِنِينَ﴾[1] كن لين الجانب للمؤمنين ، وقد كان رسول الله ﷺ كثير الشفقة على من بعث إليه . وقال ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ يَاأيها الَّذِينَ آمنُوا مَنْ يَرتدَّ منكمْ عَن دِينهِ فسوفَ يأتي الله بِقَومٍ يُحبُّهمْ ويُحبُّونَه أذِلَّةٍ عَلَى المؤْمنِينَ أعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ﴾[2] .

وقال ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ ياأيُّها النَّاسُ إنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إنَّ أكَرمكُمْ عِندَ الله أتْقاكُم﴾[3] . وقال ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿فَلَا تُزَكُّوا أنفُسَكُمْ هُوَ أعْلَمُ بِمَن اتَّقَى﴾[4] .

قال رسول الله ﷺ : «إن الله أوحَى إليَّ أن تَواضعُوا حَتَّى لا يفخرَ ـ لا يعتدى ـ أحدٌ على أحدٍ ولا يبْغِى أحدٌ على أحدٍ» .

وقال رسول الله ﷺ : «ما زاد الله عبدا بعفوٍ إلَّا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» .

ويحث النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ على التواضع فيقول : ما نقصت صدقةٌ من

---

(١) سورة الشعراء : ٢١٥ .

(٢) سورة المائدة : من الآية ٥٤ .

(٣) سورة الحجرات : من الآية ١٣ .

(٤) سورة النجم : الآية ٣٢ .

مالٍ وما زادَ الله عبدا بعفوٍ — تواضعًا وكسْرًا للنفس فيه تدريبهم على أداءِ الشريعة وطرح رادءِ الكبر ولينِ الجانب — إلّا عزًّا وَما تواضَع أحدٌ لله إلا رفعَهُ الله .

لقد كان رسول الله ﷺ مثال التواضع فكان يزورُ الأنصار ويسلِّم علَى صِبيانِهِمْ ويمْسَحِ رُءوسَهُمْ وَيَدْعُو لهم .

يقول أبو القاسم ﷺ : « طُوبى لمن تواضع فى غير مسكنة ، وأنفق مالاً جمعه فى غير مَعْصيةٍ ، ورحمَ أهلَ الذلِّ والمسكنةِ ، وخالطَ أهلَ الفقهِ والحكمة » .

مشى النبى ﷺ يوما إلى قباء ، وكان صائمًا فأتاه أهلُ قباء عند إفطاره بقدحٍ منْ لبنٍ وجَعَلوا فيهِ شيئًا من عسَلٍ فلمَّا رفعَه إلى فيه وذَاقهُ وجَدَ حلاوةَ العسلِ فقال : ما هذا ؟

قالوا : يارسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل .

فوضع القدح وقال ﷺ : « أما إنى لا أحرمه ، ومن تواضع لله رفعه ، ومن تكبر وضعه الله ، ومن اقتصد أغناه الله ، ومن بذر أفقره الله ، ومن أكثر ذكر الله أحبه الله » .

يقول نبى الرحمة ﷺ : « خيرنى ربِّى بين أمرين أن أكون عبدًا رسولا أو ملكا نبيا ، فلم أدر أيهما أختار ، وكان صفى من الملائكة جبريلُ فرفعت رأسى إليه فقال : تواضعْ لربك ، فقلت عبدًا رسولا » .

وأوحى الله — عزَّ وجلَّ — إلى موسى — عليه السلام — : إنما أقبلُ صلاةَ من تواضع لعظمتى ولم يتعاظَمْ على خَلْقي ، وألزم قلبه خوْفِى ، وقطع نهارَه بذكرِى ، وكف نفسه عن الشهوات من أجلى .

وقال عيسى بن مريم — عليه السلام — : طُوبىَ للمتواضعين فى الدنيا ، هم أصحابُ المنابر يومَ القيامة ، طوبى للمصلحين بين الناس فى الدنيا ، هم الذينَ يرثون الفردوس يوم القيامة ، طوبى للطَّهرة قلوبهم فى الدنيا ، هم الذين ينظرون إلى الله — تعالى — يوم القيامة .

وكان رسول الله ﷺ فى نفر من أصحابه فى بيته يأكلُون فطرق سائلٌ البابَ فدعاه النبيُّ ﷺ ، وكان بالسائل زمانة يتكرهُ منها ، فلما دخل أجلسه رسولُ الله ﷺ على فخذه ثم قال له : أطعم .

وكان رجل من قريش جالسًا فاشمأز من السائل وتكره .. فما مات ذلك الرجلُ حتَّى كانتْ به زمانة — آفة فى الحيوانات ، ورجل زمن أى مبتلى بيِّنُ الزمانة .

وقال رسول الله ﷺ : إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة .

وقال أبو القاسم ﷺ : «أربعٌ لا يعطيهُم الله إلا من أحب : الصمتُ وهو أولُ العبادة والتوكلُ على الله والتواضعُ والزهدُ فى الدنيا» .

وسأل رسول الله ﷺ أصحابه يوما : مَالِى لا أرىَ عليكم حَلاوة العبادةِ ؟

فقالوا : وما حلاوةُ العبادة ؟

قال النبى ﷺ : التواضع .

وقال نبى الرحمة ﷺ : «إذا رأيتم المتواضعين من أمتى فتواضَعوا لهم وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم ، فإن ذلك مذلة لهم وصغارا» .

وكان من تواضع رسول الله ﷺ أنه كان إذا دخل بيته خدم أهل بيته .

سأل الأسود بين يزيد أم المؤمنين عائشة : ما كان النبى — عليه الصلاة والسلام — يصنع فى بيته ؟

قالت عائشة : كان يكونِ فى مهنة — فى خدمتهم — أهله — يعنى خدمة أهله — فإذا حضرتِ الصَّلاةُ خرجَ إلىَ الصَّلاةِ — لأدائها فى أول وقتها .

وقال أنس بن مالك : إنَّ رسول الله ﷺ إذا أكل طعامًا لَعَقَ أصابعه الثلاث — الإبهام والمسبحة والوسطى — .

وقال أنس أيضا : قال رسول الله ﷺ : «إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط ــ فليزل ــ عنْها الأذى وليأكلها ولا يدعْها للشيطان» .

وأمر أن تُسلتَ ــ تلعق ــ القصعة وقال : فإنكم لا تدرُون فى أىّ طعامكم البركة ؟

وقال عمر بن الخطاب : إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمته . وقال : انتعش رفعك الله ، وإذا تكبر وعدا طوره رهصه الله فى الأرْض ، وقال : اخسأْ خسأكَ الله فهو فى نفسه كبيرٌ وفى أعين الناس حقيرٌ حتى أنه عندهم أحقرُ من الخنزير .

وانتهى جرير بن عبد الله يومًا إلى شجرة فوجدَ رجلا تحتها يغطُّ فى نومه قد استظلَّ بنطع لهُ وقد جاوزته الشمسُ فسوى النطع عليه فاستيقظ الرجلُ فإذا هو سلمانُ الفارسىُّ أميرُ المدائن ، فذكر له جريرُ ما صنع فقال له : ياجريرُ تواضعْ لله فى الدنيا فإنه من تواضع لله فى الدنيا رفعه الله يومَ القيامة ، ياجريرُ أتدرِى ما ظلمةُ النارِ يومَ القيامة ؟

قال جرير بن عبد الله : لا .

قال سلمان الفارسى : إنه ظلم الناس بعضهم بعضا فى الدنيا .

وقالت أم المؤمنين عائشة : إنكم لتغفلون عن أفضل العبادات .. التواضع .

وقيل : أوحى إلى عيسى ــ عليه السلام ــ : إذا أنعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة أتممها عليك ــ باستكانة بشكر وتواضع ــ

أختــى المسلمــة ...

من تواضع لله رفعهُ .. اذكرى هذا ، وانتفعى به حتى تكونى من المتواضعين لا من المتكبرين المتبخترين .

الوصـــية العشـــرون :

صلـــة الرحـــم

الرحمُ تعنى القرابة

قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : «أنَا الرَّحْمَـٰنُ وَهَذِهِ الرَّحِمُ شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بَتَتُّهُ» — قطعته — .

أختـــى المسلمـــة ...

إن صلة الرحم من أهمِّ ما يجبُ علينا أن نحققه كمسلمين ، أو كمؤمنين فقد أمر به الله — تعالى — : ﴿وآتِ ذَا القُربىَ حَقَّهُ والمسْكينَ وابنَ السَّبيلِ وَلَا تُبذِّرْ تَبْذِيرًا﴾[1] وقال : ﴿واتَّقوا الله الَّذِى تَساءَلُونَ بِهِ والأرْحَامَ إنَّ الله كَانَ عليكمْ رقيبًا﴾[2] وقال : ﴿فهَلْ عَسَيْتُمْ إن تَوَلَّيْتُمْ أن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أرحَامكُمْ . أُولئِكَ الَّذِينَ لعنَهُمْ الله فَأَصَمَّهُمْ وأَعْمَىَ أبصَارَهُمْ﴾[3] فهل المرجو منكم الإفساد فى الأرض ، وتقطيع الأرحام إذا توليتم مصالح الناس ؟ من يفعل ذلك فهو من الذين لعنهم — طردهم الله — عز وجل — من رحمته — . وقال العزيز القدير : ﴿الَّذِينَ يَنقضُونَ عَهْدَ الله مِنْ بعد ميثاقِهِ ويقْطَعُونَ ما أمرَ الله بِهِ أن يُوصَلَ ويُفسِدُونَ فى الأَرْضِ أولئكَ هُمُ الخَاسِرُون﴾[4] يرهب رسول الله ﷺ من قطيعة الرحم .

قال النبى ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» .

---

(١) سورة الإسراء الآية ٢٦ .

(٢) سورة النساء : الآية ١ .

(٣) سورة محمد : الآيتان ٢٢ ، ٢٣

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٧ .

يحثنا نبى الرحمة ﷺ أن نحسن إلى ذوى قرابتنا ، فنعطى محتاجنا ، ونزور مريضنا ونواسى منكوبنا .

وقال ﷺ : «من أحبَّ أن يُبْسَطَ له فى رزقِه وينسأ — يؤخر — له فى أثره — أجله — فليصلْ رحمهُ» .

أو قال : «من سرَّه أن يمدَّ له فى عمره ، ويوسع له فى رزقِهِ ، فليتقِ الله وليصلْ رحمَهُ» .   وسئل النبى ﷺ : أى الناس أفضل ؟

قال ﷺ : «أتقاهُم لله ، وأوصلُهم لرحمه ، وآمرُهم بالمعروفِ ، وأنهاهم عن المنكر» .

وقال ﷺ : «إن الله خلق الخلق حتَّى إذا فرغ منهم قامت الرحمُ فقالت : هذا مقام العائذ — المستعيذ المستجيرِ المعتصم الملتجىء ، والمراد تعظيم شأنها وفضيلةُ واصلها ، وعظيمُ إثم قاطعها — بكَ من القطيعة قال : نَعمْ أما ترضينَ أن أُصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأقْطَعَ مَن قطَعَكِ ؟ قالت : بلى ، قال : فذلك .

ثم قال النبى ﷺ : اقرأوا إن شئتم : ﴿فهلْ عَسيتمْ إن تولَّيْتُمْ أن تُفسِدُوا في الأرضِ وَتُقَطِّعُوا أرْحَامَكُمْ . أُولئِكَ الَّذِينَ لَعنهمُ اللهُ وأعمىَ أبصَارَهُمْ﴾(٣) .

وقال رسول الله ﷺ : «إن الرحم معلقة بالعرش ، وليس الواصل بالمكافىءِ ، ولكن الواصل الَّذِى إذا انقطعت رحمه وصلها» .

وقال النبى ﷺ : «إن أعجل الطاعة ثوابًا صلة الرحم ، حتى أن أهل البيتِ ليكونونَ فجارًا فتنمو أموالهمْ ويكثر عددهم إذا وصلوا أرحامهم» .

وقال ﷺ : «أفضلُ الصدقة الصدقةُ على ذِى الرحم الكاشح» — أفضلُ الصدقة على ذِى الرحم المضمرِ العداوةَ فى باطنِهِ وهو فى معنى قوله ﷺ : «وتصلُ من قطَعَك» —

وجلس رسول الله ﷺ يوما مع أصحابه فقال : «ثلاثٌ من كنَّ فيهِ حاسبه اللهُ حِسَابًا يسيرًا وأدخله الجنة برحْمته» .

فتساءل أصحابه فى لهفة : وما هىَ يارسولَ الله بأبى أنت وأمى ؟

قال النبى ﷺ : «تُعْطِى مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَصِلُ مَن قَطَعَكَ ، وَتَعْفُو عَمَّن ظَلَمَكَ ، فَإِذَا فَعَلَتْ ذَلِكَ يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ» .

وقال ﷺ : الرحمُ حجنة ــ صنارة المغزل ، وهى الحديدة العقفاء التى يعلق بها الخيطُ ثمّ يفتل الغزل ــ متمسكةٌ بالعرشِ تكلم بلسانٍ ذلق : اللهمَّ صِلْ من وصلنى ، واقطعْ من قطعنى ، فيقول الله ــ تبارك وتعالى ــ : «أنا الرحمن الرحيم ، وإنى شققت للرحم من اسمى فمنْ وصلها وصلته ومن بتكها بتكته» ــ من قطعها قطعته ــ

وقام رجل فقال : يانبى الله إنَّ لى قرابةً أصلهم ويقطعونى ، وأحسنُ إليهمْ ويسيئون إلىَّ وأحلم عليهم ويجهلون علىَّ ،

فقال رسول الله ﷺ : إن كنتَ كما قلت فكأنما تسفهُم المَلَّ ــ الرمادَ الحار ــ ولا يزالُ معكَ من الله ظهيرٌ عليهمْ مادمت على ذَلك .

ولما خرج رسول الله ﷺ إلى أم القرى ــ مكة ــ عرض له رجلٌ فقال : إن كنت تريدُ النساءَ البيضَ والنوقَ الأدم فعليك ببنى مدلج .

فقال رسول الله ﷺ : «إن الله قد منعنى من بنى مدلج بصلتهم الرحم» .

وذات ليلة قال رسول الله ﷺ لعائشة : «أسَرعُ الخيرِ ثوابًا البرُّ وصلةُ الرحمِ ، وأسرع الشرِّ عقوبةً البغىُ وقطيعةُ الرِّحمِ» .

وعرض أعرابى لرسول الله ﷺ وهو فى سفر فأخذ بخطامِ القصواء ــ ناقةِ رسول الله ﷺ ــ ثم قال : يارسول الله ــ أوْ يامحمد ، ففى اللَّفظينِ شكٌ من راوى الحديث ــ أخبرْنى بما يقربنِي من الجنِة ويباعدُنى من النارِ ؟

فنظر النبىُّ ﷺ إلى أصحابه الذين معه ثم قال : لقد وفق ــ لقد هدى ــ

ثم عاد رسولُ الله ﷺ يسألُ الأعرابىَّ : كيف قلت ؟

قال الأعرابى : أخبرنى بما يقربنى من الجنة ويباعدنى من النار ؟

فقال رسول الله ﷺ : «تعبدُ الله ولا تشركْ به شيئًا وتقيمُ الصَّلاةَ وتؤتِى الزكاةَ ، وتصِلُ الرَّحَم» ــ وتصل ذَا رحمِكَ ــ

ثم قال النبىّ ﷺ وهو يشيرُ نحو زمام ناقته : دع الناقة .

فلما أدبر الأعرابى قال رسول الله ﷺ : إن تَمَسَّك بما أمرته به دخل الجنة .

أختـى المسلمـة ...

كيف نصل رحِمنا ؟ تكونُ صلُة الرحمِ بالمالِ وبالعونِ على الحاجةِ ، وبدفع الضُّرِّ وبطلاقَةِ الوجهِ ، فتبسمك فى وجه أخيك صدقة ، وبالدعاء .

يقول رسول الله ﷺ : إن من أربى — أفحشه وأقبحه — الربَا الاستطالة فى عرض المسلم بغير حق — كتناوله بالهجاء والذمِّ على وجه الاعتداء والظلم — وإن هذه الرحمَ شجنة — قرابةٌ مشتبكة كاشتباكِ العروق — منَ الرحمنِ — عز وجلّ — فمن قطعها حَرَّم الله عليه الجنَّةِ .

ويقولُ النبى ﷺ : «من سرَّه أن يُمَدَّ له فى عمره ويُوَسَّع له فى رزقِهِ ، ويُدْفعُ عنه ميتةُ السوءِ ، فليتقِ الله وليصلْ رحمَه» .

وقال رسول الله ﷺ : مكتوب فى التوراةِ من أحب أن يزادَ فى عمره ويزادَ فى رزقِه فليصلْ رحمَه .

ويقول النبى ﷺ : «إن الصدقةَ وصلةَ الرحمِ يزيدُ الله بهما فى العمر ويدفعُ بهما ميتةَ السوء ، ويدفع بهما المكروهَ والمحذورَ» .

وأقبل رجل من خثعم فقال : يامحمد ، أنت تزعم أنك رسول الله ؟

قال النبى ﷺ : نعم .

قال الخثعمى : أى الأعمال أحبُّ إلى الله ؟

قال رسول الله ﷺ : الإيمان بالله .

فتساءل الخثعمى : يامحمد ثم مه ؟

قال النبى ﷺ : ثم صلة الرحم .

قال الخثعمى : ثم مه ؟

قال رسول الله ﷺ : ثم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ثم تساءل الخثعمى : أى الأعمال أبغضُ إلى الله ؟

قال النبى ﷺ : الإشراك بالله .

قال الخثعمى : ثم مه ؟

قال رسول الله ﷺ : ثم قطيعةُ الرحِم .

ثم تساءل الخثعمى : ثم مه ؟

قال النبى ﷺ : ثم الأمر بالمنكر والنهى عن المعروف .

ثم نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه الذين حوله وقال : **«إن الله ليعمر بالقومِ الديارَ ويثمرُ لهم الأموالَ وما نظر إليهم منذُ خلقهم بغضًا»** .

فتساءل أصحابه : كيف ذلك يارسول الله ؟

قال النبى ﷺ : بصلتهم أرحامهم .

وقال رسول الله ﷺ لعائشة : **«إنه من أُعطِى الرفقَ فقدْ أعطى حظَّه من خير الدنيا والآخرة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، وحسن الخلق ، يعمرانِ ويزيدانِ فى الأعمار»** .

وسألت درة بنت عبد العزى ـــ بنتُ أبى لهب ـــ رسول الله ﷺ : يارسول الله مَنْ خيرُ الناس ؟

قال النبى ﷺ : «أتقاهم للربِّ ، وأوصلُهم للرحِم ، وآمرُهم بالمعروف ، وأنهَاهُمْ عن المنكرِ» .

وأعتقت أم المؤمنين ميمونَةُ بنت الحارث وليدةً لها ولم تستأذنْ رسول الله ﷺ فلمَّا كانَ يومُها الذى يدورُ لها فيهِ قالت : أشعرت يارسول الله أنى أعتقتُ وليدتى ـــ جاريتَها أو عبدتَها أو أمتَها ـــ ؟

قال رسول الله ﷺ : أو فعلت ؟

قالت أم المؤمنين ميمونة : نعم .

قال النبى ﷺ : أما أنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرِك .

وجاء النبىَّ ﷺ رجل فقال : يارسول الله،إنى أذنبتُ ذنباً عظيمًا فهلْ لىَ من توبة ؟

قال رسول الله ﷺ : هل لك من أم ؟

قال الرجل : لا .

فتساءل رسول الله ﷺ : فهل لك من خالة ؟

قال الرجل : نعم .

قال النبى ﷺ : فبرها .

وجلس الصحابى الجليل أبو هريرة ــ عبد الرحمن بن صخر ــ يومًا يحدِّث عن رسول الله ﷺ فقال : أحرِّج على كل قاطع رحم إلا قام من عندنا ــ من مجلسنا ــ .

فلم يقم أحدُ إلا شاب من أقصَى الحلقة فذهب إلى عمته لأنه قد صارمها ــ قطعها ــ منذُ سنين فصالحها .

فسألته عمته : ما جاء بك يا ابن أخى ؟

قال الشاب : إنى جلست إلى أبى هريرة صاحب رسول الله ﷺ فقالَ : أحرِّج كلَّ قاطعِ رحمٍ إلا قامَ من عندنا .

فقالت عمته له : ارجعْ إلى أبى هريرة واسأله لم ذلك ؟

فرجع الشاب إلى أبى هريرة وأخبره بما جرى له مع عمته وسأله : لم لا يجلس عندك قاطع رحم ؟

فقال أبو هريرة : إنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «إن الرحمةَ لاتنزلُ على قومٍ فيهم قاطعُ رحِم» .

ولما أراد أبو طلحة ــ زيدُ بن سهلِ بن الأسودِ زوج أم سليم أمِّ أنسٍ بن مالكٍ خادمِ رسول الله ــ أنْ يتصدق بحائطٍ ــ بستانٍ فقد كانَ أبو طلحة أكثرُ الأنصارِ بمدينة

رسول الله ﷺ مالاً من نخلٍ وكانَ يحبَّ أمواله إليه بيرحاءُ ، وكانت مستقبلة مسجد النبى ﷺ ، وكان يدخلها رسول الله ﷺ ويشربُ من ماء فيها طيب ، فلما نزل قوله تعالى : ﴿لَن تَنالُوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1] قال أبو طلحة : يارسول الله إن الله تعالى يقول : ﴿لَن تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحبُّونَ﴾ وإن أحبَّ مالِي إلَّى بيرحاءُ وإنها لصدقة لله ــ تعالى ــ أرْجو برَّها وذخَرها عنَد الله ــ تعالى ــ ، فضعها يارسولَ حيثُ أراك اللهُ .

فقال النبى ﷺ : بخٍ ذلكَ مالٌ رابحُ ، ذلك مالٌ رابح ، وقد سمعتُ ما قلتَ وإنى أرَى أن تجعلها فى الأقربينَ ــ وجبَ أجرُكَ على الله قسِّمه فى أقاربك ــ

فقال أبو طلحة : أفعل ــ أصرفُه لهم متبعا لرأيك ــ صلى الله عليك وسلم يارسول الله ــ

فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه .

وقال ﷺ : « الصدقةُ على المسكينِ صدقةٌ وعلَى ذِى الرحمِ ثنتانِ صدقَةٌ وصلةٌ » ــ صلة رحم ــ

وكتب أمير المؤمنين عمرُ بن الخطاب إلى عماله : مروا الأقارب أن يتزاورُوا ولا يتجاوَرُوا ــ لأن التجاور يُورثُ التزاحمَ على الحقوق وربما يورثُ الوحشةَ وقطيعَة الرحم ــ

وأتى رجلٌ عبد الله بن عباس بن عبد المطلب فمتَّ إليه برحمٍ بعيدة فقال ابنُ عباسٍ : سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ : « اعرَفُوا أنسابَكم تَصلوا أرحامَكمْ فإنَّه لا قرْبَ بالرَّحم إذا قطعتْ ، وإن كانتْ قريبةً ، ولا بعدَ بها إذا وصلتْ وإن كانتْ بعيدةً » .

وكان عبدُ الله بن عمر يصلُ أهل ود أبيه ويقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « أبرُّ البر أن يصلَ الرجلُ أهلَ ود أبيه » .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٩٢ .

وقال النبى ﷺ : « ابن أخت القوم من أنفسهم ، ومولى القوم من أنفسهم ، وحليف القوم من أنفسهم » .

وذات يوم حجَّ رجلٌ من الأغنياء إلى بيت الله الحرامِ فَلَمَّا وصلَ إلى مكة أو دعَ ماله ــ ألفَ دينار ــ عند رجلٍ كان موسومًا بالأمانِة والصلاحِ وقال له : هذا المالُ عندكَ حتى أقفَ بعرفاتَ .

فلما وقف بعرفات ورجع إلى مكة وجدَ الرجلَ قد ماتَ فسألَ أهلَه عن مالِه فقالُوا : لا ندْرى عن هذا المالِ شيئًا .

ألم يكن لهم بهذا المال علمٌ ؟ لماذا لا يذهبُ الرجلُ إلى علماء مكة ويخبُرهم بحالِه ومالِه ؟

قال علماء مكة : إذا انتصف الليل فأتِ زمزم وانظر فيها وناد يافلانُ باسمه فإن كان من أهل الجنة فَسيُجِيبُكَ بأول مرة .

فمضى الرجلُ إلى زمزم ونادى فلم يجبْه أحد . فرجع إلى علماء مكة وأخبرهم فقالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، نخشى أن يكون صاحبُكَ من أهلِ النار اذهب إلى أرض اليمن ففيها بئرٌ يسمى برهوتُ يقال إنه على فم جهنم ، فانظر فيه بالليل ، ونادِ يافلان فإن كانَ من أهل النارِ فسيجيبُك منها .

فمضى الرجلُ إلى اليمن وسأل عن بئربرهوت فدُلَّ عليها فأتاها ليلاً ونظر فيها ونادى : يافلان .

فأجابه فقال الرجل : أين ذهبى ؟

قال الرجلُ الذى كان موسوما بالأمانة والصلاح : دفنتُه فى الموضع الفلانىِّ من دَارِى ، ولم أئتمن عليه ولَدى فأْتِهمْ واحفرْ هناكَ تجدْه .

فتساءل الرجل : ما الذى أنزلك ههنا ــ فى جهنم ــ وكنَّا نظن بكَ خيرا ؟

قال الرجل الذى كان موسوما بالأمانة والصلاح : كان لى أختٌ فقيرة هجرتُها وكنتُ لا أحن عليها فعاقبنى الله ـــ سبحانه ـــ بسببها ، وأنزلنى هذه المنزلة .

تأملى أختيِ المؤمنةُ واذكرى كلّ هذا وكونى من الذين يصلون أرحامهم ، أى لذوى قرابتك الذين تجمعك وإياهم رحم واحدة ، بأن تعينى فقيرَهم وترشدى جاهلَهم ، وتقضى حوائجهم ، وتتفقدى غائبهم ، وتعودى مريضهم ، وتشاركى أفراحهم وأحزانهم .. حتى تفوزِى بهذا الخير الذى وقفت عليه ، والذى لابد أن تفوزى به كمسلمة أو كمؤمنةٍ تريدين الله واليومَ الآخر .

الوصيـة الحاديـة والعشـرون :

اجتنبـي قـول الـزور

يقول ـــ تبارك وتعالى ـــ : ﴿والَّذِينَ لَا يشْهدُونَ الزُّورَ﴾(١) فهذه من صفات عباد الرحمن ، أنهم لا يشهدون الزور ، أى : الكذب والافتراء والباطل .

قال رسول الله ﷺ :«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟»

قال أصحابه : بلى يارسول الله .

قال النبى ﷺ :«الشرك بالله وعقوق الوالدين».

وكان متكئا فجلس فقال :«ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور».

فما زال يكررها ..

يقول أبو بكرة : حتى قلنا ليته سكت ـــ شفقه عليه ﷺ لما ظهر عليه من أثر الشدة .

ويقول ـــ تعالى ـــ : ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾(٢) .

يقول أبو القاسم ﷺ : «لا تُزالُ قدما شاهد الزور يومَ القيامةِ حتَّى تجبَ له النار» .

وقال ـــ سبحانه وتعالى ـــ : ﴿إنَّ الله لا يهدِى مَنْ هُوْ مُسْرِفٌ كذَّابٌ﴾(٣) .

يقول رسول الله ﷺ : «يطبعُ المؤمنُ على كل شيء ليسَ الخيانة والكذبَ» ـــ إلا الخيانة والكذب ـــ

(١) سورة الفرقان : الآية ٧٢ .

(٢) سورة الحج : الآية ٣٠ .

(٣) سورة غافر : الآية ٢٨ .

وذات يومٍ كانَ رسول الله ﷺ فى بيتِ أم سلمة فجاء رجلان من الأنصارِ يختصمانِ إلى النَّبِى ــ عليه الصلاة والسلامُ ــ فى مواريثَ قد دَرَسَت ليس لهما بينةٌ فقال أبو القاسم ﷺ : إنكم تختصمون إلىَّ وإنَّما أقضِى فيما لَمْ ينزلْ علىَّ فيه بحجتِه يقتطعُ بها شيئاً من حقٍّ أخيه فلا يأخذُه فلا يأخذه فإنما أقطعُ له قطعةً من النارِ يأتى يومَ القيامة انتظامًا فى عنقهِ .

ثم قال ﷺ : «مَنْ قضيت له من مالِ أخيه بغيرِ حقٍّ فلا يأخذْه فإنما أقطَعُ له قطعةً من نارٍ» .

فبكى الرجلان وقال كلٌّ منهما : يارسول الله حقى له .

فقال الصادق الصدوق ﷺ : «أما إذا فعلتما فاذهبَا وتوخيا الحقَّ واقتسما واستهما ــ اقترعا ــ وليحلّ كلٌّ واحدٍ منكما صاحِبه» .

قد يكونُ أحد المتخاصمين ألسنَ ــ يجيد الكلامَ ــ والآخرُ غير ألسنَ ، فإذا شهدَ شهادةَ زورٍ ظلمَ الذى شهِد له بأنْ ساقَ إليه المالَ الحرامَ فأخذهُ بشهادتِه فَوَجَبَتْ له النارُ .

أختـــى المسلمـــة ...

سألت امرأةٌ رسول الله ﷺ : يارسول الله ، لى جارةٌ ــ ضره ــ فعلىَّ جناحٍ أنَ أتشبَّعَ ــ أتزين ــ مِنْ زوجِى بما لَا يُعطِينِي ؟

قال رسول الله ﷺ : المتشبع ــ المتزينُ بأكثر مما عنده يتكثرُ بذلك ويتزينُ بالباطل ــ لم يعط كلابس ثوبَىْ زورٍ .

لقد لدغت عقاربُ الغيرة الزوجة الثانية فأرادتْ أن تغيظَ وتُضرِمَ نيرانَ القلقِ فى صدر ضرتها فأرادتْ أن تدعىَ أن زوجَها أعطاهَا ما لم يعطِ ضرتَها فترفع من نفسِها ولكنْ كان ردُّ رسول الله ﷺ قاطعا : كلابس ثَوْبِي زورٍ .

لأن المتحلى كذب كذبتَيْنِ ، فقد وصفت بصفة ليست فيها ، ووصفت زوجَها بأنه خصها بصلة ، فجمع بهذا القولِ بين كذبتين .

أختـــى المسلمـــة ..

احذرى أن تصفى نفسك بصفة غير حقيقية ولا تمدحى نفسك بما ليس فيك ولا ترفعى نفسك بالزور .. فالزُّورُ كذبٌ وبهتانٌ .. كفانا الله شرهما .

الوصيــة الثانيــة والعشــرون :

التحذيـر من صغائــر الذنــوب

أختـــى المسلمـــة ...

اعلمى أن الصغيرة تكبر بأسباب منها : الإصرار والمواظبة ولذلك قيل : لا صغيرة مع إصرار ، ولا كبيرة مع استغفار .

فكبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلها لو تصور ذلك كان العفو عنها أرجَى من صغيرة يواظب عليها العبد ، فقطرات من الماءِ تقع على الحجر على توالٍ تؤثر فيه وإذا صب عليه ذلك القدر من الماء دفعة واحدة لم يؤثر .. لذلك قال رسول الله ﷺ : «خير الأعمال أَدْوَمُهَا وإن قل» .

والأشياء تستبان بأضدادها ، وإن كان النافع من العمل هو الدائم وإن قل فالكثير المنصرم قليل النفع فى تنوير القلب وتطهيره ، فكذلك القليل من السيئات والذنوب إذا دام عظم تأثيره فى إظلام القلب .

قال رسول الله ﷺ : «إياكم ومحقرات الذنوبِ فإنهنَّ يجتمعنَ على الرجل حتى يهلكنه» .

وإن رسول الله ﷺ ضربَ لهنَّ مثلا كمثِل قوم نزلُوا أرضَ فلاةٍ ـــ أرضٌ لا ماء فيها ـــ فحضر صنيعُ القوم فجعلَ الرجل ينطلقُ فيجىءُ بالعودِ والرجلُ يجىءُ بالعودِ حتى جمعوا سوادًا وأَجَّجُوا نارًا وأنضجُوا ما قذفوا فيها .

وقال ﷺ : إن الشيطان قد يئس أن تعبد الأصنام فى أرض العرب ، ولكنه يرضى منكم بدون ذلك ، بالمحقرات وهى الموبقات يوم القيامة ـــ محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه ـــ

ويقول أبو القاسم ﷺ : إن العبد إذا أخطأ خطيئته نكتت فى قلبه نكتة سوداء فإن

نزع واستغفر صقلت فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الرانُ الذى ذكره الله ــ تعالى ــ : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قلوبِهِمْ ما كَانُوا يَكْسِبُون﴾[1] .

ولما نصر الله رسوله يوم حنين نزل ﷺ وأصحابه قفرًا من الأرض ليسَ فيها شئ فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : اجمعوا من وجَد شيئا فليأتِ به ومنْ وجد عظما أو سنا فَلْيَأتِ به .

فما كان إلا ساعة حتى جمعوا ركمًا فقال النبى ﷺ : أترون هذا ؟ فكذلك تجتمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا ، فليتق الله رجلا فلا يذنب صغيرة ولا كبيرة فإنها محصاة عليه .

وقال رسول الله ﷺ : « ياعائشة ، إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالبا » .

أختـــى المسلمـــة ...

هذه وصيةُ النبى ﷺ إلى أم المؤمنين عائشة ، فهى تحذير من أمر يغفل عنه أكثر الخلق ألا وهى صغائر الذنوب .

يقولُ الصادق الصدوقُ ﷺ : «المؤمنُ يرى ذنْبه كالجبلِ فوقه ، يخاف أن يقع عليه ، والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره» .

فالذنب يعظم فى قلبِ المؤمن لعله بجلالِ فإذا نظر إلى عظم من عُصى به رأى الصغيرة كبيرة .

لقد أوحى الله ــ تعالى ــ إلى أحد أنبيائه : لاتنظر إلى قلة الهدية وانظر إلى عظم مهديها ، ولاتنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها .

قال أنس بن مالكَ : إنكم لتعملون أعمالاً هى أدق فى أعينكم من الشعر ، كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ الموبقات ــ المهلكات ــ

لقد كانت الصغائرُ عند صحابة رسول الله ﷺ من الكبائر ، ولهذا السبب يعظم من

---

(١) سورة المطففين : الآية ١٤ .

العالم مالَا يعظمُ من الجاهل ، ويتجاوز عن العامى فى أمور لا يتجاوزُ فى أمثالها عن العارفِ ، لأن الذنب والمخالفة يكبر بقدر معرفة المخالف . فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم أثرها فى تسويد قلبه ، حتى أنَّ من المذنبين من يمتدح بذنبه ، ويتبجج به ، كما تقول إحدى الفتيات : أما رأيتِ كيفَ مزقتُ عرضها ؟ لقد فضحتُها وذكرتُ مساويها حتى أخجلتها .

ويقول العامل فى التجارة : أما رأيت كيف روجت عليه الزائف ، وكيف خدعته ، وكيف غبنته فى ماله ، وكيف استحمقته ؟

فهذه وأمثاله تكبر به الصغائر فإن الذنوب مهلكات .

دخل أبو الدرداء يوما بيتَه مغضبا فسألته أم الدرداء : مالك ؟

قال أبو الدرداءِ فى حزنٍ وأسى : والله ما أعرف فيهم ــ الناس ــ شيئًا من أمر محمدٍ ﷺ إلا أنهم يصلُّون جميعا .

وقال بلالُ بن سعيدٍ : لاتنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر من عصيت ؟

كانت امرأة متعبدة تصلى الضحى مائة ركعة كل يوم وكانت تصلى بالليل لا تستريح ، وكانت تقول لزوجها : قم ويحك إلى متى تنام ؟ إلى متى أنت فى غفلة ؟ أقسمت عليك أن لا تكسب إلا من حلال أقسمت عليك أن لا تدخل النار من أجلى ، بر أمك ، صل رحمك لاتقطعهم فيقطع الله بك .

كانت مسلمة عابدة تقية تؤازر زوجها على أمور الدنيا والآخرة . أما اليوم فالمرأةُ لا تهتم بالصغائر ، بل وتفعل الكبائر على رءوس الأشهاد ، ألا تخشى من غضب الجبار ؟ استصغرت الذنبَ فى البداية ؟ ألا تعلمُ أنَّ العبد كلما استصغر ذنباً عظَّمَه وكبَّره العليمُ الخبيرُ ؟

لا تحتقرى صغائر الذنوب حتى لاتقعى فى الكبائر .

ولقد صدق الشاعر حيثُ قال :

كــلِ الحــوادث مبدأهــا مـن النظــر ... ومعظمُ النارِ من مستصغرِ الشررِ

الوصيـــة الثالثـة والعشـــرون :

عـــدم قـــذف المحصنـــات الغافـــلات

لعن الله من قذف امرأة محصنة حرة عفيفة عن الزنا والفاحشة ـــ اللعن : الطردُ من رحمة الله ـــ يقول العزيز الحكيم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ المحصَنَاتِ الغَافِلَاتِ المؤْمنَاتِ لُعِنُوا فى الدُّنيَا والْآخرةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ . يَوْمَ تَشْهدُ عَلَيْهِم ألسِنَتُهُمْ وأيْدِيهِمْ وأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١) .

يقول رسول الله ﷺ : «اجتنبوا السبع الموبقات» .

قيل : وما هنَّ يارسول الله ؟

قال النبى ﷺ : «الشركُ بالله ، والسحرُ ، وقتلُ النفسِ التى حرَّم الله إلا بالحقِّ ، وأكلُ الربا ، وأكلُ مالِ اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذفُ المحصنات الغافلاتِ المؤمناتِ» .

وقال رسول الله ﷺ : «قذفُ المحصنةِ يهدم عمل مائة سنة» .

ويقول العلى القدير : ﴿والَّذِينَ يَرْمُونَ المحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبلُوا لَهُم شَهَادَةً أبدًا أُولِئكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾(٢) فإذا لم يُقِم القاذف البينة على صحة ما قال فثلاثة أحكام :

أحدُها : أن يجلدَ ثمانين جلدة .

الثانى : أن تردَّ شهادته أبدا .

الثالث : أن يكونَ فاسقا ليس بعدلٍ لاعنَد الله ولاعند الناس .

وإذا كذب فى الدنيا وأمام الناس فماذا سيفعل يوم القيامة ؟

ذاتَ يوم جلس رسول الله ﷺ مع أصحابه فى ظلِ مسجده فضحكَ حتَّى بدتْ

---

(١) سورة النور : الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) سورة النور : الآية ٤ .

نواجذُهُ ثم تساءَل : أتدرون مِمَّ أضحكُ ؟

قال أصحابه : الله ورسوله أعلم .

قال النبى ﷺ : من مجادلة العبد لربه يقول : ياربّ ألم تجِرْنى من الظلم ؟ فيقولُ : بلَى . فيقولُ : لاأجيزُ علىَّ إلّا شاهِدًا من نفسى . فيقولُ الله — عز وجل — : كفَى بنفسكَ اليوم عليك شهيدًا ، وبالكرام عليكَ شُهودًا .

فيختمُ على فيه — فمه — ويقالُ لأركانِهِ انطِقى فتنطقُ بعمَلِهِ ثم يُخلَى بينَه وبينَ الكلامِ فيقولُ : بعدًا لَكُنَّ وسُحقاً فَعَنكُنَّ كنتُ أناضِلُ .

﴿يَومَ تشهدُ عليهِمْ ألسِنَتهُمْ وأيدِيهِمْ وأرْجُلُهمْ بما كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١) .

قال رسول الله ﷺ : «إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فيجحد ويخاصم ، فيقال : هؤلاء جيرانُك يشهدون عليكَ فيقول : كذَبوا فيقول : أهلُك وعشيرتُك فيقول : كذبوا . فيقال : احلفُوا فيحلفُون ثم يصمهم الله فتشهدُ عليهم أيديهم ، وألسنتُهم ثم يدخلهم النار» .

والقذف أن يقول الرجل لامرأة أجنبيةٍ حرة عفيفة مسلمة : يازانية ، أو ياباغية ، أو ياقحبة .

أو يقول لِزَوْجِ هذه المرأة العفيفة المسلمة : يازوج القحبة .

أو يقول لولد هذه المرأة : يا ولد الزانية أو يا ابن القحبة .

أو يقول لبنتها : يا بنت الزانية أو يا بنت القحبة .

فالقحبة عبارة عن الزانية . فإذا قال ذلك أحدٌ من رجل أو امرأة لرجلٍ أو لامرأةٍ كمن قال لرجل : يا زانى .

أو قال لصبى حر : يا علق أو يا منكوح .

وجب عليه الحد ثمانون جلدة إلا أن يقوم بينةً على ذلك ، والبينة كما قال الله — عز وجل — : «أربعةُ شهداء يشهدوَن على صدقه فيما قذفَ به تلك المرأة أو ذاكَ الرِجل» .

(١) سورة النور الآية : ٢٤ .

فإن لم يُقم بينةً جلد إذا طالبه بذلك الذى قذفه ، وكذلك إذا طالبته بذلك التى قذفها وكذلك إذا قذف مملوكه أو جاريته بأن قال لمملوكه : يازانى .

أو لجاريته : يا زانية أو يا باغية أو يا قحبة .

فقال قال رسول الله ﷺ : «من قذف مملوكه بالزنا أقيلم عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال» .

أختى المسلمة ..

كثير من الجهال واقعون فى هذا الكلام الفاحش الذى عليهم فيه العقوبةُ فى الدنيا والآخرة .. ولقد ثبت فى الصحيحيْن عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل ــ يهوى ــ بها فى النارِ أبعدَ مما بينَ المشرقِ والمغرب .

فقال معاذُ بنُ جبل : يارسول الله ، وإنا لمؤاخذُون بما نتكلمُ ؟

فقال النبى ﷺ : «ثكلتك ــ فقدتكَ ولا يقصدُ معناه وإنما يجرى على لسانهم عفوا ــ أمُّك يامعاذُ ، وهل يُكَبُّ الناسَ فى النارِ على وجوههمْ إلا حصادُ ألسنتهم » ؟

وفى الحديث ــ إكرام الضيف ، والنهى عن أذى الجار ــ يقولُ رسول الله ﷺ : «منْ كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليقلْ خيراً أو ليصمت» .

وقال الله تعالى : ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قولٍ إلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدُ﴾[1] .

وسأل عقبة بن عامر رسول الله ﷺ : يا رسول الله ما النجاة ؟

قال النبى ﷺ : «أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك ، وإن أبعد الناس إلى الله القلبُ القاسِى» .

ويقول ﷺ : «إن أبغض الناس إلى الله الفاحشُ البذى ــ بذىء اللسانِ والمرأة بذيةُ اللسانِ ــ الَّذِى يتكلم بالفحشِ وردىء الكلام» .

ويحذِّرُنا ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الفحش فيقول : «إيَّاكُمْ والفحشَ فإن

---

(١) سورة ق : الآية ١٨ .

الله لا يحبُّ الفحشَ ولا التفحشَ » .

ويقول أيضا : « الجنةُ حَرام على كلٍّ فاحشٍ أن يدخلَها » .

ويقول ﷺ في وصف المؤمن : « ليس المؤمنُ بالطعانِ ولا اللعانِ ولا الفاحشِ ولا البذيء » .

أختى المؤمنة ، وقانا الله وإياك شر ألستنا بمنه وكرمه إنه جواد كريم .

الوصيـة الرابعـة والعشـرون :

تحريـم الكبـر

ذم الله ـ تبارك وتعالى ـ الكبر فى مواضع كثيرة من كتابه ، وذم كل جبار متكبر فقال ـ سبحانه جلا وعلا ـ : ﴿سأصْرِفُ عَنْ آياتِى الَّذِينَ يَتَكبَّرُونَ في الأَرْضِ بغيْرِ الحقِّ﴾(١) سيمنع الله ـ عز وجل ـ فهم الحجج والأدلة على عظمته وشريعته وأحكامه قلوبُ المتكبرين عن طاعته ، ويتكبرون على الناس بغير حق كما استكبروا بغير حق .

وقال تعالى : ﴿كذلكَ يطبعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ متكبرٍ جبَّارٍ﴾(٢) وقال تعالى : ﴿إنهُ لا يحبُّ المسْتكبرِينَ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿إنَّ الَّذِينَ يَستَكبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٤) .

وإذا كان القرآن قد ذم الكبر فإن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقالُ حبةٍ من خردَلٍ من كبرٍ ، ولا يدخل النارَ من كانَ فى قلبه مثقالُ حبةٍ من خردلٍ من إيمان » .

وقال النبى ﷺ : « يقول الله تعالى : الكبرياءُ ردائى ، والعظمةُ إزارى ، فمن نازعنى واحدًا منهما ألقيتُه فى جهنم ولا أبالِى » .

والتقى عبدُ الله بن عمرٍ وبن العاص وابنُ عمر على جبل الصفا فتواقفا .. فمضَى ابنُ عمرٍو وأقامَ عبد الله بن عمر يبكى فقيل له : ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن ؟

قال ابن عمر : قال هذا ـ يعنى ابن عمرو بن العاص ـ زعمَ أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول : « من كان فى قلبه مثقالُ حبةٍ من خردلٍ من كبرٍ أكبه اللهُ فى النار على وجهه » .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٤٦ .
(٢) سورة غافر : الآية ٣٥ .
(٣) سورة النحل : الآية ٢٣ .
(٤) سورة غافر : الآية ٦٠ .

وقال الهادى البشير ﷺ : «لا يزالُ الرجلُ يذهْب بنفسه ــ يرتقع ويتكبر ــ حتى يكتب فى الجبارين ، فيصيبه ما أصابهم من العذاب» .

وقال سليمان بن داود ــ عليهما السلام ــ يومًا للطير والإنس والجن والبهائم : اخرجوا .

فخرجوا نحو مائتى ألف من الإنس ومائتى ألِف من الجنّ . فرفع حتى سمع زجل الملائكةِ بالتسبيحِ فى السموات ثم خفض حتى مسَّت قَدَماه البحرَ فسمع صوتا يقول : لو كانَ فى قلبِ صاحبكم مثقالُ ذرةٍ من كبرٍ لخسفتُ به أبعدَ مما رفعته .

وقال رسول الله ﷺ : «لا يدخلُ الجنةَ بَخِيلٌ ولا جبارٌ ولا سيىءُ الملكة» .

وقيل لرسول الله ﷺ : ما أعظم كبر فلان .

قال رسول الله ﷺ : أليس بعده الموت ؟

وقال النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ : «تحاجَّت الجنةُ والنارُ فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين . وقالت الجنة : مَالِى لَا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقاطُهم وعجَزتُهم ؟ فقال الله للجنة : إنما أنتَ رحمتى أرحمُ بِك من أشاءُ من عبادى ، وقال للنار : إنما أنتِ عذابِي أعذِّب بكِ من أشاءُ ولكلٍّ واحدةٍ منكما ملؤُها» .

لَماَ حضرتْ نوحٌ ــ عليه السَّلام ــ الوفاةُ دعا ابنيه وقال : إنى آمركما باثنتين ، وأنهاكما عن اثنتين ، أنهاكما عن الشركِ والكبرِ ، وآمركما بلا إله إلا الله فإنَّ السموات والأرضينَ وما فيهنَّ لو وضعتْ فى كفة الميزانِ ، ووضعت لا إله إلا الله فى الكفة الأخرى كانت أرجح منهما ، ولو أن السمواتِ والأرضينَ وما فيهنَّ كانتا حلقةً فوضعت لا إله إلا الله عليها لقصمتهما ، وآمركما بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شىء وبها يرزق كل شىء .

وقال عيسى بن مريم ــ عليه السلام ــ : طوبى لمن علمه الله كتابَه ثم لم يمت جبارا .

وقال رسول الله ﷺ : «ثلاثةُ لا يكلمهم ــ تكليمُ أهلِ الخير بإظهارِ الرضا بل

كلامُ أهلِ السخط ــ الله يومَ القيامة ولا يزكّيهمْ ــ لا يقبلُ أعمالهم فيثنى عليهم أولاً يطهرهم من الذنوب ــ ولا ينظرُ إليهم ــ نظر رَحمةٍ ــ ولهمْ عذابٌ أليمٌ : شيخٌ ــ طاعنٌ فى السنِّ ــ زانٍ ، وملك كذاب ، وعائلٌ ــ فقيرٌ لا مال له ويستكبرُ ــ مستكبرُ .

وقال رسول الله ﷺ : «اللهمَّ إنى أعوذُ بك من نفخة الكبرياء» .

وقال ﷺ : «من فارقَ روحُه جسدَه وهو برىءٌ من ثلاثٍ دخلَ الجنة : الكبرُ والدَّيْنُ ، والغلُولُ» .

أختــى المسلمــة ...

لقد ذم رسول الله ﷺ الكبرَ وسار أصحابه على درْبه .. يقولُ أبو بكر الصديقُ : لا يحقرنَّ أحدٌ أحَدًا من المسلمين فإن صغيرَ المسلمينَ عندَ الله كبيرٌ .

وقال أمير المؤمنين عليٌّ بن أبى طالب : ما بالُ ابنِ آدم والكبر : تقتلُه شرقَة ، وتنتنه عرقة ، وتؤلمه بقّة .

وقال وهب : لما خلق الله جنة عدنٍ نظر إليها فقالَ : أنت حرامٌ على كل متكبر .

وكانَ الأحنفُ بن قيسٍ يجلسُ مع مصعبِ بن الزبيرِ على سريره ، فجاء يوما ومصعبٌ مادٌّ رجليه فلمْ يقبضهمَا وقعد الأحنفُ بن قيسٍ فزحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك على وجهِه فقال : عَجَباً لابن آدمَ يتكبرُ وقد خرَج من مجْرَى البولِ مرتين .

وقال الحسنُ : العجبُ من ابن آدم يغسلُ الخرءَ بيده كلَّ يومٍ مرة أو مرتين ، ثم يعارضُ جبارَ السَّمواتِ .

وقال النعمانُ بن بشير ــ على المنبر : إن للشيْطانِ مصالى وفخوخاً ، وإن من مصالى الشيطان وفخوخه البطرُ بأنعمِ الله والفخرُ بإعطاءِ الله والكبرُ على عباد الله واتباعُ الهَوى فى غير ذاتِ الله .

وقد ذم النبى ﷺ الاختيال وَإظهارآثار الكبرِ فى المشى وجر الثوب فقال : بينما رجلٌ يمشى فى حُلةٍ ــ ثوب له ظهارة وبطانة ــ تُعجبُه نفسُه مُرَجِّلٌ ــ مسرح شعره

تسريحا — رأسه يختالُ فى مشيته إذ خسفَ الله به فهو يتجلجلُ فى الأرض — يغوصُ وينزلُ — إلى يوم القيامة .

وقال النبى ﷺ : «لا ينظرُ الله يومَ القيامةِ إلى من جَرَّ إزاره بطرا» .

وبصق رسول الله ﷺ يومًا على كفه ووضع أصبعه عليه وقال : يقولُ الله — تعالى — : ابن آدمَ أتعجزُنى وقد خلقتُكَ من مثل هذه ؟ حتَّى إذا سويتُك وعدلتُك مشيتَ بين بردينِ وللأرض منك وئيدٌ ، جمعتَ ومنعتَ ، حتى إذا بلغتِ التراقى قلتَ أتَصدَّق ؟ وأنىَّ أوَانُ الصَّدقةِ .

وقال الصادق الصدوق ﷺ : «من تعظم فى نفسه واختال فى مشيته لقى الله وهو عليه غضبانُ» .

وبينما كان أبو بكر الهزلى جَالِساً مرَّ عليهم ابن الأهتم يريد المقصورة وعليه جبابُ خزٍّ قد نضِّدَ بعضُها فوق بعضٍ على ساقه ، وانفرج عنها قباؤه ، وهو يمشى يتبخترُ إذْ نظر إليه الحسنُ نظرة فقال : أفٍّ .. أف ، شامخ بأنفه ، ثانى عطفه ، مصعر خده ، ينظر فى عطفيه ، أى حميق أنت ، تنظر فى عطفيك فى نعم غير مشكورة ولا مذكورة ، غير المأخوذ بأمر الله فيها ، ولا المؤدى حق الله منها . والله أن يمشى أحد طبيعته يتخلج تخلج المجنون فى كل عضو من أعضائه لله نعمةٌ وللشيطان به لفته .

فسمع ابن الأهتم قول الحسن فرجع يعتذرُ إليه فقال الحسن : لا تعتذرْ وتبْ إلى ربك ، أما سمعتَ قول الله — تعالى — : ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرحًا إنَّكَ لَن تخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغ الجبالَ طولاً﴾ (١)

ورأى مطرفُ بن عبد الله بن الشخير المهلب وهو يتبختر فى جبة خزٍّ فقال له : ياعبد الله .. هذه مشية يبغضُها الله ورسوله .

فتساءل المهلب : أما تعرفنى ؟

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٣٧ .

قال مطرف بن عبد الله : بلى أعرفك أوَّلُكَ نطفةٌ مذرة وآخرك جيفة قذرة ، وأنت بين ذلك تحمل العذرة .

فمضى المهلب وترك مشيته المختالة تلك .

نسأل الله ــ تعالى ــ العفو والعافية فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه .

الوصيـة الخامسـة والعشـرون :

إيــاك والتبــرج

التبرج : هو إظهار الجمال وإبراز محاسن الوجه ومفاتن الجسم .

يقول الإمام البخارى : التبرج أن تخرج المرأة محاسنها .

فالتبرج تكلف إظهار ما يجب إخفاؤه ، والذى يخرج المرأة المسلمة عن حد التبرج ــ خروجُ المرأة من الحشمة وإظهار مفاتنها وإبراز محاسنها .

وقد نهى العلىُّ الحكيم عن التبرج فى محكم كتابه فقال ــ تعالى ــ : ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾(1) فقد كانت المرأة تخرج تمشى بين يدى الرجال ، فذلك تبرجُ الجاهلية ، أو إذا خرجن من بيوتهنَّ وكانت لهنَّ مشية وتكسر وتغنج ، أو أن المرأة تلقى الخمار على رأسها ولا تشده فيوارى قلادتها وطرفها وعنقها ، ويبدو ذلك كله منها .

وإذا كان الحياء أثمنَ زينة المرأة وأبرز عنوانٍ للحياء هو غضُّ البصرِ ، لذلك قال ــ تبارك وتعالى ــ : ﴿وقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أبصَارِهِنَّ﴾(2) حتى لو كانت المرأة عجوزا لا رغبة لها ولا رغبة فيها .

كذلك عدم الاختلاط بالرجال اختلاط تلاصق وتماس ، كما يحدث فى دور السينما وقاعات المحاضرات ، وسيارات النقل ، ونحو ذلك فى هذه الأيام .. يقول الصادق الصدوق ﷺ : «لأن يُطعنَ فى رأسِ أحدكم بمخيطٍ من حديدٍ خيرٌ له من أن يمسَّ امرأةً لا تحل له» .

وإذا كان ما يميز الإنسان عن الحيوانِ اتخاذ الملابسِ وأدواتِ الزينةِ ، يقول ــ عز

---

(1) سورة الأحزاب : الآية ٣٣ .

(2) سورة النور : الآية ٣١ .

وجل ــ : ﴿يَابَنِي آدمَ قَدْ أنزَلْنا عَلَيْكمْ لبَاسًا يُوارِى سَوْآتِكمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقوىَ ذَلِكَ خَيرٌ﴾[1] .

فالملابس والزينةُ هما مظهران من مظاهر المدنية والحضاره ، والتجرد عنهما إنما هو ردة إلى حياة الغابة والحيوانية ، وعودة إلى الحياة البدائية .

والملابس من لوازم الإنسان الراق ، وبالنسبة للمرأة ألزم ، فهو يحفظُ عليها دينها وشرَفَها وكرامتَها ، وعفافها وحياءَها فإن أعزما تملكه المرأة الشرفُ والحياء والعفاف . والمحافظة على هذه الفضائل محافظةً على إنسانية المرأة فى أسمى صورها .

يقول ــ تبارك وتعالى ــ : ﴿ياأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزواجِكَ وبنَاتِكَ ونِسَاءِ المُؤمِنينَ يُدْنينَ عَلَيهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعرَفْنَ فَلاَيُؤْذَيْنَ﴾[2] وتوجيه الخطاب إلى النبى ﷺ وبناته ونساء المؤمنين دليلٌ على أن جميع النساء مطالبات بتنفيذ هذا الأمر دون استثناء واحدة منهن مهما بلغت من الطهر ، فهل هناك أطهرُ من نساء النبى ﷺ وبناته ؟

وقد اهتم نبى الإسلام ﷺ بهذه القضية فحددَ السنَّ التى تبدأ بها المرأة فى الاحتشام .

قال رسول الله ﷺ : « ياأسماءُ ، إن المرأة إذا بلغت المحيضَ لم يصلحْ لها أن يُرى منها إلا هذَا وهذَا» .

وأشار إلى وجهه وكفيه .

فالمرأة فتنة ليس أضر على الرجال منها .. قال ﷺ : «إن المرأة إذا أقبلت أقبلت ومعها الشيطان . وإذا أدبرت أدبرت ومعها الشيطان» .

وتجرد المرأة من ملابسها وإبداء زينتها ومفاتنها يسلبها أخص خصائصها من الحياء والشرف ، ويهبط بها عن مستواها الإنسانى .. ولا يطهرها مماالتصق بها من رجس وإثم

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٢٦ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٥٩ .

سوى نار جهنم . قال أبو القاسم ﷺ : «صنفان من أهل النار لم أرهما : رجالٌ بأيديهم سياطٌ كأذناب البقر ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مميلاتٌ لا يدخلنَ الجنة ولا يجدْنَ ريحَها وإن ريحها ليشمُّ من مسافَة كذَا وكذا» .

ما هى الأوصافُ الّتِي يجبُ أنْ يكون عليها اللباس الشرعى ؟

أن يغطى جميع الجسد ماعدا الوجه والكفين .

ألا يشف ويصف ما تحته ــ كاسيات عاريات ــ فقد دخلت نسوة من بنى تميم على أم المؤمنين عائشة وعليهن ثياب رقاق فقال عائشة : إن كنتن مؤمنات فليس هذا بثياب المؤمنات .

ودخلت على أم المؤمنين عائشة امرأةٌ عروسٌ عليها خمارٌ رقيقٌ شفافٌ فقالت عائشة : لم تؤمنْ بسورة النور امرأة تلبسُ هذا .

ألّا تبرز الثيابُ مفاتن الجسم وتحدد أجزاءه فهذه أشدُّ إغراء وفتنةً من الثياب الرقيقة الشفافة .

ألا يكون مما يختصُّ بلبسه الرجالُ كالبنطلونِ فى عصرنا ، فقدَ لعن النبى ﷺ المتشبهات من النساء بالرجال ، كما لعن المتشبهين من الرجال بالنساء ، ونهى المرأة أن تلبس ما يلبسه الرجال والرجل أن يلبس لبسة المرأة .

ألّا يكون لباسا اختصَّ بلبسه الكافراتُ من اليهوديات والنصرانياتِ والوثنياتِ على قصد التشبه بهن فقد قال الصادق الصدوق ﷺ : «من تشبه بقوم فهو منهم» .

أما عن مشية المرأة المؤمنة فيجب أن تلتزم الوقارَ والاستقامة فى مشيتها وفى حديثها وتتجنبَ الإثارة فى سائر حركات جسمها ، ووجهها فإن التكسر والميوعة من شأن الفاجرات لا من خلق المسلمات .. يقول ــ تبارك وتعالى ــ : ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾(١) .

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٣٢ .

ألا تتعمد المرأة جذب انتباه الرجال إلى ما خفى من زينتها بالعطور أو الرنين أو نحو ذلك قال الله ــ تعالى ــ : ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[1] تضرب برجلها ليسمع قَعْقَعَةَ خلخالها .

بينما كانو رسولُ الله ﷺ جالسًا فى المسجد دخلت امرأة من مزينة ترفُل ــ تمشى فى خيلاء ــ فى زينة لها فى المسجدِ فقال رسول الله ﷺ : «يا أيها الناس : انْهوا ــ امنعوهُن وحذروهن ــ نساءكم عن لبس الزينة والتبخترِ فى المسجدِ فإن بنى إسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبختروا فى المسجد .

قال رسول الله ﷺ : «الرافلة فى الزينة فى غير أهلها كمثل ظلمةٍ يومَ القيامة لا نورَ لها» .

لقد نهى رسول الله ﷺ النساء عن المشى فى وسط الطريقِ لما فيه من التبرجِ وقال : «استأخرْن فإنهُ ليس لكنَّ أن تحتضنَّ الطريقَ عليكنَّ بحافاتِ الطريق» .

فكانت المرأة تلصقُ بالجدار حتَّى أن ثوبها ليتعلقُ بالجدار من لصوقها به .

ومرت امرأة بأبى هريرة وريحُها تعصف ــ يشتد طيبُه ــ فقال لها : أين تريدين ــ إلى أى مكان تذهبين ــ ياأمة الجبار ؟

قالت المرأة : إلى المسجد .

فسألها أبو هريرة : وتطيبت ــ وضعت طيبا ــ ؟

قالت المرأة : نعم .

فأشار أبو هريرة بيده وقال : فارجعى واغتسلى ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا يقبلُ الله صلاة من امرأةٍ خرجت إلى المسجدِ وريحُها تعصفُ حتَّى ترجع فتغتسلَ» .

كانت امرأة من المتبرجاتِ فى الدنيا ، وكانت لا تخرجُ من بيتها إلا متبرجةً فماتت فرآها بعضُ أَهْلِهَا فى المنام وقد عُرضت على الله ــ عزَّ وجلَّ ــ فى ثيابٍ رقاقٍ فهبت

(١) سورة النور : الآية ٣١ .

الوصيـــة السادســـة والعشـــرون :

احـــذرى الغيبـــة

سأل رجل رسول الله ﷺ : ما الغيبة ؟

فقال النبى ﷺ : «أن تذكر من المرءَ ما يكره أن يسمع» .

فتساءل الرجل : وإن كان حقا ؟

قال رسول الله ﷺ : «إذا قلتَ باطلا فذلكَ البهتانُ» .

ويقولُ تباركَ — وتعالى — : ﴿وَلا يَغْتَب بَّعضُكم بعضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أنْ يأكُلَ لَحْمَ أخِيهِ مَيْتًا فكرِهْتُمُوه واتَّقوا الله إنَّ الله توابٌ رَّحِيمٌ﴾[1] لقد نهى الله — عز وجل — عن الغيبة ، وشبهها — تبارك وتعالى — بأكل اللحم من الإنسان الميت .

ويقول رسول الله ﷺ : «كلُ المسلم على المسلم حرامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وعِرْضُهُ» .

والغيبَةُ تتناول العرض ، وقد جمع الله تعالى — بينه وبين المال والدم .

وقال أبو القاسم ﷺ : «لا تحَاسدوا ولا تباغَضوا ولا تفاحشُوا ولا تدابَرُوا ولا يغتبْ بعضُكم بعضًا ، وكُونوا عبادَ الله إخوَانا» .

لما تزوج رسول الله ﷺ صفيةَ بنتَ حييِّ بن أخطبَ سأل النبيُّ ﷺ عائشة : كيف رأيت عائشة ؟

فقالت وقد أخذتها الغيرة :

رأيت يهودية .

فقال النبى ﷺ : «لا تقولى ذلك فإنها أسلمت وحسن إسلامها» .

فقال عائشة : حسبك من صفية .

---

(١) سورة الحجرات : الآية ١٢ .

الريحُ فكشفتها فأعرضَ الله عنها وقال : « خُذُوا بهِا إلى الشّمال إلى النارِ فإنها كانتْ من المتبرجاتِ فى الدنيا » .

قال أبو هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه » .

إن وضع مساحيق التجمل على الوجه والأصباغ مبعثُ إثارة شهوةَ فى نفس رجل يرَاهَا فكيف تقبل المرأة العفيفة عرض جمالِها فى السوقِ سلعةً رخيصةً تتداولها الأعين الوقحة ؟

لقد سمع أمير المؤمنين عمر رجلا يقول :

إن النساء شياطين خلقَن لنا فنعوذُ بالله من شـر الشياطيـن .

فرد عليه الفاروق قائلا :

إن النساء رياحينٌ خلقن لنَـا وكلنا يشـتهِى شـمَّ الرياحيـنِ

ولقد دعا نبى الله داود ــ عليه السلام ــ ربه فقال : اللهم إنى أسألك أربعا وأعوذ بك من أربع : أسألك : لسانا صادقاً ، وقلبًا خاشعا ، وبدنًا صابرًا ، وزوجة تعيننى على أمر دنياى وأمر آخرتى . وأعوذُ بك : من ولدٍ يكوُن علىَّ سيدًا ومن زوجة تشيبُنِي قبل وقت المشيب ، ومن مال يكون مشبعة لغيرى بعد موتى ، ويكون حسابَه فى قبرِى ، ومن جار سوء إن رأى حسنة كتمها ، وإن رأى سيئة أذاعها وأفشاها .

أختى المسلمة أسألُ السميع المجيبَ أن يتقبلَ منا جميعًا دعاءً نبيه داود ــ عليه السلام ــ .. آمين .. آمين .

وقامت لتخرج فأشارت بيدها إلى رسول الله ﷺ أى : أنها قصيرة . فقال رسول الله ﷺ : اغتبتيها .

ثم قال ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ : «لقد قُلْتِ كَلِمَةً لو مزجت بماءِ البحر لمزجته» ـــ خلطته وعكرته ـــ

وخطب رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق فى بيوتها فقال : «يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لاتغتابوا المسلمين ولاتتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه فى بيته . ـــ يفضحه ولو فى جوف رحله» ـــ

وقال ﷺ : «لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت : مَنْ هؤلاء ياجبريلُ ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحومَ الناسِ ويقعون فى أعراضهم» .

وأوحى الله إلى نبيه موسى ـــ عليه السلام ـــ : من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة .

وقد حذر رسول الله ﷺ أصحابه فقال : «إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا فإن الرجل يزنى فيتوب الله ـــ سبحانه ـــ عليه وإن صاحب الغِيبَة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه» .

وأمر رسول الله ﷺ بصوم يوم فقال : «لا يفطرن أحد حتى آذن له» .

فصام الناس حتى أمسوا فكان الرجل يأتى فيسلم ويقول : يارسول الله ظللت صائما فائذن لى لأفطر فيأذن له .

وجاء رجل فقال : يارسول الله فتاتان من أهلك ظلتا صائمتين وإنهما يستحيان أن يأتياك فائذن لهما يفطرا .

فأعرض عنه رسول الله ﷺ .. ثم عاوده الرجل فأعرض عنه النبى ﷺ .. ثم عاوده فقال أبو القاسم ﷺ : إنهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره يأكل لحم الناس ؟ اذهب فمرهما إن كانتا صائميتين أن تسقيئا . فرجع الرجل إلى الفتاتين فأخبرهما

فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم . فرجع الرجل إلى النبى ﷺ فأخبره فقال : «والذى نفسى بيده لو بقيتا فى بطونهما لأكلتهما النار» .

ثم قال : لقد صامتا عما أحل لهما وأفطرتا على ما حرمّ الله عليهما جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس .

ومر رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه على قبرين فقال : إنهما ــ صاحباهما ــ يعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان يغتاب الناس ، وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله .

ودعا بجريدة رطبة أو جريدتين فكسرهما ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبر وقال : أما إنه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين ــ أو ما لم ييبسا ــ

يقول رسول الله ﷺ : إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ــ يفكر أنها خير أم لا ــ فيها يزل ــ بسببها إلى جهنم جزاء ــ بها إلى النار أبعد مما بين المشرق ــ بعيدة المنتهى جزاء ــ والمغرب .

وسأل أبو موسى الأشعرى رسول الله ﷺ : يارسول الله،أى المسلمين أفضل ــ أكثر ثوابا وأعلى مقاما ــ ؟

قال النبى ﷺ : «من سلم المسلمون من لسانه ويده» ــ لم يؤذ أحدا بلسانه قولا ولا بيده فعلا ــ

وسأل معاذ بن جبل رسول الله ﷺ.: يارسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار ؟

قال الصادق المصدوق ﷺ : «لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله ــ تعالى ــ عليه : تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا» .

ثم قال ﷺ : «ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ــ وقاية وستر من النار ــ والصدقة تطفىء الخطيئة ــ أثرها ــ كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل من جوف

الليل .. ثم تلا قوله ــ تعالى ــ : ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1] .

ثم قال ﷺ : «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروته ؟»

قال معاذ بن جبل : بلى يارسول الله .

قال أبو القاسم ﷺ : «رأس الأمر الإسلام،وعموده الصلاة،وذروة سنامه الجهاد» .

ثم تساءل ﷺ : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟

قال معاذ بن جبل : بلى يانبى الله .

قال الهادى البشير ﷺ وهو يأخذ بلسانه : كف عليك هذا .

قال معاذ بن جبل : يارسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟

قال رسول الله ﷺ : ثكلتك أُمُّكَ ــ فقدتك أو تسأل وأنت أعلم الناس بالحلال والحرام يامعاذ ؟ ــ وهل يكب الناس ــ يقلبهم ــ فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ــ

ولما رجم رسول الله ﷺ مَا عِزًا للزنا قال رجل لصاحبه : هذا أقعص كما يقعص الكلب .

فمر رسول الله ﷺ وهما معه بجيفه فقال لهما : انهشا منه .

فقالا : يارسول الله ننهش جيفة ؟

فقال الصادق الصدوق ﷺ : «ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه» .

ومر عيسى بن مريم ــ عليه السلام ــ ومعه الحواريون بجيفة كلب فقال الحواريون : ما أنتن ريح هذا الكلب .

فقال المسيح عيسى بن مريم : ما أشد بياض أسنانه .

إن رائحة جيفة الكلب نتنة لكن أسنانه بيضاء لأنه لا يأكل لحم أخيه ميتا بالغيبة ...

---

(١) سورة السجدة : الآية ١٦ .

وذات يوم كان رسول الله ﷺ جالسا مع أصحابه فارتفعت ريح منتنة فقال النبى ﷺ : أتدرون ما هذه الريح ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال رسول الله ﷺ : «هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين» .

وقال رسول الله ﷺ : «أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى ، يسعون ما بين الحميم والجحيم ، يدعون بالويل والثبور يقول بعض أهل النار لبعض : ما بالُ هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى ؟ فرجل معلق عليه تابوت من جمر ، ورجل يجر أمعاءه ورجل يسيل فوه قيحًا ودما ، ورجل يأكل لحمه ، فيقال لصاحب التابوت : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : إن الأبعد قد مات وفى عنقه أموال الناس ، ثم يقال للذى يجر أمعاءه : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول : إن الأبعد كان لا يبالى أين أصاب البول منه ؟ ثم يقال للذى يسيل فوه قيحا ودما : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : إن الأبعد كان ينظر إلى كلمة فيستلذها الرفث ــ الفحش ــ ، ثم يقال للذى يأكل لحمه : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة ويمشى بالنميمة» .

ويقول رسول الله ﷺ : «من أكل لحم أخيه فى الدنيا قرب إليه يوم القيامة فيقال له : كلّه ميتا كما أكلته حيا فيأكله ويكلح» ــ يعبس ويقبض وجهه من الكراهة ــ ويضج ــ يفزع ويقلق ــ

وسألت أسماء بنت يزيد رسول الله ﷺ : يانبى الله ما جزاء من ذب ــ دفع ــ عن عرض أخيه ؟

قال رسول الله ﷺ : «من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار» .

وقال ﷺ : «من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة» .

يقول ابن عباس : إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك .

ويقول عبد الرحمن بن صخر ــ أبو هريرة ــ : يبصر أحدكم القذى فى عين أخيه ولا يبصر الجذع فى عين نفسه .

وقال عمر بن الخطاب : عليكم بذكر الله ــ تعالى ــ فإنه شفاء وإياكم وذكر الناس فإنه داء .

ويقول الحسن : ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك ، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه منك ، فإذا فعلت ذلك كان شغلك فى خاصة نفسك ، وأحب العباد إلى الله من كان هكذا .

جلس رجلان عند باب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذلك فقال الرجلان : لقد بقى فيه منه شئ .

وأقيمت الصلاة فدخل الرجلان المسجد فصليا مع الناس فحاك فى أنفسهما ما قالا فأتيا عطاء بن رباح فسألاه : فأمرهما أن يعيدا الوضوء والصلاة وأمرهما أن يقضيا الصوم إن كانا صائمين .

وسئل مجاهد ــ تلميذ ابن عباس ــ عن قوله ــ تعالى ــ : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾(١) فقال : الهمزة : الطعان فى الناس واللمزة : الذى يأكل لحوم الناس .

وقال بعضهم : أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة فى الصوم ولا فى الصلاة ولكن فى الكف عن أعراض الناس .

أختـــى المسلمـــة ...

اعلمى أن ذكر أختك بما تكره لو بلغها سواء ذكرتها بنقص فى بدنها أو نسبها أو فى خلقها أو فى فعلها أو فى دينها أو فى دنياها حتى فى ثوبها ودارها فإنك أكلت لحمها بالغيبة .

الأعذار المرخصة فى الغيبة .

قد يباح الغيبة فى ستة أمور :

---

(١) سورة الهمزة : الآية ١ .

١ ـــ التظلم فإن من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا إن لم يكن مظلوما . أما المظلوم من جهة القاضى فله أن يتظلم إلى الحاكم وينسبه إلى الظلم إذ لا يمكنه استيفاء حقه إلا به . قال النبى ﷺ : «إن لصاحب الحق مقالا» .

وقال الهادى البشير ﷺ : «مَطْلُ الغنى ظلم» .

٢ ـــ الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصى إلى الصواب وإلى منهج الصلاح .. فلقد مر عمر بن الخطاب على ذى النورين ـــ عثمان بن عفان ـــ وقيل : طلحة بن عبيد الله ، فسلم عليه فلم يرد السلام فذهب إلى الخليفة الأول فذكر له ذلك فجاء أبو بكر ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عند أصحاب وتلاميذ رسول الله ﷺ .

٣ ـــ الاستفتاء كما يقول للمفتى : ظلمنى أبى أو زوجتى أو أخى فكيف طريقى فى الخلاص ؟ والأفضل أن نقول : ما قولك فى رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته ؟ ولكن التعيين مباح بهذا القدر ، فقد جاءت هند بنت عتبة وهى تبايع رسول الله ﷺ ـــ بيعة النساء ـــ بعد فتح مكة فقالت : إن أبا سفيان ـــ زوجها ـــ رجل شحيح ـــ بخيل ـــ لا يعطينى ما يكفينى أنا وولدى أفآخذ من غير علمه ؟

فقال رسول الله ﷺ : «خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف» ..

فذكرت البخل والظلم لها ولولدها ، ولم يزجرها النبى ﷺ إذ كان قصدها الاستفتاء .

٤ ـــ تحذير المسلم من الشر فإذا رأيت فقيها يتردد إلى مبتدع أو فاسق وخفت أن تنتقل إليه بدعته وفسقه فلك أن تكشف له بدعته وفسقه . وكذلك المستشار فى التزويج وإيداع الأمانة فى عنقه فعليه أن يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة .. قال رسول الله ﷺ : «أترعون عن ذكر الفاجر ، اهتكوه حتى يعرفه الناس ، اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس .

٥ ـــ أن يكون الإنسان معروفا بلقب يعرب عن عيبه كالأعرج والأعمش فلا إثم من يقول :

روى أبو الزناد عن الأعرج وسلمان الأعمش .. لذلك يقال للأعمى : البصير ، عدولا عن اسم النقص .

٦ ــ أن يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث والمجاهر بشرب الخمر .. يقول رسول الله ﷺ : «من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له» .

أختــى المسلمــة ..

احذرى الغيبة ولا تتبعى عورات المؤمنات حتى لا يتبع الله عوراتك .. والله نسأل حسن التوفيق لطاعته .

الوصية السابعة والعشرون :

إياك واليمين الغموس

اليمين الغموس هى التى تغمس صاحبها فى الإثم لأنها كاذبة فاجرة آثمة تغمسه فى النار .

يقول الله — تعالى — : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَة وَلَا يُكَلِّمُهُم الله وَلَا يَنظُرُ إليهِمْ يَوْمَ القِيَامة وَلَا يُزَكِّيهِم وَلَهمْ عَذَابٌ أليمٌ﴾[1] .

قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» .

فقال أبو ذر الغفارى : يارسول الله : من هم ؟

قال الهادى البشير ﷺ : «خسروا وخابوا» .

وأعاده رسول الله ﷺ ثلاث مرات .. قال : «المسبل — المسبل إزاره — والمنفق سلعته بالحلف الكاذب . والمنان» .

وجاء رجل من حضر موت ورجل من كندة إلى رسول الله ﷺ فقال الحضرمى : يارسول الله ، إن هذا قد غلبنى على أرض كانت لأبى .

فقال الكندى : هى أرضى فى يدى أزرعها ليس له فيها حق .

فقال رسول الله ﷺ للحضرمى : ألك بينة ؟

قال الحضرمى : لا .

(١) سورة آل عمران : الآية ٧٧ .

أختـــى المسلمـــة ..

احذرى اليمين الغموس ولو كانت هذه اليمين على شيء يسير .. يقول رسول الله ﷺ : «من اقتطع مال امرئ مسلم بيمين كاذبة كانت نكتة سوداء فى قلبه لا يغيرها شيء إلى يوم القيامة» .

فقال رسول الله ﷺ : فلك يمينه — يمين الكندى —

قال الحضرمى : يارسول الله ، إن الرجل فاجر لا يبالى على ما حلف عليه وليس يتورع عن شىء فقال النبى ﷺ : ليس لك إلا يمينه .

فانطلق الكندى ليحلف .. فقال رسول الله ﷺ لما أدبر — أولاه ظهره — : «لئن حلف على مال ليأكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض» .

وقال رسول الله ﷺ : «من حلف على مال امرىء مسلم بغير حقه لقى الله وهو عليه غضبان» .

وجاء أعرابى فسأل النبى ﷺ قائلا : يارسول الله ، ما الكبائر ؟

قال رسول الله ﷺ : «الإشراك بالله» .

فعاد الأعرابى يتساءل : ثم ماذا ؟

قال النبى ﷺ : «اليمين الغموس» .

قال الأعرابى : وما اليمين الغموس ؟

قال أبو القاسم ﷺ : «الذى يقتطع مال امرىء مسلم ، يعنى بيمين هو فيها كاذب» .

وقال ﷺ : «من اقتطع مال امرىء مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار» .

قيل : يارسول الله ، وإن كان شيئا يسيرا ؟

قال النبى ﷺ : «وإن كان سواكا — وإن كان قضيبا من أراك» (شجر يؤخذ منه السواك) —

وفى حجة الوداع بين الجمرتين بمنى وقف رسول الله ﷺ وقال : «من اقتطع مال أخيه بيمين فاجرة فليتبوأ مقعده من النار ، ليبلغ شاهدكم غائبكم» — قالها مرتين أو ثلاثا —

الوصيــة الثامــنة والعشــرون :

حــذار مــن الربــا

نهى الله — عز وجل — عن الربا فقال — تعالى — : ﴿ ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمنُوا لَاتَأْكُلُوا الرِّبا أضْعَافًا مُّضَاعَفَةً واتَّقُوا الله لعلّكم تُفْلحُونَ ﴾(١) نهى الله عباده المؤمنين عن تعاطى الربا وأكله أضعافا مضاعفة كما كانوا فى الجاهلية يقولون : إذا حل أجل الدين إما أن تقضى وإما أن تربى ، فإن قضاه وإلإزاده فى المدة وزاد الآخر فى القدر . وهكذا كل عام فربما تضاعف القليل حتى يصير كثيرا مضاعفا .

وقال — تبارك وتعالى — : ﴿ الَّذِينَ يأْكُلونَ الرِّبَا لا يقُومُونَ إلا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المسِّ ذَلِكَ بأنهُمْ قَالُوا إنَّمَا البَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وأحَلَّ اللهُ البَيْعَ وحَرَّم الرِّبا ﴾(٢) إن الذين يأكلون الربا وأموال الناس بالباطل لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له إن الربا لم يحرم لمجرد صورته ولفظه وإنما حرم لحقيقته ومعناه ومقصوده ، فالربا أخو القمار الذى يجعل المقمور سليبا حزينا محسورا .

يقول ابن عباس : آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا يختنق .

يقول رسول الله ﷺ : «أتيت ليلة أسرى بى على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات تجرى من خارج بطونهم فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا» .

وقال أبو القاسم ﷺ : «لما أسرى بى مررت بقوم بطونهم بين أيديهم كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم قد مالت بهم بطونهم منضدين على سابلة آل فرعون ، وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا فيقبلون مثل الإبل المنهزمة لا يسمعون ولا يعقلون فإذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فلا يستطيعون أن يبرحوا

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٣٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٧٥ .

حتى يغشاهم آل فرعون فيردونهم مقبلين مدبرين . فذلك عذابهم فى البرزخ بين الدنيا والآخرة . قال رسول الله ﷺ : فقلت ياجبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس .

وخطب رسول الله ﷺ فذكر الربا فقال : «إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله فى الخطيئة من ثلاثين زنية يزنيها الرجل ، وأربى الربا عرض المسلم» .

إن الربا من الموبقات ــ المهلكات ــ قال النبى ﷺ : «اجتنبوا السبع الموبقات» .

قال أصحابه ﷺ : وما هن يارسول الله ؟

قال أبو القاسم ﷺ : «الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» .

فالربا هو الزيادة ومنه قوله ــ تعالى ــ : ﴿اهْتَزَّتْ وربَتْ﴾[1] ويطلق الربا ــ أيضا ــ على كل بيع محرم وقد أجمعت الأمة على تحريمه .

يقول النبى ﷺ : «رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخرجانى إلى أرض مقدسة فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذى فى النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فرده حيث كان ، فجعل كلما جاء ليخرج رمى فى فيه بحجر فيرجع كما كان ، فقلت : ما هذا الذى رأيته فى النهر ؟ قال : آكل الربا» .

وقال ﷺ : «الكبائر سبع : أولهم الإشراك بالله ، وقتل النفس بغير حقها ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، وفرار يوم الزحف ، وقذف المحصنات ، والانتقال إلى الأعراب بعد هجرته» .

وقال الصادق الصدوق ﷺ : «أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن الخمر ، وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لوالديه» .

---

(١) سورة الحج الآية ٥ ، فصلت : الآية ٣٩ .

أختـــى المسلمــة ...

انظرى وتأملى فداحة إثم آكل الربا فى قول النبى ﷺ : « الربا ثلاث وسبعون بابا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه » .

وقال ﷺ : « الربا بضع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك » .

وقال الهادى البشير ﷺ : « ما ظهر فى قوم الزنا والربا إلا أحلوا بأنفسهم عذاب الله » .

وقال ﷺ : « ما من قوم يظهر فيهم الربا إلا أخذوا بالسَّنَةِ ـــ العام القحط سواء نزل فيه مطر أو لم ينزل ـــ وما من قوم يظهر فيهم الرشا ألا أخذوا بالرعب » .

وقال أبو القاسم ﷺ : « ما أحدُ أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة » .

وحذر رسول الله ﷺ وكأنه اطلع بعين الغيب لما يحدث فى عصرنا اليوم .. فقال ﷺ : « ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا فمن لم يأكله أصابه غباره » .

وقال ﷺ : « والذى نفسى بيده ليبيتن أناس من أمتى على أشرٍ وبطرٍ ولهو فيصبحوا قردةً وخنازير باستحلالهم المحارم ، واتخاذهم القينات ـــ جمع قينة وهى المغنية ـــ وشربهم الخمر ، وبأكلهم الربا ، ولبسهم الحرير » .

ويقول ﷺ وكأنه يعيش معنا فى زمن الفيديو والتليفزيون و .. : « يبيت قوم من هذه الأمة على طعم وشرب ولهو ولعب فيصبحوا قد مسخوا قردة وخنازير ، وليصيبهم خسف وقذف حتى يصبح الناس فيقولون : خسف الليلة بنى فلان وخسف الليلة بدار فلان ، ولترسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل فيها وعلى دور ، ولترسلن عليهم الريح العقيم التى أهلكت عادا على قبائل فيها وعلى دور بشربهم الخمر ولبسهم الحرير ، وإتخاذهم القينات ، وأكلهم الربا ، وقطيعة الرحم » .

أختـى المسلمـة ..

لقد ورد أن أكلة الربا يحشرون فى صورة الكلاب والخنازير من أجل حيلتهم على الربا ــ تحليلها وإستعمال كلمات كالاستثمار وفائدة البنوك و .. ــ كما مسخ أصحاب السبت حين تحيلوا على إخراج الحيتان التى نهاهم الله عن اصطيادها يوم السبت فحفروا لها حياضا تقع فيها يوم السبت فيأخذونها يوم الأحد ، فلما فعلوا ذلك مسخهم الله قردة وخنازير . وهكذا الذين يتحيلون على الربا بأنواع الحيل لا تخفى على العليم القدير حيل المحتالين ﴿يُخَادِعُونَ الله والَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إلَّا أنفُسَهُمْ ومَا يَشْعُرُونَ﴾(١) .

قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : «لا ترتكبُوا ما ارتكبت اليهودُ واستحلوا محارم الله بأدنى الحيل» .

إن هذا المحرم عظيم فقد توعد الله ــ عز وجل ــ بمحاربته من لم ينته عنه .

ومن احتيال اليهود أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ لما حرَّم عليهم الشحوم تأولوا أن المراد نفس إدخاله الفم ، وأن الشحم هو الجامد دون المذاب ، فجملوه فباعوه وأكلوا ثمنه ، وقالوا : ما أكلنا اللحوم . ولم ينظروا فى أن الله ــ تعالى ــ إذا حرم الانتفاع بشىء فلا فرق بين الانتفاع بعينه أو بديله .

إن قتلة الأنبياء وعبدة الذهب هم أصحاب فكرة البنوك والفوائد ــ الربا ــ وأصحاب السبت وأصحاب الحيل ــ الشحوم و .. ــ لا يفقدون الوسيلة فى تغيير المسميات فوائد أرباح حوافز ، فالقاموس اللغوى كالبحر .. عندهم .

هل وضع المالُ فى البنوك حلال أم حرام ؟

إذا كان إيداع النقود فى البنك بلا فائدة خوفا عليها من السرقة فهذا جائز .. أما إيداع المال فى البنك بفائدة محددة فهذا حرام حرام حرام ، فما الفرق بين ذلك وبين أن

---

(١) سورة البقرة : الآية ٩ .

تقولى : يافلانة أعطينى مائة جنيه وسوف أردها إليك مائة وعشرين بعد سنة مثلا ؟ الحالتان حددت الفائدة فهى ربا ، أما القول استثمار وتشغيل أو إقامة مشروعات أو حوافز فهى حيل المحتالين ..

قال رسول الله ﷺ : «كل قرض جر نفعا فهو ربا» .

وقال ﷺ : «من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا» .

يقول أيوب بن أبى تميمة : يخادعون الله كما يخادعون صبيا ولو أتوا الأمر عيانا كان أهون عليهم .

أما إيداع المال فى بنك إسلامى لا يحدد الفائدة فهذا جائز لأن المالَ يتعرض للزيادة والنقصان ..

يقول أبو بكر الصديق محذرا من أكل الربا : الزائد والمستزيد فى النار ــ يعنى آخذ الربا والمعطى فيه سواء ــ

ويقول عبد الله بن مسعود : لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله .

وقال ابن مسعود أيضا : آكل الربا ، وموكله ، وشاهداه ، وكاتباه إذا علموا به ، والواشمة والمستوشمة ، ولاوى الصدقة ، والمرتد أعرابيا بعد الهجرة ملعونون على لسان محمد ﷺ .

وقال عبد الله بن مسعود .. أيضا : إذا كان لك على رجل دين فأهدى لك شيئا فلا تأخذه فإنه ربا .

ويقول الصحابى الجليل جابر بن عبد الله : لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء .

وقال ابن عباس : نهى رسول الله ﷺ أن تشترىَ الثمرة حتى تطعم ، وقال : إذا ظهر الزنا والربا فى قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله .

وقال كعب الأحبار : لأن أزنى ثلاثا وثلاثين زنية أحب إلى من أن آكل درهم ربا

يعلم الله أنى حين أكلته ربا .

ووقف عبدالله بن أبى أوفى فى السوق فقال بأعلى صوته : يا معشر الصيارفة أبشروا .

فقالوا فى فرح : بشرك الله بالجنة .. بم تبشرنا يا أبا محمد ؟

قال عبد الله بن أبى أوفى : قال رسول الله ﷺ : أبشروا بالنار .

وقال عون بن أبى جحيفة : لعن رسول الله ﷺ الواشمة والمستوشمة ، وآكل الربا ، وموكله ، ونهى عن ثمن الكلب ، وكسب البغى ، ولعن المصورين .

وقال الحسن البصرى : إذا كان لك على رجل دين فما أكلت من بيته فهو سحت .

أختـى المسلمـة ..

الحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّنٌ فاحذرى أكل الربا .. نسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة .

الوصيــة التاســعة والعشــرون :

التحذيـر من طلــب الزوجــة للطـلاق

الطلاق مأخوذ من الإطلاق وهو الإرسال والترك .

إن استقرار الحياة الزوجية غاية من الغايات التى يحرص عليها ديننا الحنيف ، وعقد الزواج إنما يعقد للدوام إلى أن تنتهى الحياة ليتسنى للزوجين أن يجعلا من بيتهما جنة ينعمان فى ظلالها الوارفة ، وليتمكنا من تربية وتنشئة أولادهما تنشئة صالحة . ومن أجل ذلك كانت الصلة بين الزوجين من أقدس الصلات وأوثقها ، ولذلك سمى العزيز الحكيم العهد بين الزوج وزوجته بالميثاق الغليظ فقال : ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾(١) ..

وإذا كانت العلاقة بين الزوجين موثقة مؤكدة فإنه لا ينبغى الإخلال بالميثاق ولا بالعلاقة الزوجية ولا التهاون من شأنها ، وكل أمر يضعف هذه الصلة ويوهن من شأنها فهو بغيض إلى الإسلام .

يقول رسول الله ﷺ : «أبغض الحلال إلى الله ــ عز وجل ــ الطلاق» .

وأى إنسان يريد أن يفسد ما بين زوج وزوجته من علاقة فهو فى نظر الإسلام خارج عنه وليس له شرف الانتساب إليه .. يقول أبو القاسم ﷺ : «ليس منا من خبب ــ أفسد ــ امرأة على زوجها» .

وقد يحدث أن بعض النسوة يحاول أن يستأثر بالزوج ويحل محل زوجته ، والإسلام ينهى عن ذلك أشد النهى .. يقول رسول الله ﷺ : «لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صفحتها ــ لتخلى عصمة أختها ولتحظى بزوجها ، ولها أن تتزوج زوجا آخر ــ ولتنكح فإن لها ما قدر لها» .

---

(١) سورة النساء : الآية ٢١ .

إن المرأة مأمورة بطاعة زوجها ، ويطلب رضاه ، وكذلك الزوج مأمور بالإحسان إليها واللطف بها ، والصبر على ما يبدو منها من سوء خلق وغيره .

أختـــى المؤمنـــة ...

إياك أن تتفاخرى على زوجك بجمالك ولا تزدرى زوجك لقبحه ..

ذهب الأصمعى إلى البادية فرأى امرأة من أحسن الناس وجها تحت رجل من أقبح الناس وجها فقال لها : ياهذه أترضين لنفسك أن تكونى تحت مثله ؟

قالت المرأة الجميلة :

ـــ ياهذا اسكت فقد أسأت فى قولك لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلنى ثوابه ، أو لعلى أسأت فيما بينى وبين خالقى فجعله عقوبتى ، أفلا أرضى بما رضى الله لى ؟

قال الأصمعى : فأسكتتنى .

قال رسول الله ﷺ : «خيركم خيركم لأهله» ـــ خيركم ألطفكم بأهله ـــ

فقد كان النبى ﷺ شديد اللطف بالنساء .. يقول أبو القاسم ﷺ : «أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب ـــ عليه السلام ـــ على بلائه» .

وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون» .

جاء رجل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يشكو سوء خلق زوجته فوقف على باب الفاروق ينتظر خروجه فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه ، وأبو حفص ساكت لا يرد عليها . فانصرف الرجل راجعا وقال : إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته فكيف حالى ؟

فخرج أمير المؤمنين عمر فرآه موليا على بابه فناداه وقال : ما حاجتك يارجل ؟
فقال الرجل : ياأمير المؤمنين جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتى واستطالتها على

فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت : إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى ؟

فقال أمير المؤمنين عمر : ياأخى إنى احتملتها لحقوق لها على : إنها طباخة لطعامى خبازة لخبزى ، غسالة لثيابى ، مرضعة لولدى ، وليس ذلك كله عليها ، ويسكن قلبى بها عن الحرام فأنا أحتملها لذلك .

فقال الرجل : ياأمير المؤمنين وكذلك زوجتى .

قال الفاروق : فاحتملها ياأخى فإنما هى مدة يسيرة .

ولقد عنى الإسلام الحنيف بحقوق كل من الزوجين عند الآخر عناية تامة فحقوق المرأة على زوجها : الإنفاق عليها بحسب حاله يسرا أو عسرا من طعام وشراب ولباس ودواء وسكن .

حق الفراش وهو حقها فى الوطء .

حماية عرضها ومالها ودينها ، فالرجل مسئول عن زوجته والمسئول عن حمايتها من كل مكروه .

تعليم زوجته الضرورى من أمور الدين .

حسن العشرة ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بالمعْرُوفِ﴾[1] .

ولقد قول الهادى البشير ﷺ : «استوصوا بالنساء ، ألا إن لكم على نسائكم حقا ، ولنسائكم عليكم حقا ، فحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن ، وحقكم عليهن ألّا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون» .

أما حقوق الزوج على زوجته :

أن تكون مطيعة متجنبة لإيذائه بقول ، عاملة على مرضاته حتى تدخل جنة ربها ،

أن تكون صالحة عابدة حافظة لغيبته فى نفسها وفى ماله وفى بيته .

---

(١) سورة النساء : الآية ١٩ .

أن تتقى خالقها فى مال زوجها ، وأن تأخذ منه لتنفق على نفسها وولدها بلا إسراف ولا تبذير ، ولا تكلف زوجها ما لا يطيق .

أن تتأدب بآداب الدين من حشمة ووقار فى الملبس وفى الزينة .

أن تقوم بتدبير شئون بيته وخدمته بالمعروف .

ومن حق الزوج تأديب زوجته إذا خرجت عن طاعة الله أو فعلت ما يغضبه .

وقد تترفع الزوجة على زوجها بالخلاف ــ النشوز وهو معصية الزوج ــ وقد تتعطر له وتمنعه نفسها .

يقول العلى الحكيم : ﴿واللاتى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فعِظُوهُنَّ واهْجُروهُنَّ فِي المَضَاجِعِ واضْرِبُوهُنَّ فإن أطعنَكم فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إنَّ الله كَانَ عَلِيًّا كبيرًا﴾(١) فعظوهن بكتاب الله ، وذكروهن ماأمرهن الله به ، فإن لم يرجعن إلى صوابهن فاهجروهن فى المضاجع .

قال ابن عباس : هو أن يوليها ــ زوجها ــ ظهره على الفراش ولا يكلمها .

وقال الشعبى ومجاهد : هو أن يهجر مضاجعتها فلا يضاجعها .

فإن لم يُطعْنَ أزواجهن .. فاضربوهن ضربا غير مبرح . قال ابن عباس : أدبا مثل اللكزة .

فإن عدن إلى صوابهن وأطعنكم فلا تتجنوا عليهن العلل .

يقول رسول الله ﷺ : «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأت لعنتها الملائكة حتى تصبح» ــ وفى لفظ فبات عليها غضبان ، لعنتها الملائكة حتى تصبح ــ

وقال : «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها زوجها» .

وقال النبى ﷺ : «ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ، ولا ترفع لهم إلى السماء حسنة : العبد الآبق ــ الهارب ــ حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده فى أيديهم ، والمرأة الساخط

(١) سورة النساء : الآية ٣٤ .

عليها زوجها حتى يرضى عنها ، والسكران حتى يصحو » .

يقول الحسن البصرى : حدثنى من سمع رسول الله ﷺ يقول : « أول ما تسأل عنه المرأة يوم القيامة عن صلاتها وعن بعلها — زوجها — »

وقال رسول الله ﷺ : « لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهى لا تستغنى عنه » .

وذهبت عمة حصين بن محصن إلى النبى ﷺ وذكرت زوجها لرسول الله ﷺ فقال لها : انظرى من أين أنت منه فإنه جنتك ونارك .

فالواجب على المرأة أن تطلب رضا زوجها ، وتتجنب سخطه ، ولا تمتنع منه متى أرادها ، وإكرام أهله وأقاربه ، وترى القليل منه كثيرا .

يقول رسول الله ﷺ : « إذا صلت المرأة خمسها — الصلوات الخمس المفروضة — وصامت شهرها — رمضان — وأطاعت بعلها فلتدخل من أى أبواب الجنة شاءت » .

وقال أبو القاسم ﷺ : « يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير فى الهواء ، والحيتان فى الماء ،والملائكة فى السماء ، والشمس والقمر مادامت فى رضا زوجها ، وأيما امرأة عصت زوجها فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . وأيما امرأة كلحت — كشرت — فى وجه زوجها فهى فى سخط الله إلى أن تضاحكه وتسترضيه . وأيما امرأة خرجت من دارها بغير إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع » .

فأعظم ما تكون المرأة من الله ما كانت فى بيتها .. يقول رسول الله ﷺ : « المرأة عورة فإذا خرجت من بيتها استشرفها — الشرف — العلو والمكان العالى — الشيطان » .

فإذا خرجت المرأة قال لها أهلها : أين تريدين ؟

قالت : أعود مريضا . أشيع جنازة .

فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج من دارها . وما التمست المرأة رضا الله بمثل أن تقعد فى بيتها وتعبد ربها وتطيع بعلها .

قال علي بن أبي طالب لزوجته فاطمة بنت رسول الله ﷺ : يافاطمة ما خير للمرأة ؟

قالت الزهراء : أن لا ترى الرجال ولا يروها .

وكان علي بن أبي طالب ، يقول : ألا تستحيون ؟ ألا تغارون ؟ يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر إليهم وينظرون إليها ؟ .

وكانت أم المؤمنين عائشة وحفصة بنت عمر يوما عند رسول الله ﷺ جالستين فدخل عبد الله بن أم مكتوم وكان أعمى فقال رسول الله ﷺ لزوجتيه : احتجبا منه .

فقالت عائشة وحفصة : يارسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ .

قال النبي ﷺ : أفعمياوان أنتما ، ألستما تبصرانه ؟ .

فكما أنه ينبغي للرجل أن يغض طرفه عن النساء فكذلك ينبغي للمرأة أن تغض بصرها عن الرجال ، فإن خير ما للمرأة أن لا ترى الرجال ولا يروها ، فإن اضطرت للخروج لزيارة والديها وأقاربها فلتخرج بإذن زوجها غير متبرجة ، وتغض طرفها فى مشيتها وتنظر إلى الأرض لا يمينا ولا شمالا .

قال رسول الله ﷺ : «من سعادة ابن آدم ثلاثة ، ومن شقوة ابن آدم ثلاثة : من سعادة ابن آدم : المرأة الصالحة ، والمسكن الصالح ، والمركب الصالح ، ومن شقوة ابن آدم المرأة السوء ، والمسكن السوء ، والمركب السوء» .

فلماذا لا تكون المرأة صالحة من سعادة ابن آدم ؟ ألم يخلقها العليم الخبير من أجل ذلك ؟

سأل رجل خالد بن صفوان : أى الزوجات أفضل ؟

قال خالد بن صفوان : التى تطيع زوجها ، وتلتزم بيتها ، وإذا غضبت حلمت ، وإذا ضحكت تبسمت ، وإن صنعت شيئا جودت ، وإن قالت صدقت . العزيزة فى قومها الذليلة فى نفسها ، الودود الولود التى كل أمرها محمود .

وقيل لأعرابى مجرب : صف لنا شر النساء .

فقال الأعرابى : شرهن السريعة الوثبة ، كأن لسانها حربة ، تضحك من غير عجب ، وتبكى من غير سبب ، وتدعو على زوجها بالجرب ، أنف فى السماء واست فى الماء ، كلامها وعيد ، وصوتها شديد ، تدفن الحسنات ، وتفشى السيئات ، تعين الزمان على بعلها ، ولاتعين بعلها على الزمان ، ليس فى قلبها عليه رأفة ولاعليها منه مخافة ، إن دخل خرجت وإن خرج دخلت ، وإن ضحك بكت وإن بكت ضحكت ، كثيرة الدعاء قليلة الإرعاء ، تأكل لمًّا ، وتوسع ذمًّا ، ضيقة الباع ، مهتوكة القناع ، إذا حدثت تشير بالأصابع ، وتبكى فى المجامع ، بادية من حجابها ، نباحة عند بابها ، تشكو وهى ظالمة ، وتشهد وهى غائبة ، قد ولى لسانها بالزور ، وسال دمعها بالفجور ، وابتلاها الله بالويل والثبور ، وعظائم الأمور .

نعوذ بالله من زوجة السوء هذه ، فقد قال عنها نبى الله داود ــ عليه السلام ــ :

إن المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منه إلا من رضى الله ــ تعالى ــ عنه . فاللهم ارضنا وارض عنا .

كان بعض الصالحين له أخ فى الله وكان يزوره فى كل سنة مرة ، فجاء لزيارته فطرق الباب فقالت امرأته : من ؟

قال الرجل الصالح : أخو زوجك فى الله جئت لزيارته .

فقالت المرأة : راح يحتطب لا رده الله ولاسلمه ، وفعل به وفعل .

وجعلت المرأة تذمذم ــ تقول كلمات غير مفهومة ــ على زوجها .

وبينما الرجل الصالح واقفٌ على الباب وإذا بأخيه فى الله قد أقبل من نحو الجبل ، وقد حمل حزمة حطب على ظهر أسد ، وهو يسوقه بين يديه فجاء فسلم على أخيه ورحب به ، ودخل المنزل وأدخل الحطب وقال للأسد : اذهب بارك الله فيك .

ثم أدخل أخاه والمرأة على حالها تذمذم وتأخذ بلسانها وزوجها لايرد عليها .. فأكل مع أخيه شيئا ، ثم ودعه وانصرف ، وهو متعجب من صبر أخيه على تلك المرأة .

فلما كان العام الثانى جاء الرجل الصالح لزيارته على عادته فطرق الباب فقالت

امرأته : من بالباب ؟

قال الرجل الصالح : أخو زوجك فلان فى الله .

فقالت المرأة : مرحبا بك وأهلا وسهلا .. اجلس فإنه سيأتى — إن شاء الله — بخير وعافية .

فتعجب الرجل الصالح من لطف كلامها وأدبها . فلما جاء أخوه وهو يحمل الحطب على ظهره فتعجب — أيضا — لذلك فجاء فسلم عليه ودخل الدار وأدخله وأحضرت المرأة طعاما لهما ، وجعلت تدعو لهما بكلام لطف فلما أراد أن يفارقه قال : يا أخى أخبرنى عما أريد أن أسألك عنه .

فقال أخوه : وما هو ياأخى ؟

قال الرجل الصالح : عام أول أتيتك فسمعت امرأة بذيئة اللسان قليلة الأدب تذم كثيرا ، ورأيتك قد أتيت من نحو الجبل والحطب على ظهر الأسد ، وهو مسخر بين يديك ، ورأيت العام كلام المرأة لطيفا لا تذمذم ورأيتك قد أتيت بالحطب على ظهرك فما السبب ؟

قال أخوه فى الله : ياأخى : توفيت المرأة الشرسة وكنت صابرًا على خلقها وما يبدو منها . كنت معها فى تعب وأنا أحتملها فكان الله قد سخر الأسد الذى رأيت يحمل عنى الحطب بصبرى عليها واحتمالى لها ، فلما توفيت تزوجت هذه المرأة الصالحة ، وأنا فى راحة معها ، فانقطع عنى الأسد ، فاحتجت أن أحمل الحطب على ظهرى لأجل راحتى مع هذه المرأة المباركة الطائعة .

أختـــى المسلمـــة ..

إن الزوجة التى تطلب الطلاق من غير بأس محرم عليها رائحة — ريح — الجنة .. يقول النبى ﷺ : «أيُّما امرأةٍ سألت زوجها طلاقًا فى غير بأس فحرامٌ عليها رائحة الجنة» .

لقد سخر رسول الله ﷺ من الرجال الذين يطلقون نساءهم ثم يراجعهن ..

يقول أبو موسى الأشعرى : ما بال قوم يلعبون بحدود الله يقولون : قد طلقتك . قد راجعتك قد طلقتك .

فإذا كان إبليس وحزبه قد أغروا بإيقاع الطلاق والتفريق بين المرء وزوجته ، وإذا كان رسول الله ﷺ قد نهى وسخر من الزوج الذى يلعب بحدود الله فما بال المرأة التى تطلب الطلاق ؟

أختـــى المسلمـــة ..

احذرى مكايد الشيطان فإنه يسرى فى العروق مسرى الدم ، فلا تتبعى خطواته إنه لنا عدو مضل مبين ..

يقول جابر بن عبد الله : قال رسول الله ﷺ : «إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه» ـــ جمع سرية وهى قطعة من الجيش ، يقال خير السرايا أربعمائة رجل ـــ فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنه يجئ أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه منه ـــ فيلتزمه ـــ ويقول نعم أنت أنت .

إن أعظم الشياطين منزلة عند سفيهم ـــ إبليس ـــ من يفرق بين الزوج وزوجته ، فلا تدعى للشيطان سبيلا لهدم حياتك الزوجية ، وضيقى عليه المنافذ بعدم الغضب واجعلنى لسانك رطبا بذكر الله ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تطمئن القلوب﴾[1] .

يطلبُ الإسلام من المرأة أن تعمل ما فى وسعها وقدرتها لكى تبقى الحياة الزوجية قائمة مستمرة فتصبر على قبح أو جفاء زوجها ، وتتحمل ما يكون من أخطاء ، فإذا شعر الزوج أو الزوجة بجفوة بينهما فعليهما بالسعى لإزالة تلك الجفوة قبل أن يستفحل الأمر بمعرفة مصدرها وأسبابها وعلاجها .. يقول تعالى : ﴿وإِنِ امرأةٌ خافتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيهِمَا أن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا والصُّلْحُ خَيرٌ﴾[2] فإذا أحس الرجل بنفرة من امرأته فعليه بالصبر ، فعسى أن تكون هذه النفرة عارضة مؤقته كسحابة الصيف سرعان ما تزول .. يقول ـــ سبحانه وتعالى ـــ : ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أن

---

(١) سورة الرعد : الآية ٢٨ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٢٨ .

تَكْرَهُوا شيئًا ويَجْعَلَ اللهُ فيهِ خَيْرًا كَثِيراً﴾(١) فإذا فشلت وسائل العلاج والصلح ، وبانت أمارات الشقاق فليس معناه التسرع والوقوع فى الطلاق ، ولكن ليكن بينهما من يقوم بالإصلاح والتوفيق لعودة الحياة الزوجية كما كانت .. يقول — عز وجل — : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بينهِمَا فابْعثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحا يُوَفِّقِ اللهُ بينَهما إنَّ الله كانَ عَلِيمًا خَبيرًا﴾(٢) فإن تفاقم الأمر بعث ثقة أهل الرجل وثقة أهل المرأة ليجتمعا فينظرا فى أمرهما ويفعلا ما فيه المصلحة ..

بعث أمير المؤمنين عثمان بن عفان عبد الله بن عباس ومعاوية حَكَمين لإصلاح بين عقيل بن أبى طالب وزوجته فاطمة بنت عتبة بن ربيعة فقال ذو النورين للحكمين : إن رأيتما أن تجمعا جمعتما وإن رأيتما أن تفرقا ففرقا .

فقال عبد الله بن عباس : لأفرقن بينهما .

قال معاوية : ما كنت لأفرق بين شخصين من بنى عبد مناف .

فأتى الحكمان عقيل بن أبى طالب وفاطمة بنت عتبة فوجداهما قد أغلقا عليهما أبوابهما .. فرجعا .

فإن عجزت كل الوسائل والطرق ولم يعد مناص من الطلاق .. يقول تعالى : ﴿وإنْ يتفرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللهُ واسِعًا حَكيمًا﴾(٣) .

أختــى المسلمــة ..

اعلمى أن الطلاق كلمة رهيبة .. تدمير كيان أسرة .. تشريد أطفال و .. لا ينبغى أن يكون الطلاقُ فى نزوة طيش أو ثورة غضب يرقص فيها الشيطان .. واحذرى أن يكون الطلاق سعيا وراء حب جديد ، واذكرى دائما قول نبى الرحمة ﷺ : «أيما امرأة سألت زوجها طلاقا فى غير بأس فحرام عليها رائحة — ريح — الجنة» .

فنسأل الله أن يدخلنا جنته .. أنه جواد كريم .

(١) سورة النساء : الآية ١٩ .

(٢) سورة النساء : الآية ٣٥ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٣٠ .

الوصيـة الثلاثـون :

الأمـانة

يقول عبد الله بن عباس :

الأمانات : الأعمال التى ائتمن الله عليها العباد ـ الفرائض ـ

ويأمرنا الله ـ جل وعلا ـ أن نؤدى الأمانات إلى أهلها فيقول : ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أن تُؤَدُّوا الأَمانَاتِ إلَى أهلِهَا﴾(١) فإذا أدينا الأمانات إلى أهلها أصبحنا من الذين قال الله ـ تعالى ـ فيهم : ﴿والَّذِينَ هُمْ لِأَمانَاتِهِمْ وَعهْدِهِمْ رَاعُونَ . والَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَواتِهِمْ يُحَافِظُونَ . أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ . الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾(٢) أى : المؤمنون المفلحون ..

أختـى المسلمـة ...

إن كل عضو من أعضاء الإنسان أمانة : فأمانة اللسان ألّا يستعمله فى كذب ، أو غيبة أو نميمة ، أو بدعة ، فكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

وأمانة العين ألا ينظر بها إلى محرم .

وأمانة الأذن ألا يصغى بها إلى استماع محرم .

وهكذا بالنسبة لسائر الأعضاء فكلها أمانات مع الله ـ تعالى ـ .

وأما مع الناس : فرد الودائع ، وترك التطفيف فى كيل أو ميزان .

وأمانة الأمراء : العدل فى الرعية .

وأمانة العلماء فى العامة : أن يحملوهم على الطاعة والأخلاق الحسنة ، وينهوهم عن المعاصى و ..

---

(١) سورة النساء : الآية ٥٨ .

(٢) سورة المؤمنون : الآيات ٨ ـ ١١

وأمانة المرأة فى حق زوجها : ألا تخونه فى فراشه أو ماله ، ولا تخرج من بيته بغير إذنه . وأمانة الزوج فى حق زوجته : أن يوفر لها حقوقها الشرعية ولا يلوث فراشها بفعل فاحشة .

واعلمى أختى المسلمة أن مراقبة الله ــ عز وجل ــ فى السر والعلن أمانة ، وطاعة الرسول ﷺ فيما تأخذى وتذرى أمانة . وهذا الدين الحنيف بأصوله وفروعه فى عنقك أمانة تتطلب منك الدفاع عنها والدعوة إليها .

وأولادك ووالداك والأسرة كلها أمانة ستسألين عنها أمام الله ــ عز وجل ــ يوم العرض عليه .

يقول رسول الله ﷺ : «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك» .

ويقول الصادق الصدوق ﷺ : «آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب،وإذا وعَدَ أخلف ، وإذا ائتمن خان» .

وأشار النبى ﷺ إلى عظم مكانة الأمانة فى الإسلام فقال : «لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لَا عهد له» .

وقال رسول الله ﷺ : «يؤتى يوم القيامة بصاحب الأمانة الذى خان فيها فيقال له : أد أمانتك فيقول : أنىَّ يارب وقد ذهبت الدنيا ؟ قال فتمثل له كهيئتها ــ الأمانة ــ يوم أخذَها فى قعر جهنم ثم يقال له : انزل إليها فأخرجها ، فينزل إليها فيحملها على عاتقه فهى عليه أثقل من جبال الدنيا ، حتى إذا ظن أنه ناج هوى وهوى فى أثرها أبد الآبدين ، ثم قال : الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة ، والغسل أمانة ، والوزن أمانة ، والكيل أمانة ، وأعظم ذلك الودائع» .

اشترى رجل من آخر بيتا فلما هدم هذا البيت وجد فيه جرة ذهب فحملها الرجل وذهب إلى البائع وقال له : خذ ذهبك .

فقال البائع : والله ما هى لى وما ينبغى أن آخذ ما لا أعلم .

فذهبا إلى القاضى ليحكم فى هذه القضية النادرة فسأل الرجل الذى اشترى البيت :

ألك عيال ؟

قال المشترى : نعم لى غلام .

وقال للآخر : ألك عيال ؟

قال البائع : نعم لى جارية ــ فتاة ــ

فقال القاضى : زوجا الجارية للغلام وأنفقا عليهما من جرة الذهب .

فانصرف الرجلان راضيين .

يقول تعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمانَةَ عَلَى السَّمواتِ والْأَرضِ والجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾(١) أى : امتنعن عن قبولها ﴿وَأشْفقْنَ مِنْها﴾ أى : خفن من الأمانة أن لا يؤدينها فيلحقهن العقاب ، أو خفن من الخيانة فيها ، ومعنى الأمانة فى هذه الآيَة الطاعة والفرائض التى تتعلق بأدائها الثواب والعقاب أو الرسالةَ ــ وقيل العقل ــ

قال ابن مسعود : الأمانة : أمانة الأموال كالودائع وغيرها ــ إنها كل الفرائض وأشدها أمانة المال ــ

وقال أبو الدرداء : غسل الجنابة أمانة .

وقال عبد الله بن عمر :

أول ما خلق الله من الإنسان فرجه ، وقال : هذه أمانة استودعتكها فلا تلمسها لا بحق فإن حفظتها حفظتك . فالفرج أمانة ، والأذن أمانة ، والعين أمانة ، واللسان أمانة ، والبطن أمانة ، واليد أمانة ، والرجل أمانة ، ولا إيمان لمن لا أمانة له .

والأمانة مشتقة من الإيمان ، فمن حفظ أمانة الله حفظ إيمانه .

يقول رسول الله ﷺ : «لا تزال أمتى بخير مالم تر الأمانة مغنما والصدقة مغرما» .

وذات يوم كان أصحاب رسول الله ﷺ جلوسا فى مسجده إذ أتى بجنازة ليصلى عليها فقال : هل عليه دين ؟

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٧٢ .

قالوا : لا .

فصلى رسول الله ﷺ وأصحابه .

ثم أتى بجنازة أخرى فقال النبى ﷺ : هل عليه دين ؟

قالوا : نعم .

فتساءل رسول الله ﷺ : فهل ترك شيئا ؟

قالوا : ثلاثة دنانير .

فصلى رسول الله ﷺ عليها .

ثم أتى بجنازة ثالثة فقال أبو القاسم ﷺ : هل عليه دين .

قالوا : نعم .

قال النبى ﷺ : هل ترك شيئا ؟

قالوا : لا .

قال رسول الله ﷺ : صلوا على صاحبكم .

وأقبل رجل فقال لرسول الله ﷺ : يانبى الله أرأيت إن قتلت فى سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر يكفر الله عنى خطاياى ؟

قال رسول الله ﷺ : نعم .

فلما أدبر الرجل ناداه فقال النبى ﷺ : « يغفر الله للشهيد كل ذنب إلا الدَّين » .

أختــى المسلمــة ..

عليك بالأمانة حتى تكونى كما قال رسول الله ﷺ : « يطبعُ المؤمن على كل خلق ليس الخيانة والكذب » .

والحمد لله أولا وآخرا .

الوصيـــة الحاديــة والثلاثــون :

إحــداد المــرأة الصالحة

أختــى المسلمــة ..

الموتُ حق لاريب فيه ، يقول الله ـــ تعالى ـــ : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾(١) و ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ والإِكْرَامِ﴾(٢) و ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الموتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾(٣) و ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ والخَيْرِ فِتْنَةً وإلينَا تُرْجَعُونَ﴾(٤) فالموت لا مفر منه .

أرسلت إحدى بنات رسول الله ﷺ أسامة بن زيد إلى النبى ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ تدعوه وتخبره أن ابنا لها فى الموت ، فقال أبو القاسم ﷺ : ارجع ـــ أسامة ابن زيد ـــ إليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شىء عنده بأجل مسمى ، فمرها فلتصبر ولتحتسب .

ومن حق الميت على الحىِّ أن يذكره بالحزْن والألم لفراقه وموته بيْد أنه لا يجب أن يتجاوز هذا الحزن إلى الجزع وقتل النفس هما وغما . وقد تلجأ صاحبة المصيبة ـــ الزوجة ـــ إلى لطم الخدود ، وشق الجيوب ، فقد نهى الصادق الصدوق ﷺ عن ذلك فقال : «ليس منا من لطم الخدود ـــ وشق الجيوب ـــ ودعا بدعوى الجاهلية» .

ويقول النبى ﷺ : «برىء من الصالقة ـــ التى ترفع صوتها بالنياحة ـــ والحالقة ـــ التى تحلق شعرها وتنتفه عند المصيبة ـــ والشاقة ـــ التى تشق ثيابها عند المصيبة ـــ» .

إن هذه الأفعال نهى عنها رسول الله ﷺ ، وكذلك يحرم نشر الشعر ، ولطم الخدود ، وخمش الوجه ، والدعاء بالويل والثبور .

(١) العنكبوت : الآية ٥٧ .
(٢) سورة الرحمن : الآيتان ٢٦ ـــ ٢٧ .
(٣) سورة آل عمران : الآية ١٨٥ .
(٤) سورة الأنبياء : الآية ٣٥ .

يقول النبى ﷺ : «اثنتان فى الناسِ هما بهم كفر : الطعنُ فى الأنساب ، والنياحة على الميّت» .

تقول أم عطية الأنصارية : أخذ علينا رسول الله ﷺ فى البيعة أن لا ننوح ـ النياحة رفع الصوت بالندب ـ

يقول أبو سعيد الخدرى : لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة .

فيجب على الزوجة ألا تجزع وتتجاوز المصيبة والحزن والألم ، فهذا تحدٍّ لمشيئة الله ـ عز وجل ـ .

ولكن يجب أن تتحلى بالصبر ، وتقبل قضاء الله وإرادته .. فالميت يعذب فى قبره بما نيح عليه .

النياحة : تعديد النائحة بصوتها محاسن الميت ، أو البكاء عليه مع ذكر محاسنه .

يقول رسول الله ﷺ : «الميت يُعَذَّبُ فى قبره بما نِيحَ عليه» .

يقول أبو موسى الأشعرى : ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول : واسيِّداهُ واجبلَاه ، واكذا واكذا ، ونحو ذلك إلا وكل به ملكان يلهزانه : أهكذا أنت ؟

وأغمى على شاعر رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة فجعلت أخته تعدد فتقول : واكذا واكذا .

فلما أفاق عبد الله بن رواحة قال : ما قلت شيئا إلا قيلِ لى أنت كذا أنت كذا ؟

وقال رسول الله ﷺ : «إن هذه النوائح يجعلن صَفَّينِ فى النار فينحن فى أهل النار كما تنبح الكلاب» .

ويحرم رفع الصوت بإفراط البكاء ، وأما البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة فليس بحرام ، فقد عاد رسول الله ﷺ سعدَ بن عبادة ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد ابن أبى وقاص وعبد الله بن مسعود فبكى رسول الله ﷺ ، فلما رأى القوم بكاء النبى ﷺ بكوا فقال رسول الله ﷺ : ألا تسمعون ، إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا أو يرحم .

وأشار ﷺ إلى لسانه .

فنظر سعد إلى رسول الله ﷺ وقال : ما هذه يارسول الله ؟

قال أبو القاسم ﷺ : هذه رحمة جعلها الله فى قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء .

ودخل النبى ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان ، فقال عبدالرحمن بن عوف : أنت يا رسول الله ؟

قال الصادق الصدوق ﷺ يا ابن عوف إنها رحمة .

ثم أتبعها بأخرى فقال : إن العين لتدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا لفراقك ياإبراهيم لمحزونون .

لقد أمر رسول الله ﷺ بالصبر والاحتساب ، ونهى عن الجزع والسخط ، ويقول تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بالصَّبْرِ والصَّلاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابرِين﴾[1] .

فما من مصيبة يصاب بها المؤمن إلا كفر الله بها عنه . فمن صبر أثابه الله ، ومن لم يصبر لم يستحق الثواب .

خرج رسول الله ﷺ إلى البقيع فأتى امرأة جاثية على قبر تبكى ، فقال لها رسول الله ﷺ : يا أمة الله اتقى الله واصبرى .

فقالت المرأة : ياعبد الله أنا الحرى الثكلى .

فقال النبى ﷺ : « يا أمة الله اتقى الله واصبرى » .

فقالت المرأة : ياعبد الله لو كنت مصابا عذرتنى .

قال نبى الرحمة ﷺ : « يأمة الله اتقى الله واصبرى » .

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٥٣ .

قالت المرأة : ياعبد الله قد أسمعتنى فانصرف .

فانصرف عنها رسول الله ﷺ . وبصر بها رجل من المسلمين فأتاها فسألها : ما قال لك الرجل ؟

فأخبرته بما قال وبما ردت عليه ، فقال لها الرجل : أتعرفينه ؟

قالت المرأة : لا والله .

قال الرجل : ويحك ذلك رسول الله ﷺ .

فبادرت المرأة تسعى حتى أدركته فقالت : يارسول الله أصبر .

فقال رسول الله ﷺ : إنما الصبر عند الصدمة الأولى ــ إنما يجعل الصبر عند مفاجأة المصيبة ، وأما فيما بعد فيقع السلو والنسيان ــ

ويوصى النبى ﷺ بالصبر عند مفاجأة المصيبة فيقول : «ما أُعْطِى أحدٌ عَطاءً خيرًا وأوسعَ من الصَبر» .

ويقول طبيبُ القلوب ﷺ : «من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله ، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله ــ تعالى ــ» .

ويقول ﷺ : يقول الله ــ تعالى ــ : «مالعبدى عندى جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسب إلا الجنة» .

ويقول نبى الرحمة ﷺ : «إذا مات ولد العبد يقول الله للملائكة : قبضتم ولد عبدى ؟ فيقولون : حمدَكَ واسترجع ، فيقول الله ــ تعالى ــ : ابنوا لعبدى بيتًا فى الجنة وسموه بيت الحمد» .

ويوصى ويعلم معلم الإنسانية ﷺ أصحابه فيقول : «إذا حضرتم الميت فقولوا خيرًا فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون» .

تقول أم سلمة :

لما مات أبو سلمة قلت : يارسول الله ما أقول ؟ قال : قولى : اللهم اغفر له ،

وأعقبنا عقبى صالحة .

تقول أم سلمة بعد ذلك : فأعقبنى الله — تعالى — به محمدا ﷺ .

وكان النبى ﷺ يقول : «لَقِّنُوا موتاكم لَا إلَه إلَّا الله» .

يقول معاذُ بن جبل : قالَ رسول الله ﷺ : «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» .

هل تتبع النساء الجنائز ؟

تقول أم عطية الأنصارية : نُهِينا أن نتبع الجنائز ولم يعزم علينا .

وعقب غزوة أحد لما دفن رسول الله ﷺ شهداء أحد رجع إلى المدينة وفى الطريق لقى ابنة عمته حمنة بنت جحش فقال لها : احتسبى .

فقالت حمنة بنت جحش : من يارسول الله ؟

قال النبى ﷺ : خالك حمزة — حمزة بن عبد المطلب —

قالت حمنة بنت جحش : إنا لِله وإنا إليه راجعون ، غفر الله له ، هنيئا له الشهادة .

ثم قال النبى ﷺ : احتسبى .

فتساءلت حمنة بنت جحش : من يانبى الله ؟

قال رسول الله ﷺ : أخاك عبد الله بن جحش .

قالت حمنة بنت جحش : إنا لله وإنا إليه راجعون ، غفر الله له ، هنيئا له الشهادة

ثم قال أبو القاسم ﷺ : احتسبى .

قالت حمنة بنت جحش : من يارسول الله ؟

قال النبى ﷺ : زوجك مصعب بن عمير .

فصاحت وولولت : واحزناه .

فقال رسول الله ﷺ : «إن زوج المرأة لَبِمَكَانٍ ما هو لأحد» .

وأخذت حمنة بنت جحش تولول على زوجها وتقول : واحزناه واحرَّ قلباه .

فسألها الصادق الصدوق ﷺ : لم قلت هذا ؟

قالت حمنة بنت جحش : تذكرت يتم بنيه فراعنى .

فدعا لها رسول الله ﷺ ولولدها أن يحسن الله — تعالى — عليهم الخلف ..

يقول رسول الله ﷺ : «لا يحلُّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدَّ على ميت فوقَ ثلاثٍ إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا» .

لماذا كان الإحداد — امتناع المرأة المتوفى عنها زوجها من الزينة كلها : من لباس وطيب ومنع الخطاب من خطبتها والطمع فيها — فوق ثلاثة أيام فى حالة وفاة قريب للمرأة من أخ أو أخت أو أب أو أم ونحو هؤلاء .. أما الزوج فأربعة أشهر وعشرا ؟ لأنَّ فى هذه المدة يتكامل تخليق الجنين — الولد — وتنفخ فيه الروحُ بعد مضى مائة وعشرين يوما ، وهى زيادة عن أربعة أشهر بنقصان الأهلة فجبر الكسر إلى العقد عن طريق الاحتياط . وذكر العشر مؤنثا لإرادة الليالى ، والمراد مع أيامها عند الجمهور فلا تحل حتى تدخل الليلة الحادية عشرة .

كما لا تكتحل فقد جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ وهو فى بيت أم سلمة فقالت : يارسول الله إن ابنتى توفى عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفنكحلها ؟

قال رسول الله ﷺ : لا .

قالها مرتين أو ثلاثاً .. ثم قال ﷺ : «إنما هى أربعة أشهر وعشر ، وقد كانت إحداكن فى الجاهلية ترمى بالبعرة على رأس الحول .

لقد كانت المرأة فى الجاهلية إذا توفى عنها زوجها دخلت حفشا — بيتا صغيرا حقيرا قريب السُّمْكِ — ولبست شر ثيابها ولم تمس طيبا حتى تمر بها سنة ، ثم تؤتى بدابة : حمار أو شاةَ أو طائر فتفتض به — تمسح به جلدها — فقلما تفتض بشىء إلا مات ثم تخرج فتعطى بعرة .. ثم تراجع بعد ماشاءت من طيب أو غيره .

قارنى أختى المسلمة بين إحداد المرأة وجعل الحداد مقتصرا على الزينة والطيب ،

وليس لمدة سنة كاملة إنما أربعة أشهر وعشر .

ورغب رسول الله ﷺ فى التعزية .. فقال : «من عزَّى مصابًا فله مثل أجره» .

وقال ﷺ : «من عزَّى ثكلى كسى بردا من الجنة» .

ولقى عبد الله بن عمرو بن العاص فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ فسألها : ما أخرجك يافاطمة من بيتك ؟

قالت الزهراء : أتيت أهل هذا البيت فترحمت إليهم ميتهم وعزيتهم به .

وقال رسول الله ﷺ : «ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبة إلا كساه من حلل الكرامة يوم القيامة» .

فالتعزية هى التصبير ، وذكر ما يسلى صاحب البيت ، ويخفف خزنه ويهون مصيبته ، وهى مستحبة لأنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . يقول تعالى : ﴿وَتَعاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[1] .

وتبقى التعزية بعد الدفن إلى ثلاثة أيام . وتكره بعد ذلك لأن التعزية تسكن قلب المصاب ، والغالب سكون قلبه بعد الثلاثة فلا يجدد الحزن . والتعزية بعد الدفن أفضل منها قبله لأن أهل الميت مشغولون بتجهيزه ، ولأن وحشتهم بعد دفنه لفراقه أكثر ، هذا إذا لم ير منهم جزعا فإن رآه قدم التعزية ليسكنهم ، ويكره الجلوس للتعزية — يعنى يجتمع أهل الميت فى بيت ليقصدهم من أراد التعزية —

فقد رسول الله ﷺ رجلا من أصحابه فسأل عنه فقال أصحابه : يارسول الله ابنه الذى رأيته هلك .

فلقيه رسول الله ﷺ فسأله عن ابنه فأخبره أنه هلك فعزاه عليه ثم قال : يافلانُ أيُّما كان أحب إليك أن تمتع به عمرك أولا تأتى غداً بابا من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يَفْتَحُهُ لك ؟

---

(١) سورة المائدة : الآية ٢ .

فقال الرجل : يانبيَّ الله يسبقنى إلى الجنة يفتحها لى وهو أحب إلَّى ؟

قال ﷺ : فذاك لك .

قال أصحاب رسول الله ﷺ : يارسول الله هذا له — للرجل الذى هلك ابنه — خاصة أم للمسلمين عامة ؟

قال النبى ﷺ : بل للمسلمين عامة .

دخلت رملة بنت أبى سفيان — أم حبيبة — زوج رسول الله ﷺ حين توفى أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره ، فدهنت به جارية ثم مسَّت بعارضيها ثم قالت : والله مالِى بالطيب من حاجة غير أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدَّ على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا» .

يقول على بن أبى طالب للأشعث بن قيس : إنك إن صبرت إيمانا واحتسابا وإلا سلوت كما تسلو البهائم» .

وكتب حكيم إلى رجل قد أصيب بمصيبة : إنك قد ذهب منك ما رزئت به ، فلا يذهبن عنك ما عرضت عنه ، وهو الأجر .

وقال آخر : العاقل يصنع أول يوم من أيام المصيبة ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام .

ودفن عبد الله بن عمر بن الخطاب ابنا له ثم ضحك عند القبر فقيل له : أتضحك عند القبر ؟

قال أبو عبد الرحمن : أردت أن أرغم الشيطان .

ومات ابن الإمام الشافعى .. فأنشد يقول :

وما الدهر إلا هكذا فاصطبر له ... رزيـةُ مـالٍ أو فـراقُ حبيـبِ

أختـى المسلمـة ...

إن الرضى بقضاء الله ومشيئته ، والصبر على البلاء هو الخير كله ، والحزن والأسى

ينبغى أن يتوقف فى حدود ما أوصى به رسول الله ﷺ وما شرع الدين الحنيف .

فنسأل الله أن يتوفانا مسلمين ، ويلحقنا بالصالحين ، ويعصمنا من النار .. إنه سميع مجيب الدعاء .

الوصيـــة الثانيـــة والثلاثـــون :

إيـــــاك والغضـــــب

أختـــى المسلمـــة ...

إن الغضب شعلة من نار اقتبست من نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة ، وإنها المستكنة فى طى الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد ، ويستخرجها الكبر الدفين فى قلب كل جبار عنيد ، كاستخراج الحجر النار من الحديد .

والإنسان ينزع منه عرق إلى الشيطان الرجيم ، فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان ، أليس الشيطان قد خلق من نار ؟ والغضب أساس البلاء ..

يقول رسول الله ﷺ : «الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل» .

إن من نتائج الغضب الحقد والحسد ، وبهما هلك من هلك ، وفسد من فسد ، ومفيضهما مضغة ــ القلب ــ إذا صلحت صلح معها سائر الجسد .

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله مرنى بعملٍ وأقلل .

قال النبى ﷺ : لا تغضب .

فقال الرجل : يانبى الله مرنى بعمل وأقلل .

قال رسول الله ﷺ : لا تغضب .

إن الغضب هو ثوران دم القلب وإرادة الانتقام .. يقول رسول الله ﷺ : «اتقوا الغضب فإنه جمرة توقد فى قلب ابن آدم ، ألم تروا إلى حمرة عينيه وانتفاخ أو داجه ؟» .

وسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ : يانبى الله قل لى قولاً وأقِللْهُ لعلّى أعْقِلْهُ .

فقال النبى ﷺ : لا تغضب .

فكرر ابن عمر مطلبه مرتين كل ذلك إليه ويقول : لا تغضب .

إن الغضب خلق فى الإنسان ليكون سلاحا فى دفع ما يضره عما ينفعه ، كما خلق فيه الشهوة لتكون آلة فى جذب ما ينفعه .

قال نبى الرحمة ﷺ : « ما غضب أحد إلا أشفى على جهنم » .

وسأل رسول الله ﷺ أصحابه يوما : مَاتعدون الصرعة ـــ الذى يغلب الناس ويصرعهم بقوته ـــ فيكم ؟

قال أصحاب رسول الله ﷺ : الذى لا تصرعه الرجال .

قال أبو القاسم ﷺ : ليس ذلك ، ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب ـــ ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب ـــ

وقال رسول الله ﷺ : « من كفَّ غضبه ستر الله عورته » .

ونصح سليمان بن داود ـــ عليهما السلام ـــ ابنه فقال : يابنى إياك وكثرةَ الغضب فإن كثرة الغضب تستخف فؤادَ الرجل الحليم .

وقال نبى الله يحيى لعيسى بن مريم ـــ عليهما السلام ـــ : لا تغضب .

قال المسيح عيسى بن مريم ـــ عليه السلام ـــ : لا أستطيع أن لا أغضب إنما أنا بشر .

قال يحيى ـــ عليه السلام ـــ : لا تقتن مالا .

قال عيسى بن مريم ـــ عليه السلام ـــ : هذا عسى .

وقال أبو الدرداء لرسول الله ﷺ : يارسول الله دلَّنى على عمل يدخلنى الجنة .

قال طبيب القلوب ﷺ : لا تغضب .

وسأل رجل رسول الله ﷺ : يَارسولَ الله أىُّ شيءٍ أشدُّ عَلَىَّ ؟

قال رسول الله ﷺ : غضب الله .

فتساءل الرجل : فما يبعدنى عن غضب الله ؟

قال معلم الإنسانية ﷺ : لا تغضب .

أختــى المسلمــة ...

هذا المعنى ما أريد أن تفهمه كل مسلمة تريد أن تقومٌ أخلاقها ، وتنتصر على شيطانها ، لأن الإنسان إذا غضب ضرب بكل شئ عرض الحائط ولا يبالى بما يرتكب من الحماقات والمنكرات .. ولذلك كان نبينا ﷺ يشجعُنا على الانتصارِ على أنفسنا والتغلب عليها .

قال رسول الله ﷺ : «ثلاث من كن فيه أواه الله فى كنفه ــ ضمهُ إلى حضرته وحماه بحمايته وأحاطه برعايته والكنف : الجانب ــ وستر عليه برحمته ، وأدخله فى محبته ــ أدخله جنته ــ : مَنْ إذا أُعْطِىَ شكرَ ، وإذا قَدرَ غفَر ــ إذا قدرَ على الانتقامِ ممن آذاه صفح عنه وغفر له إساءته ــ وإذا غَضَبَ فَتَر ــ انكَسَرَتْ حِدّتُه ــ

ويقول النبى ﷺ : «من دفع غضبه ــ كفه وقاومه ــ دفع الله عنه عذابه ، ومن حفظ لسانه ستر الله عورته ــ عيوبه ونواقصه ــ»

ويحثنا رسول الله ﷺ على كظم الغيظ فيقول : «ما من جرعة أعظم عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله» .

وقال النبى ﷺ : «من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله ــ سبحانه ــ على رءوس الخلائق ــ على مشهد من أهل الموقف كلهم ــ حتى يخيره من الحور العين ماشاء ــ يختار منهم ما أحب ــ»

وكان رسول الله ﷺ قدوة حسنة ومثلا أعلى لأصحابه ولأمته إلى قيام الساعة فى الحلم والرفق ..

تقول أم المؤمنين عائشة : ما خيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين قطَّ إلا أخذ أيسرهما ــ أسهلهما وأخفهما كلفا ــ ما لم يكن إثما ــ معصية ــ فإن كان ثم إثم ــ هناك إثم ــ كان أبعد الناس منه . وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه فى شئ قط إلا أن تنتهك حرمة الله ــ حرمات الله ــ فينتقم لله ــ تعالى ــ .

لقى ذو القرنين ملكا من الملائكة فقال له : علمنى علما أزداد به إيمانا ويقينا ، قال الملك : لا تغضب فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب ، فرد

الغضب بالكظم ، وسكنه بالتؤدة ، وإياك والعجلة فإنك إذا عجلت أخطأت حظك — وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ، ولا تكن جبارا عنيدا .

أختـــى المؤمنـــة ...

إذا غضبت فلا تغضبى إلا لله ..

وقف بنو إسرائيل خاشعين على رءوسهم الطير أمام شجرة . ثم وقعوا على الأرض ساجدين . فامتلأ قلبُ رجل صالح منهم غيظا وحزنا . كيف يعبدون شجرةً لا تملك لهم نفعا ولا ضرا ؟ لماذا يسجدون لها ولا يعبدون الله الواحد الأحد الذى خلقهم ؟ والذى يطعمهم ويسقيهم ، وإذا مرضوا فهو يشفيهم ؟ هل تفعل هذه الشجرة من ذلك شيئا ؟

ووقف الرجل يفكر .. لو كان لديه القوة والشجاعة لقاتلهم جميعا بسيفه بعد أن وضعوا أصابعهم فى آذانهم ولم يسمعوا لحديثه . ولكنه رجل واحد وهم عشرات .. بل مئات .. ماذا يفعل وحده ؟ وبرقت فى ذهنه فكرة .. لماذا لا يستأصل الشرَّ من جذورِه ويقطع هذه الشجرة ؟

تبسم الرجل وأعجبته هذه الفكرة ، لم لا ؟ ولكن لو رآه أحد منهم وهو يقطعها فسوف يقتلونه .. لماذا لا يتسلل كالظل تحت جناح الظلام و .. ؟ إذا طلع النهار رأوا إلههم العاجز قد هوى صريعا .. لعلهم يدركون أنَّ ما كانوا يعبدون لم يستطع أن يدفع عن نفسه الضر ؟

وتحت عباءة الليل الأسود حمل الرجل فأسًا فقد عقد العزم على قطع هذه الشجرة .. وفى الطريق قابله إبليس فسأله : إلى أين أنت ذاهب ؟

قال الرجل الصالح فى عزم وإصرار : إنى ذاهب إلى الشجرة التى تعبد من دون الله لأقطعها .

فقال إبليس : لن تقطعها .

فقال الرجل الصالح وهو يشدد قبضته على ذراع الفأس : لابد من قطعها .

فاعترض إبليس طريق الرجل الصالح فاقتتلا .. وصرع الرجل الصالح — غلب —

إبليس .. فلما رأى إبليس أن الرجل الصالح قد غلبه بقوة إيمانه وإصراره احتال عليه فقال له : إنك رجل فقير ومحتاج إلى المال فارجع إلى محرابك ــ المكان الذى يعبد الله فيه ــ ودع أمر الشجرة لأحدٍ غيرك ، ولو شاء الله تعالى قطعها ــ أرسلَ رسوة لقطِعها أو بعث عليها ريحا اقتلعها ــ .

فسكت الرجل .. فلما رأى إبليس صمته عاد يقول له : ولك منى مقابل هذا ديناران كل ليلة .

فرضى الرجل الصالح بهذا .. وعاد إلى محرابه .. وفى الليلة الأولى وجد دينارين تحت وسادته .. وفى الليلة الثانية وجد الدينارين .. وفى الليلة الثالثة لم يجد شيئا . فحمل فأسه وخرج غاضبا ليقطع الشجرة ، كيف يسخر منه إبليس ولم يضع الدينارين تحت وسادته كما وعده

قال إبليس : إلى أين ؟

قال الرجل الصالح : إنى ذاهب لأقطع الشجرة .

فقال إبليس فى تحدٍّ : لن تقطعها .

فقال الرجل الصالح : سأقطعها .

وصارع الرجل الصالح إبليس .. فغلبه إبليس .. فعجب الرجل الصالح أين إصراره وقوته ؟ لقد غلب إبليس بالأمس ماذا حدث اليوم ... ؟

قال الرجل الصالح لإبليس متوعدا : موعدنا غدا .

فقال إبليس فى لهجة الواثق : سأكون فى انتظارك .

ولما أقبل الغدُ خرج الرجل الصالح حاملا فأسه ليقطع الشجرة فوجد إبليس فى طريقه فسأله : إلى أين ؟

قال الرجل الصالح : إنى ذاهب لأقطع الشجرة .

فقال إبليس وهو يعترض طريقه : لن تقطعها .

فتصارعا .. فغلبه إبليس .

تساءل الرجل الصالح : لماذا غلبتك أولا ثم غلبتني ثانيا ؟

قال إبليس : لأن غضبك أولا كان لله .. وغضبك ثانيا كان للدينارين .

وذات يوم كان رسول الله ﷺ يمشي مع خادمه أنس بن مالك وعليه برد — نوع من الثياب معروف — نجراني ، غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة .. فنظر أنس إلى صفحة رسول الله ﷺ وقد أثر بها حاشية الرداء من شدة جذبة الأعرابي ثم قال : يامحمد .. مُرْ لي من مال الله الذي عندك فإنك لا تأمر لي من مالك ولا من مال أبيك .

فقال رسول ﷺ : ويقاد منك ياأعرابي ؟

فقال الأعرابي : لا .

فتساءل رسول الله ﷺ : ولم ؟

قال الأعرابي : لأنك لا تجزي بالسيئة السيئة ولكن تعفو وتصفح .

فالتفت النبي ﷺ فضحك .. ثم أمر له بعطاء .

وكان أهل مكة يؤذون رسول الله ﷺ ولكنه لم يغضب .. يقول ابن مسعود : كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه — أسالوا دمه — وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون .

وذات يوم بينما كان النبي ﷺ جالسا ومعه أصحابه وقع رجل بأبي بكر الصديق فآذاه — سبه — فصمت عنه أبو بكر ، ثم أذاه الثانية فصمت عنه أبو بكر ، ثم أذاه الثالثة فرد عليه أبو بكر .. فقام رسول الله ﷺ فانطلق أبو بكر خلفه فلما لحق به قال : أوجدت — أغضبت — علي يارسول الله ؟

قال النبي ﷺ : نزل ملك من السماء يكذبه — الرجل — بما قال لك — كلما قال لك شيئا قال الملك : كذبت — فلما انتصرت — رددت عليه — ذهب الملك وقعد الشيطان — حضر الشيطان — فلم أكن لأجلس إذن مع الشيطان .

وكان راهب فى صومعته فأراد الشيطان أن يضله فلم يستطع فجاءه فناداه فقال له : افتح .

فلم يجبه الراهب .. فقال الشيطان : افتح فإنى إن ذهبت ندمت .

فلم يلتفت إليه .. فقال الشيطان : إنى أنا المسيح .

قال الراهب : وإن كنت المسيح فما أصنع بك ؟ أليس قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغيره لم نقبله منك .

قال : إنى الشيطان ، وقد أردت أن أضلك فلم أستطع فجئتك لتسألنى عما شئت فأخبرك .

فقال الراهب : ما أريد أن أسألك عن شئ .

فولى مدبرا فقال الراهب : ألا تسمع ؟

قال : بلى

قال الراهب : أخبرنى أى أخلاق بنى آدم أعون لك عليهم ؟

فقال الشيطان : الحدة ، إن الرجل إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة .

يقول الحسن البصرى : يا ابن آدم كلما غضبت وثبت ويُوشك أن تثب وثبة فتقع فى النار .

وقال خيثمة : الشيطانُ يقول : كيف يغلبنى ابن آدم ، وإذا رضى جئت حتى أكون فى قلبه ؟ وإذا غضب طردت حتى أكون فى رأسه ؟

قال جعفر بن محمد : الغضب مفتاح كل شر .

كيف يتقى الإنسان الغضب ؟

استب رجلان ــ تشاتما وتهاجيا ــ عند رسول الله ﷺ فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه وتنتفخ أوداجه فنظر النبى ﷺ فقال : إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ذَا ــ الذى اعتراه وهو الشيطان ــ : أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم .

فقام إلى الرجل رجل ممن سمع النبى ﷺ فقال للرجل : هل تدرى ما قاله رسول الله ﷺ آنفا ؟

قال الرجل : لا .

قال عن رسول الله ﷺ : «إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ذا : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» .

فقال الرجل : أمجنونا ترانى ؟

يقول أبو ذر : قال رسول الله ﷺ : «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع» .

ودخل أبو وائل القاص على عروة بن محمد السعد ، فكلمه رجل فأغضبه فقام فتوضأ فقال : حدثنى أبى عن جدى عطية قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الغضب من الشيطان ــ باعثه ومهيجه ــ وإن الشيطان خلق من النَّار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ» .

وقال أبو سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ فى حديث طويل .. فى آخره : ألا وإن الغضب جمرة فى قلب ابن آدم ، أما رأيتم إلى جمرة عينيه وانتفاخ أوداجه ــ ما يحيط العنق من عروق يقطعها الذابح ــ فمن أحس بشيء من ذلك فليلصق بالأرض ــ فليقعد إذا كان قائما فإن ذهب غضبه وإلا فليضطجع ــ

وقال أبو ذر الغفارى : إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب الغضب فليضطجع .

أختــى المسلمــة ...

الشيطان يهيج الغضب فى صدر ابن آدم فإذا أردت أن تطفئى نار الغضب عليك بالوضوء والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، وعليك بالحلم فإن الحلم حجاب الآفات .. ولا يعرف الحليم إلا فى الغضب .

قال رجل لضرار بن القعقاع : والله لو قلت كلمة واحدة لسمعت عشرا .

فقال ضرار بن القعقاع : والله لو قلت عشرا لم تسمع واحدة .

وقال على بن أبى طالب لابنه الحسن : احذر الغضب فإنه يسفِّه الحليم ويُطيش العالم ، ويُفقد معه العقل ، ويظهر معه الجهل .

أختـــى المسلمـــة ..

انظرى فى كل هذا وتعمقى فى فهمه ولا تنسى قول رسول الله ﷺ : «الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل» .

الوصيـة الثالثـة والثلاثـون :

ذم وصـل شـعر المـرأة بغيـره

يقول ــ تعالى ــ : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١) أى : عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه ، وطريقته وسنته ، وشريعته ، فَتُوزَنُ الأقوال والأعمال بأقواله ، فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنا من كان .. يقول الصادق الصدوق ﷺ : «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» .

أى : فليحذر وليخش من خالف شريعة رسول الله ﷺ باطنا وظاهرا ﴿أن تُصِيبَهُمْ فِتنَةٌ﴾ أى : فى قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أى : فى الدنيا بقتل أو حد أو حبس يقول النبى ﷺ : «مثلى ومثلكم كمثل رجل استوقد نارًا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب اللائى يقعن فى النار يقعن فيها ، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقعن فيها ــ قال فذلك مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار ، هلم عن النار فتغلبونى وتقتحمون فيها» .

أختـى المسلمـة ...

لقد خالفت أكثر المسلمات اليوم شريعة رسول الله ﷺ وسنته ، وتعاليم الدين الحنيف ، فوضعت على رءوسهن ما يسمى بالباروكات .. وقد نهى النبى ﷺ عن وصل شعر المرأة ، ولعَن الصادق الصدوق ﷺ من فعل ذلك ..

يقول ابن عمر : لعن رسول الله ﷺ الواصلة ــ التى تصل الشعر بشعر النساء ــ والمستوصلة ــ المعمول بها ذلك ــ والواشمة ــ التى تغرز اليد والوجه بالإبر ثم تحش ذلك المكان بكحل أو مداد ــ والمستوشمة ــ المعمول بها ذلك ــ

---

(١) سورة النور : الآية ٦٣ .

فقد سألت امرأة النبى ﷺ فقالت : يارسول الله : ابنتى أصابتها الحصبة فتمزق شعرها وإنى زوجتها أفأصل فيه ؟

قال رسول الله ﷺ : «لعن الله الواصلة والموصولة» .

تقول أسماء لعن النبى ﷺ الواصلة والموصولة .

وجاءت جارية ـــ فتاة ـــ من الأنصار تزوجت وإنها مرضت فتمعط ـــ سقط ـــ شعرها فأرادوا أن يصلوها فسألوا رسول الله ﷺ فقال : «لعنَ الله الواصلة والمستوصلة» .

فقالت المرأة : يانبى الله زوج ابنتى أمرنى أن أصل شعرَها .

فقال النبى ﷺ : «لا إنه قد لعن الموصلات» .

قال عبد الله بن مسعود : لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات ـــ النامصة التى تنقش الحاجب حتى ترقه ، فالنمص هو نتف الشعر عن الوجه ـــ والمتفلجات ـــ المتفلجة : هى التى تفلج أسنانها بالمبرد ونحوه للتحسين ـــ للحسن المغيرات خلق الله .

فقالت امرأة له فى ذلك .. فقال ابن مسعود : ومالى لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ ؟ وهو فى كتاب الله قال الله ـــ تعالى ـــ : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسولُ فَخذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[1] .

وقال عبد الله بن عباس : لُعِنَتِ الواصلة والمستوصلة ، والنامصة والمتنمصة ، والواشمة والمستوشمة ، من غير داء .

وخرج رسول الله ﷺ بقصة ـــ شعر الناصية ـــ فقال : إن نساء بنى إسرائيل كن يجعلن هذا فى رءوسهن فلعنَّ وحرم عليهن المساجد .

ولما حج معاوية بن أبى سفيان قدم مدينة رسول الله ﷺ فقام على المنبر وتناول قصة من شعر كانت فى يد حرسى فقال : يا أهل المدينة أين علماؤكم ؟

---

(١) سورة الحشر : الآية ٧ .

فنظر حميد بن عبد الرحمن بن عوف إلى سعيد بن المسيب ولكن معاوية استطرد : سمعت رسول الله ﷺ يَنْهى عن مثل هذا ، ويقول : إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذها نساؤهم .

ثم أردف : ما كنت أرى أحدا يفعله إلا اليهود ، إن رسول الله ﷺ بلَغه فسماه الزور .

وتساءل معاوية : ما بال المسلمات يصنعن مثل هذا ؟ إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «أيما امرأة زادت فى رأسها شعرًا ليس منه فإنه زور تزيد فيه» .

أختـى المسلمـة ...

اعلمى أنه كما حرُم على المرأة الزيادة فى شعر رأسها ، كذلك يحرم عليها حلق شعر رأسها بغير ضرورة داء ــ مرض ــ أو غيره وتذكرى أن رسول الله ﷺ زجر أن تصل المرأة برأسها شيئا .. ولعنها الله ورسوله .

الوصيـة الرابعـة والثلاثـون :

المـال والطمـع

إن فتن الدنيا كثيرة ولكن المال أعظم فتنتها ، وأطم محنتها ، فلا غنى لأحد عن المال ، فإذا فُقِدَ حصل منه الفقر الذى يكاد أن يكون كفرا ، وإن وُجِدَ حصل منه الطغيان الذى لا تكون عاقبة أمره إلا خسرا .

فالمال قد يكون منحة وقد يكون محنة .. ولقد ذُمَّ المال وكراهة حبه فقال ــ تعالى ــ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُم أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(١) وقال ــ سبحانه وتعالى ــ : ﴿إنمَا أموَالكُمْ وأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ واللهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(٢) فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وغبن ــ خدع ــ خسرانا عظيما .

وقال رسول الله ﷺ : «حب المال والشرف ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل» .

وقال ﷺ : «ما ذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم بأكثر إفسادا فيها من حب الشرف والمال والجاه فى دين الرجل المسلم» .

وسئل رسول الله ﷺ : يارسول الله ، أى أمتك شر ؟

قال النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ : الأغنياء .

وقال أبو القاسم ﷺ : «أخِلّاءُ ابن آدم ثلاثة : واحدٌ يتبعه إلى قبض روحه ، والثانى إلى قبره ، والثالث إلى محشره . فالذى يتبعه إلى قبض روحه فهو ماله ، والذى يتبعه إلى قبره فهو أهله ، والذى يتبعه إلى محشره فهو عمله» .

---

(١) سورة المنافقون : الآية ٩ .

(٢) سورة التغابن : الآية ١٥ .

وسأل الحواريون عيسى بن مريم ــ عليه السلام ــ : مالك تمشى على الماء ولا نقدر على ذلك ؟

فقال لهم : ما منزلة الدنيا والدرهم عندكم ؟

قال الحواريون : حسنة .

قال نبى الله عيسى بن مريم ــ عليه السلام ــ : لكنهم والمدرُ ــ كان العربُ يسمون القرية مدرة ــ عندى سواء .

ولقد سمى الله ــ عز وجل ــ المال خيرا فى مواضع كثيرة من كتابه العزيز فقال : ﴿إن تَرَكَ خَيْرًا﴾(١) وقال ــ تبارك وتعالى ــ ممتنا على عباده : ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بأموَالٍ وبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أنهَارًا﴾(٢) وقال تعالى : ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِنّ رَّبكَ﴾(٣) .

كذلك مدح رسول الله ﷺ المال فقال : «نعم المال الصالح للرجل الصالح» .

وقال ﷺ : «كاد الفقر أن يكون كفرا» .

أختــى المسلمــة ...

إن المال مثل حية فيها سم وفيها ترياق ، ففوائده وغوائله سموم ، فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يتحرز من شره ويستدر من خيره .

أما فوائد المال فهى إما دنيوية وإما دينية .

الفوائد الدنيوية يتهالك عليها الخلق فهى معروفة ومشهورة ...

أما الفوائد الدينية فهى ثلاثة أنواع :

١ ــ أن ينفقه على نفسه إما فى عبادة أو فى الاستعانة على عبادة مثل إنفاقه على الحج والجهاد فى سبيل الله فلا يتوصل إليهما إلا بالمال .

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٠ .
(٢) سورة نوح : الآية ١٢ .
(٣) سورة الكهف : الآية ٨٢ .

٢ ــ ما يصرفه إلى الناس وهو أربعة أقسام : الصدقة ، والمروءة ، ووقاية العرض ، وأجرة الاستخدام .

أما الصدقة فلا يخفي ثوابها فإنها تطفيء غضب الرب ــ تعالى ــ .

أما المروءة فصرف المال إلى الأغنياء والأشراف فى ضيافة وهدية وإعانة وما يجرى مجراها فهذه ليست صدقة لأنها لم تسلم إلى محتاج .

أما وقاية العرض فبذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب ــ ثلبه صرح بالعيب فيه وتنقصه ــ السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم .. يقول رسول الله ﷺ : «وما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة» .

وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التى تحمل فى المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة .

أما أجر الاستخدام فهو أعمال يحتاج إليها الإنسان لتهيئة أسباب كثيرة فلو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذى هو أعلى مقامات السالكين فمن لا مال له من يتولى خدمته ؟

٣ ــ المال الذى يصرفه الإنسان يريد به خيرا عاما كبناء المساجد والمستشفيات والمدارس ..

أما آفات المال فهى دنيوية ودينية .. أما الدينية فثلاث :

١ ــ أن تجر إلى المعاصى وارتكاب الفجور ، فإن اقتحم ما اشتهاه هلك ، وإن صبر وقع فى شدة إذ الصبر مع القدرة أشد ، وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء .

٢ ــ أنه يجر إلى التنعم فمتى يقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ، ويترك لذائذ الأطعمة كما كان يقدر عليه سليمان بن داود ــ عليهما السلام ــ فى ملكه ، فأحسن أحواله أن لا يتنعم بالدنيا ويمرن عليها نفسه ؟

٣ ــ يلهى المال صاحبه عن ذكر الله ــ تعالى ــ ، وكل ما شغل العبد عن الله ــ عز وجل ــ خسران ..

قال عيسى بن مريم ــ عليه السلام ــ : فى المال ثلاث آفات : أن يأخذه فى غير حله ،

فقيل : إن أخذه من حله ؟

قال نبى الله عيسى ــ عليه السلام ــ : يضعه فى غير حقه .

فقيل : إن وضعه فى حقه ؟

قال المسيح ــ عليه السلام ــ : يشغله إصلاحه عن الله ــ تعالى ــ .

وهذا هو الداء العضال ، فإن أصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله والتفكير فى جلاله ، وذلك يستدعى قلبا فارغا ، وصاحب الضيعة والمالِ يمُسى ويصبح متفكرا فى خصومة ومنازعة الشركاء ، ويفكر فى الريح وحده و ... ودفع أطماع الناس ، وأفكار دنيوية لا نهاية لها .

أختــى المسلمــة ...

اعلمى أن الفقر محمود ، ولكن ينبغى أن يكونَ الفقير قانعا منقطعَ الطمع كان الخلق ، غير ملتفت إلى ما فى أيديهم ، ولا حريصًا على اكتساب المال كيف كن . فالحرص والطمع يجرُّ الإنسان إلى مساوىء الأخلاق وارتكاب المنكرات ، فقد جُبل الآدمى على الحرص والطمع وقلة القناعة .. يقول رسول الله ﷺ : «لو كانَ لابنِ آدم واديانِ من ذهبٍ لابتغَى لهما ثالثًا ، ولا يملأُ جوفَ ابنِ آدَم إلا الترابُ ، ويتوبُ اللهُ علَى من تاب» .

وقال النبى ﷺ : «يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان : الأمل وحب المال» .

وقال الصادق الصدوق ﷺ : «ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس» .

ونهى نبى الرحمة ﷺ عن شدة الحرص والمبالغة فى الطلب فقال : «أيها الناسُ أجملوا فى الطلب ، فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب لَهُ من الدنيا وهى راغمة .

وسأل نبى الله موسى ــ عليه السلامَ ــ ربه : أى عبادك أغنى ؟

قال : أقنعهم مما أعطيته .

فقال موسى — عليه السلام — : فأيهم أعدل ؟

قال : من أنصف من نفسه .

ويقول الصادق الصدوق ﷺ : «إن روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله ، وأجملوا فى الطلب» .

وقال النبى ﷺ لأبى هريرة : يا أبا هريرة إذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار .

ثم استطرد ﷺ : «كن ورعًا تكن أعبد الناس ، وكن قانعا تكن أشكر الناس ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا» .

ونهى رسول الله ﷺ عن الطمع .. فقد أتى أعرابى النبىَّ ﷺ فقال : يارسول الله عظنى وأوجز .

فقال أبو القاسم ﷺ : «إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثَنَّ بحديث تعتذر منه غدًا ، واجمع اليأس مما فى أيدى الناس» .

وصاد رجل قنبرة — طائرًا صغيرًا — فقالت له : ما تريد أن تصنع بى ؟

قال الرجل : أذبحك وآكلك .

قالت القنبرة : والله ما أشفى من قرم — شدةَ شهوة اللحم — ولا أشبع من جوع ، ولكن أعلمك ثلاث خصال هى خير لك من أكلى : أما واحدة : فأعلمك وأنا فى يدك ، وأما الثانية : إذا صرت على الشجرة ، وأما الثالثة : فإذا صرت على الجبل .

قال الرجل : هات الأولى .

قالت القنبرة : لا تلهفن على ما فاتك .

فأطلق سراحها .. فلما صارت على الشجرة قال الرجل : هات الثانية .

قالت القنبرة : لاتصدقن بما لا يكون أن يكون .

ثم طارت القنبرة إلى الجبل .. فقالت : ياشقى لو ذبحتنى لأخرجت من حوصلتى درتين زنة كل درة عشرون مثقالا .

فعض الرجل على شفته ندما وتلهف وقال : هات الثالثة .

قالت القبرة : أنت نسيت اثنتين ، فكيف أخبرك بالثالثة ؟ ألم أقل لك : لا تلهفنْ على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون أن يكون ؟ أنا لحمى ودمى وريشى لا يكون عشرين مثقالاً فيكيف يكون فى حوصلتى درتان كل واحدة عشرون مثقالا ؟

ثم طارت .. وذهبت . هذا مثال لفرط طمع الآدمى فإنه يعميه عن درك الحق حتى يقدر مالا يكون أنه يكون .

يقول عمر بن الخطاب : إن الطمع فقر ، وإن اليأس غنى ، وإنه من ييأس عما فى أيدى الناس استغنى عنهم .

وقيل لبعض الحكماء : ما الغنى ؟

قال : قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك .

وقال الله — عز وجل — : (يا ابن آدمَ لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن منها إلا القوت ، وإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن) .

أختـى المسلمــة ...

اعلمى أن المال فتنة ، وأن الطمع مهلكة .. واذكرى قول رسول الله ﷺ : « طوبى لمنْ هُدِى للإسلام ، وكان عيشه كفافا وقنع به » .

الوصية الخامسة والثلاثون :

النهى عن البدعة واتباع الهوى

قال رسول الله ﷺ : «إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كُلّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلّ ضلالةٍ فى النار» .

وقال النبى ﷺ : «من أحدث فى أمرنا ماليس فيه فهو رد» .

وأوصى أبو القاسم ﷺ باتباع سنته فقال : «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى» .

البدعةُ : هى الحدثُ فى الدين بعد الإكمال ، وما استحدث بعد رسول الله ﷺ من الأهواء والأعمال . فهى ما أحدث على خلاف الحقّ المتَلَقَّى عن النبى ﷺ وجعل دينا قويما وصراطا مستقيما .

وتنقسم البدعة إلى : بدعة دينية . بدعة دنيوية . وكل بدعة فى الدين ضلالة .

البدع الدنيوية وتنقسم إلى أربعة أقسام :

١ ـــ البدعة المكفرة : وهى كدعاء غير الله من الأنبياء والصالحين والاستغاثة بهم ، وطلب تفريج الكربات وقضاء الحاجات منهم كقول البعض : العارف لا يعرف . والشكوى لأهل البصيرة عيب . مدد ياسيدى فلان . نظرة إلينا بعين الرضا . راعِنى أنا محسوبك . وكذا قولهم : ملعون ابن ملعون من كان فى شدة أو ضيق ولم يقل : ياست أو ياسيد . فهذا هو عين الشرك الأكبر .

٢ ـــ البدعة المحرمة : وهى كالتوسلِ بالأموات ، وطلب الدعاء منهم ، وكذا اتخاذ القبور مساجد ، والصلاة إليها ، وإيقاد السرج عليها ، ونذر الشمع والذبائح لها ، والطواف بها واستلامها .

٣ ـــ البدعة المكروهة تحريما : وهى كصلاتهم فريضة الظهر بعد الجمعة ، وقراءة القرآن

بالأجر والعِتَاقَةُ والختمةُ التى يعملونهما عن الميت ، وكالاحتفال بدعاء ليلة النصف من شعبان وبليلة مولد النبى ﷺ وذلك إذا احتفل بها كما يحتفل النصارى بمولد المسيح ــ عليه السلام ــ حيث تقام حفلات الرقص وشرب الخمر و .. أما الاحتفال بمولد الرسول ﷺ فيكون بإحياء سنته ﷺ وقراءة سيرته العطرة والتمسك بما جاء به ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

٤ ــ البدعة المكروهة تنزيها : وهى كالمصافحة فى أدب ، الصلوات ، وكذلك تعليق الستائر على المنابر ، وكدعاء أول السنة وآخرها وكل بدعة فى الدين صغيرة أو كبيرة فهى محرمة . فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار ، وقال تعالى : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾(١) .

أختــى المسلمــة ...

لقد ترك رسول الله ﷺ لنا الأمر كالصفحة البيضاء فمن خالف كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإجماع الأئمة فهو بدعة مردودة .

قال نبى الرحمة ﷺ : « من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة » .

قال تعالى : ﴿وأنَّ هذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾(٢) .

يقول قتادة : اعلموا أن السبيل سبيلُ واحد ، جماعه الهدى ، ومصيره الجنة ، وأنَّ إبليس استبدع سبلا متفرقة جماعها الضلالة ومصيرها إلى النار .

يقول عبد الله بن مسعود : خط لنا رسول الله ﷺ خطًّا بيده ثم قال : هذا سبيل الله مستقيما .. ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط ، وعن شماله ثم قال : هذه سبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه .. ثم قرأ قوله ــ تعالى ــ : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهِ﴾(٢) .

---

(١) سورة الشورى : الآية ٤٠ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ١٥٣ .

وقال ابن عطية : هذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ فى الفروع ، وغير ذلك من أهل التعمق فى الجدل والخوض فى الكلام ، وهذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد .

وقال رسول الله ﷺ : « من رغب عن سنتى فليس منى » .

وحذر النبى ﷺ من البدع التى ستأتى بعده فقال : « ما من أمة ابتدعت بعد نبيها فى دينها بدعة إلا أضاعت مثلها فى السنة » .

وقال الصادق الصدوق ﷺ : « ما تحت ظل السماء من إلهٍ يعبد أعظم عند الله من هوى يتبع » .

أما بعدُ فإنّ خير الحديث كتابُ الله وخيرَ الهدى هدىُ محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة ، وإنما أخشى عليكم شهواتِ الغيِّ فى بطونكم وفروجكم ، ومضلات الهوى ، إياكم والمحدثات فإن كل محدثة ضلالة .

وقال النبى ﷺ : « إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته » .

وقال الهادى البشير ﷺ : « لا يقبل الله لصاحب البدعة صوما ولا حجة ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا ، يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين ، لقد تركتكم على الملة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، لكل عمرة شرة — الشرة النشاط والهمة — ولكل شرة فترة ، فمن كانت شرته إلى سنتى فقد اهتدى ، ومن كانت شرته إلى غير ذلك فقد هلك ، إنى أخاف على أمتى من ثلاث : من زلة عالم وهوى متبع وحكم جائر » .

أختـى المسلمـة ...

إن البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية ، فالمعصية يثاب منها — أثاب الرجل وناب : رجع — والبدعة لا يثاب منها . فالبدعة فعل لم يكن فابتدِع ، والأغلب فى المبتدعات أنها تصادم الشريعة بالمخالفة .

يقول فضيل بن عياض : من جلس إلى صاحب بدعة فاحذروه .

وقال رسول الله ﷺ : «من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدْم الإسلام» .

ولقد حذرنا القرآن الكريم من فتن إبليس ومكايده فقال ــ تعالى ــ : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ • إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَالَا تَعْلَمُونَ﴾(١) وقال : ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾(٢) وقال تعالى : ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيدًا﴾(٣) وقال ــ تبارك وتعالى ــ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّنتَهُونَ﴾(٤) .

لقد حذرنا الله ــ عز وجل ــ ورسوله ﷺ من هذا العدو الذى قد أبان عداوته من زمن آدم ــ عليه السلام ــ ، وقد بذل عمره ونفسه فى فساد أحوال بنى آدم .

قال رسول الله ﷺ : «إن إبليس قد يئس أن يعبده المصلون ، ولكن فى التحريش ــ يسعى بين المسلمين بالخصومات والشحناء والفتن ــ بينهم» .

ما هى بعض البدع التى نهى عنها رسول الله ﷺ ؟

قال حذيفة بن اليمان : قال رسول الله ﷺ : «تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عودا ، فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتةً سوداء ، وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء ، حتى تعود القلوب على قلبين : قلب أسودُ مربادا كالكوز مجخيا ــ مكبوبا منكوسا ــ لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه ، وقلب أبيض فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض» .

لقد عرضت الفتن على القلوب فكانت قسمين : قلب أشربها كما يشرب السفنج الماء

(١) سورة البقرة : الآيتان : ١٦٨ ــ ١٦٩
(٢) سورة البقرة : الآية ٢٦٨ .
(٣) سورة النساء : الآية ٦٠ .
(٤) سورة المائدة : الآية ٩١ .

فنتكت فيه نكتة سوداء ..

وقلب أبيض قد أشرق فيه نور الإيمان وازدهر فيه مصباحه ، فإذا عرضت عليه الفتنة أنكرها وردها فازداد نوره وإشراقه وقوته .

ولكن القلوب التى رحبت وأشربت الفتنة كثيرة .. بل كثيرة جدا .

وقد اتخذت أصحاب هذه القلوب بدعا ومبتدعات ما جاء بها كتاب الله وما أقرها نبى الإسلام ﷺ فمن هذه البدع :

١ ـــ بدع رمضان .

إن أفضل الشهور عند الله شهر رمضان فالعاقل الذى لزم طريق الفضائل ونبذ طريق الرذائل .. ولكن الشيطان لبنى آدم بالمرصاد .. فزيَّن لأصحاب القلوب التى أشربت الفتنة بدعا ومخالفات ما أنزل الله بها من سلطان فارتكبوها فى هذا الشهر العظيم المبارك شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار ، والرضا والإحسان لمن أخلص فيه للرحيم الرحمن .

فمن هذه البدع ما يفعله بعض الجهلة عند رؤية هلال رمضان من يرفع أيديهم قائلين : هل هلالك جل جلالك شهر مبارك علينا وعليك .

ثم يمسحونَ وجوههم .. فهذه بدعة منكرة من عمل الجاهلية ، لم تفعل فى عهد رسول الله ﷺ ولا فى زمن الخلفاء الراشدين ولا السلف الصالح .

يقول ابن عمر : إن النبى ﷺ كان إذا رأى الهلال قال : الله أكبر ، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ، والتوفيق لما يحب ربنا ويرضى ، ربنا وربك الله .

لقد كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال : هلال خير ورشد . هلال خير ورشد . هلال خير ورشد ، آمنت بالذى خلقك . آمنت بالذى خلقك . آمنت بالذى خلقك . الحمدُ لله الذى ذهب بشهر شعبان وجاء بشهر رمضان .

ومن البدع ما يفعله بعض الناس من الطواف ليلة رؤية رمضان ـــ فى العواصم والقرى ـــ بالرايات رافعين أصواتهم بالأذكار والصلوات مع اللغط والتشويش والزمر

والطبل ، وزغاريد النساء واختلاط الرجال بهن وبالأحداث ، واستعمال اللهو وغير ذلك ، فإنه لم يكن فى عهد النبى — عليه الصلاة والسلام — ولا أصحابه ولا السلف الصالح شئ من ذلك .

وأيضا من البدع خروج النساء إلى المقابر واختلاطهن بالرجال ، يرتكبن أقبح الفواحش ، وقد ترك رعاتهن لهن الحبل على الغارب ناسين قول رسول الله ﷺ : «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» — كلكم ملزم بحفظ ما يطالب به من أمر رعيته ، إن كان واليا ومن عدم الخيانة إن كان موليا عليه — فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع فى أهله ، وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ، وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته والرجل راع فى مال أبيه وهو مسئول عن رعيته ، فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته .

ومن البدع تأخير الفطر بعد تحقق الغروب ، بقصد التمكين فهو خلاف سنة رسول الله ﷺ .

كذلك ما يفعله كثير من الناس من وضع الطعام قبل الغروب والالتفاف حوله والنظر إليه زاعمين أن ذلك طاعة وأن الطعام يستغفر لهم لصبرهم عنه — مع حضوره وحاجتهم إليه — امتثالا لأمر ربهم وخشية منه . واحتراما لرمضان شهر الصبر والصيام .

كذلك فطر الجهلة على غير الحلو والماء ، بلى يسرعون إلى تناول الدخان والتمباك ونحوهما ، وفى ذلك شغفهم ولذتهم وراحتهم كما يزعمون مع تناول ما ذكر ممنوع مطلقا .

ومن البدع — أيضا — إنارة المنائر فى رمضان وزيادة النور فى المساجد فإنه إسراف وتبذير لم يكن يعرف فى زمن السلف الصالح ، فهو حرام سيما إذا كان من مال الوقف .

كذلك ما يفعله بعض الأعيان من إحضار قارئ يقرأ القرآن فى حجرة صغيرة بينما هم يسمرون مع زائريهم فى الحجرات الفخمة يرفعون أصواتهم بالقيل والقال ، وأمور الدنيا على القرآن ، ويعبثون ويشربون الدخان ، ويقهقهون كأنهم فى مقهى أو مسرح

ناسين قوله ـــ تبارك وتعالى ـــ : ﴿وَإِذَا قُرِئَ القرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا لعلَّكُمْ تُرحَمُونَ﴾[1] .

ومن البدع فى رمضان تعجيل السحور بعد نصف الليل فيقوم المسحرون إلى التسحير فيكون لا فائدة فى السحور ولا يساعد على أداء العبادة على وجهها الأكمل بلا مشقة ، وإذا تسحر الإنسان مبكرا فإنه يكسل عن قيام الليل لغلبة النوم عليه ، بخلاف ما إذا تسحر قريبا من طلوع الفجر فإنه يشتغل بعده بالطهارة لصلاة الصبح ، ثم يقضى وقته فى ذكر الله حتى تطلع الشمس ثم ينصرف إلى عمله نشيطا .

لقد حث رسول الله ﷺ على تعجيل الفطر وتأخير السحور .

يقول أبو ذر الغفارى : قال رسول الله ﷺ : «لا تزالُ أمتى بخير ما عجَّلوا الفطر وأخروا السحور» .

ويقول أنس بن مالك عن زيد بن ثابت : تسحرنا مع النبى ﷺ ثم قمنا إلى الصلاة ـــ الفجر ـــ

ويسهر بعض الناس فى المقاهى ودور الملاهى والمسارح وأمام التليفزيون طوال الليل بزعم إحياء ليالى رمضان والاحتفاء حتى إذا انتصف الليل قاموا إلى السحور وبعدها ينامون ولا يوقظهم إلا حر الشمس .

ومن البدع والمخالفات والهذيان ما يفعله المسحرون فى الأسبوع الأخير من رمضان فيقولون : لا أوحش الله منك ياشهر رمضان . لاأوحش الله منك ياشهر الصيام . لاأوحش الله منك ياشهر القرآن . وغير ذلك .

ومن المحدث الاحتفال بإحياء ليلة القدر فى المساجد فإنه بدعة منكرة ،

٢ ـــ بدع رجـــب :

قد أحدث الناس فى هذا الشهر الحرام أمورًا شنيعة ، وبدعا ذميمة منها : زيارة النساء المقابر فى الجمعة الأولى منه ، وغيرها مما يعد عندهن موسما : وهى من البدع المقبوحة والعادة المستنكرة ، وأى بدعة أكبر قبحا وأعظم وزرا من بدعة جمعت مفاسد عديدة وشرورا كثيرة من انتهاك الحرمات ، وابتذال الأعراض ، وإضاعة الأموال ، وإيذاء

(١) سورة الأعراف : الآية ٢٠٤ .

الموتى ، وتهتك النساء واختلاطهن بالرجال ، مع فساد الأخلاق وانتشار الفساد ، وإحياء عادة الجاهلية من الندب والنياحة وشق الجيوب ولطم الخدود ، وصبغ الخدود ، والأيدى بالسواد ، ولا يخشين الوعيد ، فيما روى عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال : «ليس منا من شق الجيوب ، ولطم الخدود ، ودعا بدعوى الجاهلية» .

يحل الموسم بزعم كثير من الناس ـــ رجب أو غيره ـــ فتصير النساء لا همَّ لهن إلا ما يعدونه للخروج إلى المقابر من ألوان الطعام وأنواع الفاكهة وطاقات الأزهار ، فالغنى ينفق عن سعة ، والفقير يضيع ما تحتاج إليه عياله وقد يقترض لذلك .. وإذا خرجت النساء إلى المقابر رفعت أصواتهن بالبكاء ، وأظهرن الحزن والجزع وتكلمن بكلمات كفرية فيها السخط على القدر والاعتراض على الله ـــ تعالى ـــ فى حكمه وقضائه ، وبعد قليل توضع الموائد فوق المقابر ، وعلى رءوس الموتى ، ومنها يأكلون كما تأكل الأنعام ناسين الموت وسكراته ، وغافلين عن الموتى وما هم فيه من ظلمة ووحشة ، فإذا أكلوا انتشروا يتزاورون كأنهم فى منازل الأحياء لا فى مقابر الأموات ، وأماكن الخشية والاعتبار .. ذلك هو الضلال البعيدُ كيف لا ، وهذا لا يَرضى الربُّ ولا به ترحم الموتى ، فلم يأتِ فى كتاب الله ، ولا فى سنة رسول الله ﷺ ، أن أول جمعة من رجب أو أى موسم جعل لزيارة القبور . ولم يثبت أن أحدا من الصحابة أو أئمة السلف كان يخرج هو ونساؤه فى هذه المواسم لزيارةِ الموتى .

صلوات غير مشروعة فى أول ليلة من رجب وليلة الجمعة الأولى منه ـــ صلاةَ الرغائب ـــ وليلة النصف منه ـــ وصلاة الرغائب ثنتا عشرة ركعة بين المغرب والعشاء يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وإنا أنزلناه فى ليلة القدر ثلاث مرات ، وقل هو الله أحد ثنتى عشرة مرة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة فإذا فرغ من صلاته صلى على النبى ﷺ سبعين مرة ثم يقول : ربِّ اللهم صلى على محمد النبى الأمى وعلى آله ثم يسجد فيقول فى سجوده :سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبعين مرة . ثم يرفع رأسه ثم يقول : رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأعظم سبعين مرة . ثم يسجد الثانية فيقول مثل ما قال فى السجدة الأولى ثم يسأل الله ـــ تعالى ـــ حاجته .

صلاة ليلة سبع وعشرين من رجب : عن ابن عباس : من صلى ليلة سبع وعشرين من رجب اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة منها فاتحة الكتاب وسورة ، فإذا فرغ من صلاته قرأ فاتحة الكتاب سبع مرات وهو جالس ثم قال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، أربع مرات ، ثم أصبح صائما حط الله عنه ذنوب ستين سنة ، وهى الليلة التى بعث فيها محمد ﷺ .

تجديد الأحزان وزيارة القبور يومى العيدين : إن من البدع الذميمة خروج النساء إلى المقابر فجر يومى عيد الفطر وعيد الأضحى واختلاطهن بالرجال يرتكبن أقبح الفواحش وانتشار الفساد ..

قال ابن عباس : لعن النبى ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج .

ولكن النساء يحملن الأطعمة إلى المقابر ، وهذا مناف للعبرة والاتعاظ ومبطل لثواب الصدقة لما فيه من الرياء ، ولو تصدقن فى البيوت سرًّا على المحتاجين لكان أرجى للقبول ، وأقرب إلى الوصول ، ولكفوا حملها وحمل أوزارها .

ومن البدع القبيحة إقامة السرادقات يوم العيد احتفالا بأول عيد ، ومن قبل كان الخميس الأول والخميس الثانى ثم مأتم الأربعين ومرور العام وبدلا من أن يقوم الناس بزيارة الأقارب وصلة الرحم وجلب السرور والفرح إلى القلوب تتجدد الأحزان وتمتلىء الصدور بالآلام من جراء بدع مستنكرة وعادات مستقبحة لم يكن لها وجود فى عهد النبى ﷺ ، ولا عهد الصحابة والتابعين ، ولم يكن معروفا حينئذ ، وفيه مفاسد دينية ودنيوية يأباها العقل ، والخير فى اتباع من سلف ، فقد كانوا يتبعون ما جاء فى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ . وإذا كانت التعزية قد شرعت لما فيها من التعاطف والتحاب والتعاون على البر والتقوى والحمل على الصبر والرضا بالقدر والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والحث على الرجوع إلى الله ـــ تعالى ـــ ، ليحصل الأجر ، والمشروع منها مرة واحدة لقول النبى ﷺ : «التعزية مرة واحدة» .

ويدخل وقت التعزية من الموت إلى ثلاثة أيام بعد الدفن .

٣ ــ بدعة فرش الأرض بالسجاد وتغطية الجدران بالستائر ــ لا تستعمل الستائر إلا بقدر الفتحة المراد تغطيتها ــ أما الكعبة وكسوتها فهذا تكريم لها .

٤ ــ التشبه بأهل الكتاب وغيرهم من الكفار فى ارتداء الملابس فصارت فتيات المسلمين يرتدين البنطلونات الضيقة ــ الجينز ــ والجاكتات فلم يعد بينهن فرق وبين ما يلبس الرجال ، وارتدت فتيات كثيرات المينى جيب والميكروجيب و .. وتدخن السيجار .

يقول رسول الله ﷺ : «من تشبه بقوم فهو منهم» .

٥ ــ القبور .. قصور .. ومساجد : إن ما نراه اليوم ليثير العجب ، فقد صارت القبور قصورا ذات دورات مياه وحجرات للمستقبلين ، ولم يبق إلا أن يوضع الطعام والماء حتى إذا عادت الروح إلى الجسد وبعث الميت وجد ما يأكل ما الفرق ما بين هذا وما فعله قدماء المصريين منذ آلاف السنين ؟؟

أهكذا أمرنا رسولنا ﷺ ؟ لقد لعن أبو القاسم ﷺ المتخذين على القبور المساجد والسرج ، ونهى عن الصلاة على القبور أو الجلوس عليها .. يقول النبى ﷺ : «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها» .

وأمر رسول الله ﷺ بتسوية القبور ونهى عن تجصيص القبور والبناء عليها ، ونهى عن الكتابة عليها .. يقول جابر بن عبد الله : نهى رسول الله ﷺ أن تجصص القبور وأن يكتب عليها أو يزاد عليها .

ويحمل كثيرٌ من الناس إلى المقابر الطعام ، ويذهبون إليها ليتخذوها أعيادًا فيصلون إليها ويطوفون بها ويقبلونها ، ويعفرون الخدود على ترابها .. ويسألون أصحابها النصر والرزق والعافية وقضاء الديون ، وتفريج الكربات و .. فهل عاد زمن عبادة الّلات والعزى .ومناة وهبل ، وعهد عبادة الأوثان ؟

٦ ــ بدع عشاق الصور المتَيَّمِينَ : وهؤلاء يجمع عشقهم المحرمات الأربع : من الفواحش الظاهرة والباطنة والإثم والبغى بغير الحق ، والشرك بالله ما لم ينزل به سلطانا ،

والقول على الله ما لا يعلمون ..

ويرجع ذلك كله من خلو القلب من محبة الله ـ تعالى ـ والإخلاص له ، والتشريك بينه وبين غيره فى المحبة ، ومن محبة ما يحب لغير الله فيقوم ذلك بالقلب ويعمل بموجبه بالجوارح ، وهذا هو حقيقة اتباع الهوى : ما تحت أديم السماء إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع .

يقول تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[1] إن هذه الآية تخبر عن حال عشاق الصور المتيمين ، وتنطبق عليهم .. إنهم صاروا مسلوبى الإرادة لغير ذلك المحبوب .. كما قيل :

إن هـواك الـذى بقلبـى صيرنـى سـامعـا مطيعـا

يقول رسول الله ﷺ : «شارب الخمر ـ أو مدمن الخمر ـ كعابد وثن» .

لو علم هؤلاء أنهم لو أقبلوا بقلوبهم إلى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليهم .

يقول هرم بن حيان : ما أقبلَ عبد بقلبه إلى الله ـ عز وجل ـ إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم .

أما أهل المعاصى والفسوق وإن كان بينهم نوع مودة وتحاب فإنها تنقلب عداوة وبغضًا ، وفى الغالب يتعجل لهم ذلك فى الدنيا قبل الآخرة .. وقلب العاشق ليس فيه موضع لغير معشوقه .. كما قيل :

ما فى الفؤاد لغير حبك موضع كـلا ولا أحـد سـواك يحلـه

وأما صده عن الصلاة فهو إن لم يصد عن صورتها وأعمالها الظاهرة فإنه يصد عن حقيقتها ومقاصدها الباطنة .

---

(١) سورة الجاثية : الآية ٢٣ .

٧ ــ اللهو ولهو الحديث : من البدع الخطيرة التى فشت واستغلظ عودها اليوم الغناء وآلات اللهو ، وليس معنى ذلك أن الإسلام يحرم المخترعات الحديثة ، ولكنه يحرم منا يحول ويصرف قلوب المؤمنين عن ذكر الله فإن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، لا يجلوها إلا ذكر الله فإذا صرف المذياع ــ الراديو ــ أو التليفزيون أو الفيديو أو دور العرض أو المسرح الإنسان المسلم عن الصلاة وذكر الله فيجب على الإسلام محاربته لأنه أعلن الحرب على خالقه ، أما إذا كانت هناك ساعة لهو برىء لا تجلب الشيطان .. فلا بأس .

يقول تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ لِيضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾(1) يقول ابن عباس وابن مسعود : لهو الحديث هو الغناء .

فالغناء أشد لهوا وأعظم ضررا من أحاديث الملوك ــ أخبار الأعاجم وملوكهما وملوك الروم ــ فأهل الغناء ومستمعوه لهم نصيب من الذم بحسب اشتغالهم بالغناء عن ذكر الله والقرآن .

ولهو الحديث له أسماء كثيرة :

الغناء :

الزور : ﴿والَّذِينَ لَايَشْهَدُون الزُّورَ﴾(2) .

اللغو : ﴿وإذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾ (3) .

الباطل : ويراد به المعدوم الذى لا وجود له .

المكاء والتصدية : ﴿وَماكَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ البَيْتِ إلَّا مُكاءً وتَصْدِيَةً﴾(4) المكاء : الصفر ــ التصدية : التصفيق .

---

(١) سورة لقمان : الآية ٦ .

(٢) سورة الفرقان : الآية ٧٢ .

(٣) سورة الفرقان : الآية ٧٢ .

(٤) سورة الانفال : الآية ٣٥ .

رقية الزنى : فإن الغناء ينقص الحياء ويزيد فى الشهوة ، ويهدم المروءة ، وينوب عن الخمر ، ويفعل ما يفعل السكر .

منبت النفاق : يقول رسول الله ﷺ : الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء الزرع .

قرآن الشيطان : قال رسول الله ﷺ : «إن إبليس لما أنزل إلى الأرض قال : يارب أنزلتنى إلى الأرض وجعلتنى رجيما فاجعل لى بيتا قال : الحمام قال : فاجعل لى مجلسا قالَ : الأسواق ومجامع الطرقات قال : فاجعل لى طعاماً قال : كل مالم يذكر اسم الله عليه قال : فاجعل لى شرابًا قال : كل مسكر قال : فاجعل لى مؤذنا قال : المزمار ، قال : فاجعل لى قرآنا قال : الشعرْ قال : فاجعل لي كتابا قال : الوشم ، قال : فاجعل لى حديثا : قال : الكذب ، قال : فاجعل لى رسولاً قال : الكهنة قال : فاجعل لى مصايد قال : النساء» .

الصوت الأحمق والصوت الفاجر : يقول رسول الله ﷺ : «وإنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نغمة لهو ومزامير شيطان ، وصوت عند مصيبة : خمش وجوه وشق جيوب ورنة . وهذا هو رحمة ومن لا يرحم لا يرحم . لولا أنه أمر حق ووعد صدق ، وأن آخرنا سيلحق أولنا لحزنا عليك ــ ابنه إبراهيم ــ حزنا هو أشد من هذا وإنا بك لمحزونون ، تبكى العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب» .

صوت الشيطان : يقول تعالى : ﴿وَاسْتَفزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾[1] .

مزمور الشيطان : دخل النبى ﷺ وعند عائشة جاريتان تغنيان بغناء بعاث ــ حرب بين الأوس والخزرج ــ فاضطجع وحول وجهه . ودخل أبو بكر فانتهر ابنته وقال : مزمار الشيطان عند النبى ﷺ ، فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال : دعهما .

السمود : يقول تعالى : ﴿أفمِنْ هَذَا الحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝ وأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ [2] السمود : الغناء .

(١) سورة الإسراء : الآية ٦٤ .

(٢) سورة النجم : الآيات ٥٩ ــ ٦١ .

وسأل رجل ابن عباس : ما تقول فى الغناء ؟ أحلال هو أم حرام ؟

قال عبد الله بن عباس : لا أقول حراما إلا ما فى كتاب الله .

فقال الرجل : أفحلال هو .

قال ابن عباس : ولا أقول ذلك .

ثم قال : أرأيت الحق والباطل إذا جاءا يوم القيامة : فأين يكون الغناء ؟

قال الرجل : يكون مع الباطل .

فقال عبد الله بن عباس : اذهب فقد أفتيت نفسك .

فهذا جواب ابن عباس عن غناء الأعراب الذى ليس فيه مدح الخمر والزنا واللواط والتشبيب بالأجنبيات وأصوات المعازف وآلات المطربات .. ولو شاهدوا غناء اليوم لما سألوا وعرفوا أنه حرام حرام .

وحذر رسول الله ﷺ من اللعب بالنرد ــ الطاولة ــ أو نرد شير ..

يقول رسول الله ﷺ : « من قال لصاحبه : تعال أقامرك فليتصدق » .

وقال النبى ﷺ : « مثل الذى يلعب بالنرد ثم يقوم يصلى مثل الذى يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلى » ــ أى : فلا تقبل له صلاة ــ

ومر رسول الله ﷺ على قوم يلعبون بالنرد فقال : « قلوب لاهية ، وأيد عاملة ، وألسنة لاغية » .

ثم قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزلام والشطرنج النرد وما كان من هذه ــ أى وما شابه ذلك ــ من كان لهو محرم فلا تسلموا عليهم وإن سلموا عليكم فلا تردوا عليهم » .

وقال ﷺ : « ثلاث من الميسر : القمار ، والضرب بالكعاب ، والصفير بالحمام » .

ومر على بن أبى طالب بقوم يلعبون الشطرنج فقال : ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ؟ لأن يمس أحدُكم جمرا حتى يطفأ خير له من أن يمسها .

ثم قال : والله لغير هذا خلقتم ..

وقال أيضا : صاحب الشطرنج أكثر الناس كذباً يقول أحدهم : قتلت وما قتل ومات وما مات .

وقال أبو موسى الأشعرى : لا يلعب الشطرنج إلا خاطىء .

أختــى المسلمــة ..

فشا فى عصرنا الحاضر اللعب بالنرد والترشيد ، ولعب الشطرنج ، وجلس الناس أمام التليفزيون والفيديو كما كان عباد الأصنام يقفون فى صمت وخشوع أمام آلهتهم ، وكثرت السرادقات لإقامة حفلات العرسُ والفرق الموسيقية والملاهى والغناء — ليس مباح إلا البوق وطبل الحرب والدف كإعلان فى النكاح .

٨ — بدع متعلقة بالأذكار كصيام النساء فى رمضان وهن حيض مع تركهن للصلاة وقبيل الإفطار يأخذن جرعة ماء فهذا منهن حرام وتركهن للصلاة كفر .

كذلك بدع النفاس : أنهن يوجبن الضحك على من يرمى المشيمة — الخَلاص — فى ماء جار هذا ، وإلا عاش المولود عابسا كاشرا .

كذلك بدعة الاحتفال فى اليوم السابع من مولده بإيقاد الشموع — ليلة سبوع المولود إلى الصباح — وإلباسهن الإبريق — إذا كان المولود ذكرا — حلى الذهب ، والقلة— إذا كان المولود أنثى — ورش الملح والحمص والحلوى والفول .

إنهن يشحذن نقودا للمولود من سبعة أشخاص كلهم اسمه محمد ليعيش ، وهذا حرام واعتقاد خاطىء .

إنهن يسمين المولود اسما قبيحا ليعيش كفلفل أو خيبة أو شحات ، وكان المطلوب شرعا أن يؤذن الآذانُ الشرعى فى أذنه اليمنى ، وأن تقام الصلاة فى أذنه اليسرى عند ولادتهويسمى اسما حسنا ويعق — تصنه له عقيقة — يومه السابع وذلك بذبح شاتين للذكر وشاة للأنثى ، ويطعم الفقراء والمساكين منها .

أختــى المؤمنــة ...

لقد انتشرت البدع انتشار النار فى الهشيم ، ومهما كانت هذه البدع صغيرة أو كبيرة فقد أشرنا فى وصية صغائر الذنوب .. فعليك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، ولا تنس قول نبى الرحمة ﷺ : «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» .

وفقنا الله إلى سواء السبيل .. آمين .. آمين .

من وصايا القرآن :

الوصية بالنساء

أوصى الله ــ عز وجل ــ بالنساء فى محكم كتابه فقال ــ تبارك وتعالى ــ : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بالمعْروفِ﴾[1] أى : الرفق بهن والإحسان إليهن ، لضعفهن واحتياجهن لمن يقوم بأمرهن .

وقال العلى الحكيم : ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ لو حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ المْيلِ فَتذَرُوهَا كَالمعَلَّقةِ وإن تُصْلحُوا وتَتَّقُوا فإنَّ الله كَانَ غَفُورًا رَّحِيما﴾[2] .

يأمر السميع العليم أن نحسن إلى النساء ونعاملهنَّ معاملة حسنة ونعلمهنَّ الفرائض والسنن ، وحسنَ الخلق مع العيال ، وأن نعدل بين النساء فى الأقوال والأفعال ، والمحبة والجماع ، وحذرنا العلى القدير أن نترك الأزواج كالمعلقة فلا هى ذات زوج ولا هى أيم .

من وصايا الرسول ﷺ :

يقولُ رسول الله ﷺ : «المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتها وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج» .

وقال أبو القاسم ﷺ : «إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم ــ تدوم ــ لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج ، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها» .

وإذا أبغض زوج زوجته أو أبغضت زوجة بعلها فقد يرضى بها رجل آخر .. يقول النبى ﷺ : «لا يفرك ــ يبغض ــ مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضى منها ــ كالعفاف ــ آخر ــ غيره ــ» .

---

(١) سورة النساء : الآية ١٩ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٢٩ .

وفى حجة الوداع أوصى رسول الله ﷺ بالنساء خيرا فقال : بعد أن حمد الله ـ تعالى ـ وأثنى عليه وذكر ووعظ : «ألا واستوصوا بالنساء خيرا» ، فإنما هن عوانٍ ـ عانية : أسيرة . فقد شبه رسول الله ﷺ المرأة ودخولها تحت حكم الرجل بالأسير ـ عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك ـ غير الاستمتاع وحفظ الزوج فى نفسه وماله ـ إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ـ كنشوز وسوء عشرة تبين عدم انقيادها ـ فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع ـ المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف ـ واضربوهن ـ لا بسوطٍ ولا عصا ولكن بسواكٍ أو بمنديل ملفوف ضربا غير مبرح ـ ضربا غير مبرح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ـ بالتوبيخ والإيذاء ، ولا يهجرها بالكلام وإنما يهجرها فى المضاجعة ـ ألا إن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا ، فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذنَّ فى بيوتكم لمن تكرهونَ ألا وحقهنَّ عليكم أن تحسنُوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن .

وقد نهى رسول الله ﷺ عن ضرب النساء فقال : «لا تضربوا إماء الله» ـ النساء ـ

وسأل معاوية بن حيدة رسول الله ﷺ : يارسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه ؟

قال النبى ﷺ : «أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ، ولا تهجر إلا فى البيت» ـ كناية عن التمتع بها ـ

وقال أبو القاسم ﷺ : «أكملُ المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ـ حسنُ الخلقِ وبذلُ المعروفِ وكفُّ الأذى وطلاقةُ الوجه وخيارُكم خيارُكم لنسائهم» .

وقال رسول الله ﷺ : «الدنيا متاع ـ شيءٌ يتمتع به وينتفع بملذاته ـ وخيرُ متاعها المرأةُ الصالحة» .

وقال النبى ﷺ : «ما استفاد المؤمن من بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحته فى نفسها وماله» .

وقال النبى ﷺ : «ثلاث من السعادة وثلاث من الشقاوة : فمن السعادة : المرأة تراها تعجبك وتغيب فتأمنها على نفسها ومالك ، والدابة تكون وطية فتلحقك بأصحابك ، والدار تكون واسعة كثيرة المرافق .

ومن الشقاوة : المرأة تراها تسوءك وتحمل لسانها عليك وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك ، والدابة تكون قطوفًا فإن ضربتها أتعبتك وإن تركبها لم تلحقك بأصحابك ، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق» .

وصية الأب ابنته عند الزواج :

أوصى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ابنته فقال : إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق . وإياك وكثرة العتب فإنه يورث البغضاء . وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة . وأطيب الطيب الماء .

وصية الزوج زوجته :

قال أبو الدرداء – عويمر بن مالك – لامرأته هجيمة بنت حيى الوصابية أم الدرداء الصغرى – أم الدرداء الكبرى هى خيرية بنت أبى حدود – : إذا رأيتنى غضبت فرضنى .. وإذا رأيتك غضبى رضيتك .. وإلا لم نصطحب .

قال أحد الأزواج لزوجته :

خذى العفو منى تستديمى مودتى ... ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب

ولا تنقرينى نقرك الدف مرة ... فإنك لا تدرين كيف المغيب

ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالقوى ... ويأباك قلبى ، والقلوب تقلب

فإنى رأيت الحب فى القلب والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

وصية الأم ابنتها عند الزواج :

وخطب عمرو بن حجر ملك كندة أم إياس بنت عوف بن محلم الشيبانى ، ولما حان زفافها إليه خلت بها أمها أمامة بنت الحارث فأوصتها :

أى بنية : إن الوصية لو تركت لفضل أدب لتركت ذلك لك ، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقب .

ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها ــ كنت أغنى الناس عنه ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال .

أى بنية : إنك فارقت الجو الذى منه خرجت ، وخلفت العش الذى فيه درجت ، إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيبا ومليكا فكونى له أمة يكن لك عبدا وشيكا . واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخرا .

أما الأولى والثانية : فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد لمواضع عينيه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب الريح .

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت منامه وطعامه . فإن تواتر الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله والإرعاء ــ الرعاية ــ على حشمه ــ خدمه ــ وعياله وملاك ــ عماد ــ الأمر فى المال حسنُ التقدير ، وفى العيالِ حسنُ التدبير .

أما التاسعة والعاشرة : فلا تعصين له أمرًا ولا تفشينَ له سرا ، فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره ، وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره .

ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهتما ، والكآبة بين يديه إن كان فرحا .

أليست هذه الوصايا أسس الحياة الزوجية السعيدة ، وما يجب على الزوجة لزوجها فى كل عصر ؟

وصية أسماء بنت خارجة الفزارى لابنتها عند التزوج :

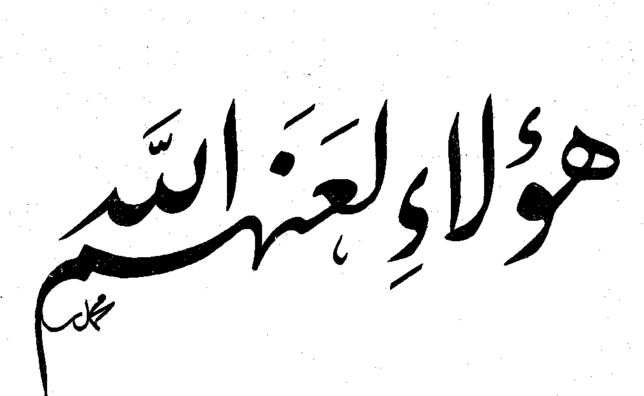
قالت أسماء بنت خارجة لابنتها :

إنك خرجت من العش الذى فيه درجت فصرت إلى فراش لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكونى له أرضا يكن لك سماء ، وكونى له مهدا يكون لك عمادًا ، وكونى له أمة يكون لك عبدا ، ولا تلحفى ــ تلحى ــ به فيقلاك ــ يبغضك ، ويبتعد عنك ــ ولا تباعدى عنه فينساك ، إن دنا ــ اقترب ــ منك فاقربى منه . وإن نأى ــ بعد عنك ــ فابعدى عنه ، واحفظى أنفه وسمعه وعينه ، فلا يشمن منك إلا طيبا ، ولا يسمع إلا حسنا ، ولا ينظر إلا جميلا .

تم بحمد الله

الفهـــرس

من منشوراتنا



عكاشة عبد المنان الطيبي







عبد العزيز الشناوي





